دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الاصفهاني

الجزء العاشر

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء العاشر

من كتاب الأغانى

٢/٩

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

نسبه

هو دُرَيْد بن الصِّمَّة . وآسم الصِّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقَة ، وقيل عَلْقَمة ، بن خُزَاعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن . وأما أبو عُبَيْدة فقال : هو دُرَيد بن الصِّمَّة ، وآسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقَة ولم يذكر معاويةَ . وقال آبن سَلَّام : الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقَة .

صفاته

ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحْل، وجعله محمد بن سَلَّام أوّلَ شعراء الفُرْسان. وقد كان أطولَ الفُرْسان الشعراءِ غَزْوًا، وأبعدَهم أثرًا، وأكثرَهم ظَفَرًا، وأيمنَهم نَقِيبةً عند العرب، وأشعرهم دريد بن الصِّمَّة (١) .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصِّمَّة سيِّدَ بنى جُشَمَ وفارسَهم وقائدَهم ، وكان مظفَّرًا ميمونَ النَّقِيبة، وغزا نحوَ مائة غَزَاةٍ ما أَخْفَق فى واحدة منها، وأدرك

---

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلامَ فلم يُسْلِم، وخرج مع قومه فى يوم حُنَيْنٍ مُظاهِرًا للمشركين، ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمُّنا به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عَوْف من قبول مَشُورته، وخالفه لئلا يكون له ذِكر، فقُتِل دُرَيد يومئذٍ على شِرْكه. وخبرُه يأتى بعد هذا.

قتل يوم حنين

إخوته

وكان لدريد إخوةٌ وهم عبد الله الذى قتلته غَطَفانُ، وعبدُ يَغُوثَ قتله بنو مُرّة، وقَيْسٌ قتله بنو أبى بكر بن كِلَاب، وخالدٌ قتله بنو الحارث بن كَعْب، أمُّهم جميعًا رَيْحانةُ بنت مَعْدِيكرِبَ الزُّبَيْدىّ أخت عمرو بن معديكرب كان الصِّمّة سباها ثم تزوّجها فأولدها بَنِيه. وإيّاها يَعنِى أخوها عمرو بقوله فى شعره:

أَمِنْ رَيْحانةَ الدّاعِى السَّميعُ * يؤرِّقُنى وأصحابى هُجُوعُ
إذا لم تَسْتطِعْ شيئا فدَعْه[1] * وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

٣ / ٩

ابنه وبنته شاعران

وكان لدُرَيدٍ ابنٌ يقال له سَلَمةُ، وكان شاعرًا وهو الذى رمى أبا عامر الأشعرىّ[2] بسهم فأصاب رُكبتَه فقتله وارتجز فقال:

إن تَسألوا عنّى فإنى سَلَمهْ * ابنُ سَمادِيرَ[3] لمن توسَّمَهْ
* أضرب بالسيف رءوسَ المُسْلِمَهْ *

وكانت لدُرَيد أيضا بنتٌ يقال لها عَمْرةُ [وكانت][4] شاعرة، ولها فيه مَراثٍ كثيرةٌ.

شعره فى الصبر على النوائب

أخبرنى بخبره هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال: حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة وأخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى بأخبار

---

(١) فى أ، ء، م: «أمرا».
(٢) أبو عامر الأشعرى هو ابن عم أبى موسى الأشعرى، وقد كان هذا الحادث يوم حنين.
(٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.
(٤) الزيادة عن ء.

له مجموعة ومتفرقة جماعةٌ من شيوخنا أذكرهم فى مواضعهم ، وأخبرنى ايضا بخبره محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن صالح بن محمد عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ وقد بيَّنتُ رواية كل واحد منهم فى موضعها ، قال أبو عُبَيدة سمعت أبا عمرو بن العَلَاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة حيث يقول :

تقول ألا تَبْكى أخاك ! وقد أَرَى * مكانَ البكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ
لمقتلِ عبدِ الله والهالكِ الذى * على الشَّرَف الأعلى قتيلِ أبى بكر
وعبدِ يَغُوث أو خليلِيَ خالدٍ * وعَزَّ مُصَاباً حَثْوُ(١) قبرٍ على قبر
أَبى القتلَ إلّا آلُ صِمَّةَ إنهم * أبَوْا غيره والقَدْرُ يَجْرِى الى القَدْر
فإمّا تَرَيْنا ما تزال دماؤنا * لدى واترٍ يَشْقَى بها آخرَ الدهر
فإنّا لَلَحْمُ السيفِ غيرَ نَكِيرةٍ * ونَلْحَمُه(٢) حينًا وليس بذى نُكْر
يُغَار علينا واترِين فيُشْتَفَى * بنا إن أُصِبْنا ، أو نُغِير على وِتْر
بذاكَ قَسَمْنا الدّهرَ شَطْرَيْنِ قسمةً * فما يَنْقضى إلا ونحن على شَطْر

وأخبرنى ابن عمّار قال : حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى محمد بن القاسم الأَسَدِىّ عن صاعدٍ مولى الكُمَيْت بن زيد يقول : أحسنُ شعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة ، وذكر هذه الأبيات .

يوم اللوى ومقتل أخيه عبد الله وما رثاه به من الشعر

قال أبو عُبَيدة : فأما عبد الله بن الصِّمَّة فإن السبب فى مقتله إنه كان غزا غَطَفانَ ومعه بنو جُشَمَ وبنو نَصْرٍ أبناءُ معاوية فظفر بهم وساق أموالَهم فى يوم يقال له يوم اللِّوَى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

(١) فى أ : «حثى قبر» يقال : حثوت عليه التراب أحثوه حثوا وحثيته أحثيه حثيا ، والياء أعلى .
(٢) لحمه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفى الصحاح : «ولا تقل ألحمه والأصمعى يقوله» .

أخوه دُرَيد : يا أبا فُرْعان — وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنًى : أبو فُرْعانَ، وأبو ذُفَافَة، وأبو أَوْفَى، وكلُّها قد ذكرها دُرَيدٌ فى شعره — : نَشَدْتُك اللهَ ألاَّ تنزل فإنّ غَطَفانَ ليست بغافلة عن أموالها، فأقسم لا يَرِيمُ حتى يأخذ مِرْباعَه(١) ويَنْقَعَ نَقِيعه(٢)، فيأكلَ ويُطْعِمَ ويَقْسِمَ البقيَّةَ بين أصحابه، فبيناهم فى ذلك وقد سَطَعتِ الدَّواخِنُ، إذا بغُبارٍ قد ارتفع أشدَّ من دُخَانهم، وإذا عَبْسٌ وفَزَارَةُ وأشْجَعُ قد أقبلتْ فقالوا لرَبِيئتهم(٣) : انظر ما ذا تَرَى؟ فقال أرى قوماً جِعاداً كأن سَرَابيلَهم قد غُمِستْ فى الجادِىّ(٤) قال : تلك أشْجَعُ، ليست بشىء . ثم نظر فقال : أرى قوما كأنهم الصِّبْيان، أسنّتهم عند آذانِ خيلهم. قال : تلك فَزَارةُ . ثم نظر فقال : أرى قوما أُدْماناً(٥) كأنما يحملون الجبلَ(٦) بسوادهم، يَخُدُّون(٧) الأرضَ بأقدامهم خَدًّا، ويَجُرُّون رماحَهم جَرًّا، قال : تلك عَبْسٌ والموتُ معهم! فتلاحَقُوا بالمُنْعَرَج من رُمَيْلَةِ اللِّوَى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بنى قارِبٍ وهم من بنى عَبْس عبدَ الله بن الصِّمَّة فتنادَوْا : قُتِل أبو ذُفَافة! فعطف دُرَيد فذَبَّ عنه فلم يُغْنِ شيئا وجُرِح دُرَيد فسقط فكَفُّوا عنه وهم يَرَوْن أنه قُتِل، واستنقذوا المالَ ونجا مَنْ هَرَب . فمرّ الزَّهْدَمانِ وهما من بنى عبس، وهما زَهْدَمٌ وقيسٌ ابنا حَزْن بن وهب بن رَوَاحَة وإنما قيل لهم الزَّهْدَمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما، كما قيل العُمَرانِ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والقمران للشمس والقمر. قال دُرَيد : فسمعتُ زَهْدَمًا العَبْسِىَّ يقول لكَرْدَم الفَزَارِىّ إنى لأَحْسَب دُرَيدًا حيًّا

٤/٩

(١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنيمة، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .

(٢) نقع الشىء فى الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع، ومثله أنقعه . نبذه : أى اتخذ منه النبيذ .

(٣) الربيئة : الطليعة .

(٤) الجادىّ : الزعفران .

(٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وحمران . والآدم من الناس : الأسمر .

(٦) فى جـ، م : «الأرض» .

(٧) يخدون : يشقون .

فآنزلْ فأَجهِز عليه، قال: قد مات، قال: آنزل فآنظر الى سُبّته[1] هل ترمَّز؟ قال دُرَيد: فسدَدتُ من حِتارها[2] أى من شَرَجها، قال فنظر فقال: هيهات، أى قد مات، فولّى عنّى، قال ومال بالزُّجّ فى شَرَج دُرَيد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد آحتقَن فى جوفه، قال دُرَيد فعرفت الخِفّة حينئذ فأمهَلتُ، حتى اذا كان الليلُ مَشَيْت وأنا ضعيف قد نَزَفنى[3] الدّمُ حتى ما أكاد أُبْصر، فجُزْتُ بجماعة تسير[4] فدخلتُ فيهم، فوقعتُ بين عُرْقُوبَىْ بعيرِ ظَعينة، فنفر البعيرُ فنادتْ: نعوذ بالله منك، فآنتسبتُ لها فأَعْلمتِ الحىَّ بمكانى، فغُسِل عنّى الدم وزُوِّدتُ زادًا وسِقاء فنجوتُ، وزعم بعض الغَطَفانيّين أن المرأة كانت فَزاريّة وأنّ الحىَّ كانوا علموا بمكانه فتركوه فداوتْه المرأةُ حتى برَأَ ولحِق بقومه، قال: ثم حَجّ كَرْدَم بعد ذلك فى نَفَرٍ من بنى عَبْس، فلما قاربوا ديارَ دُرَيد تنكّروا خوفًا، ومرّ بهم فأنكرهم، فجعل يمشى فيهم ويسألهم من هم؟ فقال له كَرْدم: عمّن تسأل؟ فدفعه دُرَيد، وقال: أمّا عنك وعمّن معك فلا أسأل أبدا، وعانقه، وأَهدى اليه فرسًا وسلاحا، وقال له: هذا بما فعلتَ بى يوم اللِّوَى.

وقال دُرَيد يرثى أخاه عبد الله:

أَرَثَّ جديدُ الحبلِ من أُمِّ معبدٍ * بعاقِبةٍ[5] وأَخلفتْ كلَّ مَوْعِدِ
وبانت ولم أَحمَد إليك جِوارَها * ولم تَرْجُ منّا رِدّةَ اليومِ أوغَدِ

---

(١) السبة بالضم: الاست. وترمز (بحذف إحدى تاءيها): تضطرب وتتحرك.

(٢) الحتار بالكسر: ما أحاط بالشىء كحتار الغربال والمنخل.

(٣) يقال: نزف الدم فلانا فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير حتى يضعف.

(٤) فى أ، م: «قيس».

(٥) بعاقبة أى بأخرة.

وهى طويلة وفيها يقول :

أعاذِلَتِى كُلُّ امرئٍ وابْنُ أمِّــه * متــاعٌ كزاد الراكب المـتزوِّد
أعاذل إنَّ الرُّزءَ أمثـالُ خالدٍ[1] * ولا رُزْءَ ممّـا أهلكَ المـرءُ عن يد
نصحتُ لعارِضٍ وأصحاب عارض * ورَهْطِ بنى السَّوْداء[2] والقومُ شُهَّدِى
فقلتُ لهـم ظُنُّوا[3] بألفَىْ مدجَّج * سَرَاتُهُـمُ فى الفـارسىِّ المُسَرَّد
أمرتُهُـمُ أمرِى بمُنْعَرَج اللِّـوَى * فلم يَسْتَبينوا الرُّشْـدَ إلّا ضُحَى الغَدِ
فلما عَصَوْنِى كنتُ منهم وقد أَرَى * غَوايتَهـم وأنَّنى[4] غـيرُ مهتـد
وهـل أنا إلّا من غَزِيَّةَ[5] إن غوَتْ * غَوَيْتُ، وإن تَرْشُدْ غَزِيّةُ أرشُد
دعانى أخى والخيـلُ بينى وبينـه * فلمـا دعانى لم يجِـدْنى بقُعْـدُد[6]
تنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارسًا * فقلت أعبــدُ الله ذلكُمُ الرَّدى
فإنْ يَكُ عبـدُ الله خلَّى مكانَه * فـلم يكُ وَقّافاً ولا طائشَ اليــد ٥/٩

(١) ذكر المؤلف فيا مر إخوة دريد وذكر منهم خالدا وعبد الله . والتصريح بهذا الاسم فى هذا الشعر الذى قاله دريد فى رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وعارضا (المذكور فى البيت التالى) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالد، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفافة وأبا فرعان أو أبا فرغان » .

(٢) رهط بنى السوداء يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهودى .

(٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بألفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم . والمدجج : التام السلاح، من الدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شىء، والمدجج يستر نفسه بالسلاح . وسراتهم : أشرافهم وسادتهم . والفارسى المسرد عنى به الدروع المتتابعة الحلق فى نسجها .

(٤) كذا فى حـ والحماسة . وفى سائر الأصول : « أو » .

(٥) غزية : قبيلة من هوازن . وهى رهط الشاعر .

(٦) القعدد كقنفذ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

ولا بَرِمًا(١) إذا الـــرياحُ تناوحتْ * برَطْبِ العِضاهِ والهَشِيمِ المعضَّــد
نظرتُ اليـــه والرِّماحُ تَنُوشُـــه(٢) * كوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسِيجِ المُمَدَّد
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ * وحتى عَلَانِى أشــقرُ اللونِ مُزْبِدُ(٣)
فـا رِمْتُ حتى خرَّقتْنى رماحُهــم * وغُودِرتُ أكبو فى القَنا المتقصِّدِ(٤)
قِتــالَ آمرِىءٍ واسَى أخاه بنفســه * وأيقن أنْ المرءَ غيرُ مخــلَّدِ
صــبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَدِ

فى بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صـــــوت

تمثل علىّ عليه السلام بشعره

أمرتُهُـــمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى * فلم يَسْتبينوا الرُّشْـدَ إلَّا ضُحَى الغدِ
فلما عصَوْنِى كنتُ منهم وقد أَرَى * غَوايَتَهــم وأنَّنى غـــير مهتـــدِ
وهلْ أنا إلّا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ * غَوَيتُ وإن تَرْشُـد غَزِيَّةُ أَرْشُـد

الغناء ليحيى المكىّ ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثَّل بها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عند مُنْصَرَفِهِ من صِفِّينَ .

---

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية الجدب . والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع بالمعضد . (٢) تنوشه : تتناوله . والصياصى : جمع صيصية وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى

قال التبريزى : ويروى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل فى الأحمر أحمرى وفى الدوّار دوّارى ثم خففت ياء النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

حدّثنى أحمد بن عيسى بن أبى موسى العِجْلىّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن مُزاحِم قال حدّثنا عمر بن سعيد عن أبى مِخْنَف عن رجاله أن عليًّا عليه السلام لمّا ٱختلفتْ كلمةُ أصحابه فى أمر الحَكَمَيْن وتفرّقت الخوارجُ وقالوا له ٱرجع عن أمر الحَكَمَيْن وتُبْ وٱعترف بأنك كفرتَ إذ حَكَّمتَ، ولم يَقْبَل ذلك منهم، وخالَفوه وفارقوه تمثّل بقول دُرَيد :

أمرتُهُمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى * فلم يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغدِ

الأبيات :

أخوه عبد الله وأسماؤه وكناه

قال أبو عُبَيدة : كانت لعبد الله بن الصِّمَّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنًى : عبد الله ومَعْبَد وخالد . ويكنى أبا ذُفَافة وأبا فُرْعانَ وأبا أَوْفَى .

وقال دُرَيد :

أبا ذُفَافةَ مَنْ للخيل إذ طُرِدَتْ * فٱضطرَّها الطعنُ فى وَعْثٍ[1] وإيجافِ

يا فارسَ الخيلِ فى الهَيْجاء إذ شُغِلتْ * كلتا اليدين دَرُورًا غيرَ وَقّافِ

له أفضل بيت فى الصبر على النوائب

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضلُ بيت قالته العرب فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد ابن الصِّمَّة :

قليلُ التَّشكِّى للمُصيباتِ حافظٌ * من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غد

عاتبته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها وقال شعرا

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبَير عن أبى المُهاجِر، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيْبانىّ ، أنّ أُمّ مَعْبَد التى ذكرها دُرَيد فى شعره هذا كانت امرأتَه فطلّقها ، لأنها

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والايجاف : سرعة السير .

رأته شديدَ الجَزَع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغَّرتْ شأن أخيه وسبَّته ، فطلَّقها وقال فيها :

أرَثَّ جديدُ الحبل من أم مَعْبِد * بعاقِبــةٍ وأخْلفتْ كلَّ موعدِ

وبانت ولم أحمَــد اليكَ جِوارَها * ولم ترْجُ منــا رِدّة اليــوم أو غد ٦/٩

فقالت له أمُّ مَعْبَد : بئسَ واللهِ ما أثنيتَ عليّ يا أبا قُرَّة! لقد أطعمتُك مأْدومى، وبَثَثْتُك مكتومى، وأتيتُك باهِلًا[1] غيرَ ذاتِ صِرَار وما استفرمتُ[2] قبلك إلّا من حَيْض.

وقال أبو عُبَيدة فى خبره : بلغ دُرَيدَ بن الصِّمَّة أن زوجته سَبَّتْ أخاه فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال فى ذلك :

أعبــدَ الله إن سَبَّتْكَ عِرْسِى * تقدَّم بعضُ لحمى قبل بعض

إذا عِرْسُ امرِئٍ شتمتْ أخاه * فليس فــؤاد شانئــه بحَمْض[3]

مَعَاذَ اللهِ أن يشتُمْنَ رَهْطِى * وأن يَمْلِكْنَ إبرامى ونَقْضى

حارب غطفان يوم الغدير طالبا بثأر أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : أغار دُرَيد بن الصِّمَّة بعد مقتل أخيه عبدالله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه، فاستقراهم[4] حَيًّا حَيًّا، وقتل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مُرّ، وأسَر ذُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارِب، أسَره مُرّةُ بن عَوْف الجُشَمِى. فقالت بنو جُشَم: لو فادَيْنَاه[5]! فأبَى ذلك دُرَيد عليهم، وقتله بأخيه عبد الله، وقتل من بنى فَزَارةَ رجلا يقال له حِزَام وإخوةً له ، وأصاب

(١) الباهل فى الأصل : الناقة لا صرار عليها ، تريد أنها أباحته نفسها . (٢) كذا فى حـ ، واستفرمت المرأة : تضيقت بالفــرم (بفتح أوله واسكان ثانيــه) أى عالجت ذلك الموضــع منها ليضيق ويستحصف ، وربما تعالج بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها . (٣) فؤاد حمض : فاســد متغير . (٤) استقراهم : تتبعهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفى القرآن الكريم (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم) .

جماعةً من بنى مُرّةَ ومن بنى ثَعْلبة بنِ سَعْد ومن أحياء غَطَفانَ ، وذلك فى يوم الغَدِير . وفى هذا اليوم وفى مَنْ قُتِل فيه منهم يقول :

تأبّد من أهلِه مَعْشَر * بجَوّ سُوَيْقة(١) فالأصْفَر
فجزْعُ الحُلَيْف(٢) الى واسِط * فذلك مَبْدًى وذا مَحْضَر
فأبلغْ سُلَيْمَى وألفافَها(٣) * وقد يَعْطِف النَّسَبُ الأكبرُ
بأنّى ثأرتُ بإخوانكم * وكنتُ كأنّى بهم مُخْفِر(٤)
صبَحْنا فَزارةَ سُمْرَ القنا * فمَهْلًا فَزارةُ لا تَضْجَروا
وأبلغْ لَدَيْك بنى مازن * فكيف الوَعيدُ ولم تَقْدِروا
فإن تَقْتُلوا فِتْيةً أُفْرِدوا * أصابهم الحَيْنُ أو تَظْفَروا
فإنّ حِزامًا لدى مَعْرَك * وإخوتَه حولَهم أنْسُر
ويومَ يزيدِ بَنِى ناشِبٍ * وقَبْلُ يَزِيدُكُم الأكبرُ
أثَرْنا صَريخَ بنى ناشِبٍ * ورَهْطَ لَقِيط فلا تَفْخَروا
تجُرّ الضِّباعُ(٥) بأوصالهم * ويَلْقَحْنَ منهم ولم يُقْبَروا

(١) تأبد : أقفر . ومعشر وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفرده لف بالكسر .

(٤) أخفره : نقض عهده وغدره . والهمزة فيه للازالة أى أزال خفارته كأشكاه اذا أزال شكواه .

(٥) يشير الى ما هو معروف عن الضبع من أنها اذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه فتركبه وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية والحيوان للجاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول فى ذلك أيضا دُرَيد بن الصِّمَّة فى قصيدة له أخرى :

جَزَيْنا بَنى عَبْس جزاءً موفَّرًا * بمقتل عبد الله يومَ الذَّنائبِ (١)

ولولا سوادُ الليل أدْرَكَ رَكْضُنا * بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى (٢) عِياضَ بنَ ناشِب

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداتِه * ذُؤابَ بن أسماءَ بنِ زيد بن قارِب

قال أبو عبيدة : أنْشِد عبدُ الملك بن مروان شعرَ دريد بن الصِّمَّة هذا فقال : كاد دريد أن يَنْسُب ذؤابَ بنَ أسماءَ إلى آدمَ . فلما بلَغ المُنْشِدُ قولَه :

ولولا سوادُ الليل أَدْرك رَكْضُنا * بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشِب

٧/٩ قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيتْ له قليلا حتى يُدْرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا فى هذه الوقعة :

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداتِه * وخيرَ شَبابِ الناس لو ضُمَّ أجمعَا

ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيدبنِ قارِب * منيّتُه أَجْرَى (٣) إليها وأَوْضَعا

فتًى مثل مَتْنِ السيف يهتزُّ للنَّدَى * كعاليةِ الرُّمْح الرُّدَيْنِىّ أرْوَعا

أغرته أمه بالاستعانة بأخواله فى ثأر أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء.

وقال ابن الكَلْبىّ : قالت رَيْحانة بنت معد يكرِب لدُرَيد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مَقْتَل أخيه : يابنىّ إن كنتَ عجَزتَ عن طلب الثأر بأخيك فاستعِنْ بخالك وعشيرته من زُبَيْد ، فأنِف من ذلك وحلَف لا يَكْتَحِل ولا يَدَّهِنُ ولا يَمَسُّ طِيبًا ولا يأكل لحمًا ولا يشربُ خمرا حتى يُدْرِكَ ثأرَه ، فغزا هذه الغَزاةَ وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها ، وقال : هل بلغتُ مافى نفسك ؟! قالت : نعم مُتِّعتُ بك ! ورُوِىَ عن ابن الكَلْبىّ لرَيْحانةَ فى هذا المعنى أبياتٌ لم تَحْضُرْنى وقد كتبتُ خبرها .

---

(١) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغانى ج ٥ ص ٣٥ — ٦٣ طبع دار الكتب المصرية). (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نبتان . (٣) أجرى إليها : قصد إليها .

أخـوه قيس بن الصمة ومقتله

وأمّا قتيل أبى بكرٍ الذى ذكره دُرَيد فإنه أخوه قَيْس بن الصِّمَّة، قتله بنو أبى بكر آبنِ كِلاب . وكان السببُ فى ذلك، فيما أخبرنى به هاشم بن محمد عن دَمَاذ عن أبى عُبَيدة، أنّه غزا فى قومه بنى خُزَاعة من بنى جُشَم، فأغاروا على إبلٍ لبنى كَعْب ابن أبى بكر بن كِلَاب، فآنطلقوا بها . وخرج بنو أبى بكر بن كِلاب فى طلبها حتى إذا دنَوْا منهم قال عمرو بن سُفْيانَ الكِلابىّ، وكان حازمًا عاقلا، امكثوا، ومضى هو متنكّرا حتى لِقَيَ رجلا من بنى خُزَاعةَ فسلّمَ عليه وآستسقاه فسقاه وآنتسب له هِلاليًّا، فسأله عن قومه وأين مَرْعَى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائدًا(١) لقومه يريد مجاورتهم، فخبّره الرجل بكلّ ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيَتَه، فصبّح القومَ فظفرتْ بهم بنو كِلَابٍ وقتلوا قيسَ بن الصِّمَّة، وذهبوا بإبل بنى خُزَاعة وآرتجعوا إبلَهم(٢) . وكان يقال لعمرو بن سُفْيانَ ذو السيفينْ ، لأنه كان يَلْقَى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدُهما . وإيّاه عَنَى دُرَيدُ بن الصِّمَّة بقوله :

إنّ آمرأً بات عمُرو بين صِرْمَتِـه(٣) * عمُرو بن سُفْيانَ ذو السَّيفينْ مغرورُ
يا آلَ سـفيانَ ما بالِى و بالكُمُـو * هل تَنْتَهون و باقِى القـولِ مأثور؟
يا آلَ سُفْـيانَ ما بالِى وبالكُمـو * أنتم كبـيرٌ وفى الأحلام عُصْـفور
هلّا نَهيتُمْ أخاكم عن سَفاهتـه * إذ تَشْربون وغاوِى الخمرِ مدحور؟
لا أعْرِفَنْ لِمَّةً سَـوْداءَ داجِيـةً * تدعو كِلابا وفيهـا الرمُحُ مكسـور
لن تَسْـبِقونى ولو أمهلتُكم(٤) شَرَفًا * عُقْبى إذا أبطأ الفُخْجُ(٥) المَخَاصِير(٦)

(١) فى ب، س، حـ : «زائرا» وهو تحريف . (٢) فى ب، س : «أموالهم» .
(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف فى عدده .
(٤) فى ب، س : «أمهلتكم» . (٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع أفحج أو فحجاء، وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والدابة .
(٦) المخاصير : جمع مخصور وهو الذى يشتكى خصره .

خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان

وأخبرنا بخبر ٱبتداء هـذه الحروب محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ٱبن الأعرابىّ قال :

أغارت بنو عامر بن صَعْصَعَة وبنو جُشَم بن معاوية على أَسَد وغَطَفانَ، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة وعمرو بن سفيان بن ذى اللِّحْيَة مُتسانِدِين (١) ، فـدُرَيد على بنى جُشَم ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصِّمَّة لأخيه : ٨/٩ إنّى غيرُ مُعْطِيكَ الرِّياسةَ ، ولكنّ لى فى هذا اليوم شأنا . ثم ٱشترك عبدُ الله وشَراحِيلُ ٱبن سفيان ، فلمـا أغار القوم أخذ عبد الله من نَعَم بنى أَسَد ستّين وأصاب القومُ ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جَذِيمةَ عبـدَ الله بنَ الصِّمَّة فقال له عبـد الله بن الصِّمَّة : ٱرجع فإنى كنتُ شاركتُ شَراحِيـلَ بن سُفْيانَ ، فإن ٱسـتطاع دُرَيد فليأتِه وليأخذ مالى منه . وأقام دُرَيدٌ فى أواخر الحىّ فقال له عمرو : ٱرْتَحِلْ بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخُ (٢) ، فقال : إنى أنتظر أخى عبدَ الله . حتى إذا أطال عليه قال له : إن أخاك قد أدْرك فوارسَ من الحُلَيْفِيِّين يسوقون بظُعُنهم فقتلوه . فٱنطلَقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دُرَيد لشَراحِيلَ (٣) : إن عبد الله أنبأنى ولم يَكذِبْنى قَطُّ أنّ له شَرِكةً مع شَراحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه . فقالوا له : ما شاركناه قطّ . فقال دريد : ما أنا بتارككم حتى أستحلِفكم عند ذى الخَلَصَة (وثنٍ من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا ، ثم جاء عبدُ الله بغَنيمةٍ عظيمة فجاءوه يَنْشدونه الشِّرْكَ . فقال لهم دريد : ألم أُحَلِّفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتـل . فقالوا : ما حلَفْنا وجعلوا يُناشِـدون عبدَ الله أن يُعطيَهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريدٌ ، فأبى أن يَرْضى فتوعّدوه أن يَسْرقوا إبلَه . فقال دريد فى ذلك :

(١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة .

(٣) بالتأمل فى سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثلُ قلبِك فى الأهواء معذورُ * والحبُّ بعد مَشيبِ المرءِ مغرورُ

وذكر الأبياتَ التى تقدّمتْ فى الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلَبتم صديقًا تَبطِشون به * كما تهــدّم فى المــاء الجمَــاهيرُ[1]

وأنتم مَعشرٌ فى عِرْقِكم شَــنَجٌ[2] * بُزْخُ الظهورِ وفى الأستاهِ تأخيرُ

قد علِم القــومُ أنىّ من سَرَاتهمُ * إذا تَقبّض فى البطن المَذَاكيرُ

وقد أَرُوعُ سَوامَ القوم ضاحيةً * بالجُرْدِ[3] يَرْكُضُها الشُّعْثُ المَغَاوِيرُ

يَحمِلن كلَّ هِجَــانٍ[4] صارِمٍ ذَكَرٍ[5] * وتحتهم شُزَّبٌ[6] قُبٌّ مَضَــامير

أَوَعَدْتُمُــو إبلِى كلّا سيمنعُهــا * بنو غَزِيّةَ لا مِيلٌ ولا صُــورُ[7]

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به

وأمّا عبد يَغُوثَ بن الصِّمّة وخبرُ مقتــله فإنه كان ينزل بين أظْهُر بنى الصّادِر فقتلوه . قال أبو عُبَيدةَ فى خبره : قتــله مُجمِّع بن مُزَاحِم أخو شَجْنةَ بنِ مُزاحِم وهو من بنى يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة . فقال دُرَيد بن الصِّمّة :

أَبلِــغْ نُعَيمًا وأَوْفَى إنْ لَقِيتَهمــا * إن لم يكن كان فى سَمْعَيْهما صَمَمُ

فمــا أخى بأخى سَوْءٍ فينْقُصَه * إذا تَقارَبَ بابن الصّادِرِ القِسَمُ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

(٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر . والمغاوير جمع مغوار وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «كرم» . (٦) الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أصور وهو المائل . وفى حـ ، أ ، م «ولا عور»

ولن يَزال شِهاباً يُسْتضاء به * يَهْدِى المَقَانِبَ[١] مالم تَهْلِكِ الصِّمَمُ[٢]

عارِى الأشاجِع[٣] مَعْصوبٌ بلِمَّته * أمرُ الزَّعامة ، فى عِرْنِينِه شَمَمُ

خالد بن الصمة ومقتله

قال أبو عُبَيدة : أمّا قوله " أو نَدِيمَى خالدِ " ، فإنه يعنِى خالدَ بن الصِّمَّة ؛ فإن بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بنِ معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلتْ بنو الحارث خالدَ بن الصِّمَّة ، وإيّاه عَنَى . وقال غيرُ أبى عُبيدةَ : خالد بن الحارث الذى[٤] عناه دُرَيدٌ هو عمُّه خالد بن الحارث أخو الصِّمَّة بن الحارث قتلته أَحْمَسُ (بطنٌ من شَنُوءَةَ) ، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة أغار عليهم فى قومه فظفِر بهم وٱستاق إبلَهم وأموالَهم وسَبَى نساءَهم وملأ يديه وأيدىَ أصحابه ، ولم يُصَبْ أحدٌ ممّن كان معه إلّا خالدَ بن الحارث عمَّه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيد بن الصِّمَّة يَرْثِيه :

٩/٩

يا خالدًا خالدَ الأَيْسارِ والنّادِى * وخالدَ الرِّيح إذ هَبَّتْ بصُرّادِ[٥]

وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيش به * وخالدَ الحرب إذ عَضَّتْ بأَزْراد[٦]

وخالدَ الرَّكْبِ إذ جَدّ السِّفارُ بهم * وخالدَ الحىّ لمّا ضُنَّ بالزاد

---

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هى عروق ظاهر الكف واحدها أشجع . والعرنين : الأنف .

(٤) كذا فى الأصول . ولعله : « خالد الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا فى أ ، م . والأزراد : جمع زرد وهى الدرع المزرودة ؛ سميت بذلك للينها وتداخل بعضها فى بعض . وفى سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عُبَيدة: قال دُرَيد يَرْثِى أخاه خالدا :

أَمَيْمَ أَجِدِّى عافِىَ الرُّزْءِ وٱجْشَمِى * وشُدِّى على رُزْءٍ ضلوعَك وٱبْأَسِى
حرامٌ عليهـا أن تَرَى فى حياتهـا * كمثلِ أبى جَعْدٍ فعُودِى أوِ ٱجلِسى
أعفَّ وأَجْـدَى نائلًا لعَشِـيرةٍ * وأَكرمَ مخـلودا(١) لدى كلّ مجلِس
وألينَ منـه صَفْحةً لعَشـيرةٍ * وخيرًا أبا ضـيفٍ وخيرًا لمجلس
تقـول هِلالٌ خارجٌ من غَمـامةٍ * إذا جاء يجْـرِى فى شَلِيلٍ(٢) وقَوْنَس
يَشُدّ متونَ الأَقْرَبين بهـاؤه * ويُخْبِث نفسَ الشـانئ المُتَعبِّس
وليس بمِكْبابٍ(٣) إذا الليـلُ جَنَّـه * نؤومٍ إذا ما أَدْلَجُوا فى المُعَـرَّس
ولكنّـه مِدْلَاجُ ليـلٍ إذا سَرَى * يُنِـدُّ(٤) سُـرَاه كلَّ هـادٍ مُمَلَّس(٥)

هذه روايةُ أبى عُبَيدة .

يوم ثيل

وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصِّمَّة قُتل فى غارةٍ أغارتْها بنو الحارث بن كَعْب على بنى نَصْر بن معاوية فى يومٍ يقال له يوم ثيل(٦)، فأصابوا ناسًا من بنى نصر. و بلغ الخبرُ بنى جُشَمَ فلحِقوهم، ورئيس بنى جُشَمَ يومئذٍ مالكُ بن حَزْن، فآستنقَذوا ما كان فى أيديهم من غنائم بنى نصر، فأصابوا ذا القَرْن الحارثىّ أسيرًا وفقَـأوا عينَ شهاب بن أَبَان الحارثىّ بسهم،

(١) كذا فى الأصـول . (٢) الشليل : الغـلالة تلبس تحت الدرع . والقونس أعلى بيضة الحديد، وقيل مقـدم البيضة . (٣) المكباب : الكثير النظـر الى الأرض .
(٤) ينِدّ : يشرد وينفر . (٥) كذا فى الأصول. والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع ، ومثله «العمرس» .
(٦) لم نجـد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفى ياقوت : «ثِيَل بالفتح ثم السكون ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة» .

وقُتِــل يومئذ خالد بن الصِّمَّة وكان مع مالك بن حَزْن، وأصابت بنو جُشَمَ منهــم ناسا، وكان رئيسُ بنى الحارث بن كعب يومئذ شِهابَ بن أَبَان، ولم يشهَد دُرَيد ابن الصِّمَّة ذلك اليــوم؛ فلما رجعوا قتــلوا ذا القَرْن بخالد بن الصِّمَّة، ولـمـا قُدِّم لتُضرَبَ عُنُقُه، صاح بأَوْس بن الصِّمَّة، وكان له صديقا، ولم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقُتِل. فلما قَدِم أَوْسٌ غضِب وقال: أقتلتم رجلا آستجار بآسمى! فقال عَوْف بن معاوية فى ذلك:

نُبِّئتُ أَوْسًا بَكَى ذا القَرْنِ إذ شربا * على عُكَاظ بــكاءً غالَ مجهــودى[1]
إنِّى حلَفتُ بمـا جمَّعتُ من نَشَبٍ * وما ذبَحتُ على أنصابــكَ السُّودِ
لتبكِينَّ قَتِيــلًا منــك مُقْترِبًا * إنِّى رأيتُــك تبــكى للأباعيــد

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيبا

أخبرنى هاشم بن محمــد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسَّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى عبــد الله بن مالك النحوىّ الضَّرير قال حدّثنا محمــد بن حَبِيبَ عن آبن الأعرابىّ قال:

تزوّج دُرَيد بن الصِّمَّة آمرأةً فوجدها ثَيِّبا، وكانوا قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل اليها، وأخذ سيفَه فأقبل به اليها ليضربها، فتلقّته أُمُّها لتدفعه عنها، فوقَف يدَيْها (أى حَزَّها ولم يقطعهما)، فنظر اليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال:

١٠/٩

أَقَرَّ العــينَ أن عَصَبَتْ يديها * وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ
فأبقاهنّ أن لهنّ جَــدًّا * وواقيــةً كواقيــة الــكلاب

قالوا: يريد أن الكلب يُصيبه الجُرح فيَلْحَس نفسَه فيبرَأ.

---

(١) فى جـ: «مجلودى».

ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي

قال أبو عُبَيدة وٱبن الأعرابىّ جميعا فى هذه الرواية : أَسَرَ دُرَيْدُ بن الصِّمَّة عِياضًا الثَّعْلَبىّ أحدَ بنى ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان فأنعم عليه[(١)] . ثم إن دُرَيدا أتاه بعد ذلك يَسْتثيبه . فقال له : إيتِ رَحْلَك حتى أبعثَ اليك بثوابك ؛ فٱنصرف دُرَيدٌ . فبعث اليه بوَطْبٍ[(٢)] نصفُه لبن ونصفُه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلّا قليلاً حتى أغار على بنى ثَعْلبةَ ، وٱستاق إبلَ عِياض ، وأَفْلَتَ عياضٌ منه جريحًا ؛ فقال دُرَيد فى ذلك من قصيدةٍ :

فإن تَنْجُ يَدْمَى عارضاكَ فإنّنا * تركنا بنيكَ للضِّبَاعِ وللرُّخْمِ[(٣)]
جزَيتُ عِياضًا كفرَه وعُقُوقَه * وأخرجتُه من المُدَفَّأة[(٤)] الدُّهْمِ
ألَا هل أتاه ماركِبْنا سَراتَهم * وما قد عقَرْنا من صَفِىٍّ[(٥)] ومن قَرْمِ

هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه.

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال :
هجا دُرَيد بن الصِّمَّة عبدَ الله بن جُدْعانَ التَّيْمىّ تَيْم قُرَيش فقال :

هل بالحوادث والأيام من عَجَبِ * أم بٱبنِ جُدْعانَ عبدِ الله من كَلَبِ
ٱستٌ حَمِيتٌ[(٦)] وهى فى عِكْمٍ ربَتّه * فى يوم حرٍّ شديد الشرّ والهرَبِ
إذا لقيتَ بنى حَرْبٍ وإخوتَهم * لا يأكلون عَطِينَ[(٧)] الجلد والأُهُبِ
لا يَنْكُلُون ولا تُشْوِى[(٨)] رماحُهم * من الكُمَاة ذوى الأبدان والجُبَبِ[(٩)]

(١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء للبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم . (بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رخمة (بفتح الراء والخاء) . وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الابل الكثيرة الأوبار والشحوم .
(٥) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحميت : المتين . والعكم (بكسر العين وسكون الكاف) : العدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أى الحبل . ويلاحظ أن هذا الشطر غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوى : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى : الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجبب : جمع جبة وهى هنا الدرع أيضا .

فآقعُد بَطِينًا مع الأقوام ما قعـدوا * وإن غزوتَ فلا تُبْعَدْ من النَّصَب
فلو ثَقِفتُكَ(١) وَسْطَ القوم تَرْصُـدُنى * إذًا تلبَّس منـك العِرْضُ(٢) بالحَقَب
وما سمعتُ بصَقرٍ ظَلّ يرصُـــده * من قبل هذا بجَنْبِ المَرْج(٣) من خَرَب(٤)

قال: فلقيه عبد الله بن جُدْعان بُعكاظ فحيّاه وقال له: هـل تعرفنى يا دُرَيد؟ قال لا. قال: فلِمَ هجوتَنى؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جُدْعان. قال: هجوتك لأنك كنتَ امرأً كريما، فأحببتُ أن أضع شعرى موضعَه. فقال له عبد الله: لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ؛ وكساه وحمله على ناقة برَحْلها. فقال دُرَيد يمدحه:

إليـك آبنَ جُدْعانَ أعْملتُهـا * مخفَّفــةً للسُّرى والنَّصَبْ
فلا خَفْضَ حتّى تُلَاقِى آمرأً * جَوادَ الرِّضا وحَلِيمَ الغَضَبْ
وجَلْدًا إذا الحربُ مَرَّتْ به * يُعِينُ عليها بجَزْل الحَطَبْ
رَحَلْتُ البــلادَ فما إن أَرَى * شَبِيهَ آبنِ جُدْعانَ وَسْطَ العَرَبْ
ســوى مَــلِكٍ شامخٍ ملـكُه * له البحرُ يَجْرِى وعينُ الذَّهَبْ

١١/٩ أخبرنا أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلّام موقوفًا عليـه لم يتجاوزْه الى غيره، وحدّثنى حَبِيبُ بن نَصْر المهلَّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة عن الأصمعىّ وأبى عُبَيدة، وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبى عبيدة، وأخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى علىُّ بن المُغِيرة عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان

تغزل فى الخنساء وخطبها فامتنعت وتهاجيا

(١) ثقفه: صادفه. (٢) العرض هنا: الجسـد، والحقب شىء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى تشده على وسطها. يريد اذا صادفتك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت.
(٣) كذا فى الأصول. ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الورى يقتدح به. (٤) الخرب: ذكر الحبارى، وقيل الحبارى كلها.

قال حدّثنى أبو بكر العامرىّ قال حدّثنى ابن نوبة (١) عن أبى عَمْرو الشَّيْبانىّ، وأخبرنى عمّى قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابىّ (٢)، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم فى هـذا الموضع، أن دُرَيد بن الصِّمَّة مرّ بالخَنْساء بنت عمرو بن الشَّرِيد، وهى تَهْنَأ بعيرًا لها وقد تبذّلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابَها فاغتسلتْ ودُرَيد بن الصِّمَّة يراها وهى لا تشعر به فأعجبتْه؛ فانصرف الى رَحْله وأنشأ يقول:

حَيُّوا تُمَاضِرَ وآرْبَعوا صَحْبِى * وقِفُوا فإن وقوفَكم حَسْبِى
أخُنَاسُ قد هام الفؤادُ بكم * وأصابه تَبْلٌ من الحُبّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كاليوم طالِيَ أينُقٍ جُرْبِ
متبذّلا تَبْدو محاسنُه * يضع الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ (٣)
متحسّرا نَضَح الهِناءُ به * نَضْحَ العَبِير بِرَيْطَةِ العَصْبِ (٤)
فسَلِيهمُ عنّى خُنَاسُ إذا * عَضَّ الجميعَ الخَطْبُ ما خَطْبِى

— قالوا: وتُمَاضِرُ اسمُها. والخنساءُ لقبٌ غلَب عليها — فلما أصبح غدا على أبيها (٥) فخطبها اليه. فقال له أبوها: مرحبًا بك أبا قُرّة! إنك لَلْكريمُ لا يُطْعَن فى حَسَبِه، والسيِّد لا يُرَدّ عن حاجته، والفحل لا يُقْرَع أنفُه. — وقال أبو عبيدة خاصّة مكانَ "لا يُطعن فى حسبه" "لا يطعن فى عيبه" (٦) — ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرُك لها

(١) الذى فى ج، أ: «... وأخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنى أبو نوبة ... الخ».
(٢) فى أ، م هنا زيادة، هى: «وأخبرنى محمد بن خلف قال حدثنى أبو بكر العامرى عن ابن الأعرابى».
(٣) الهناء: القطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الجرب. والواحدة نقبة، وقيل هى أول ما يبدو من الجرب. (٤) فى ب، س: «العطب». والعطب (بالضم وبضمتين): القطن. (٥) فى الأمالى ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطبها الى أخيها معاوية. (٦) كذا فى الأصول. ولعلها: «فى غيبه» بالغين المعجمة.

وهى فاعلةٌ . ثم دخل اليها وقال لها : ياخَنْساء، أتاك فارسُ هوازنَ وسيِّدُ بنى جُشَم دُرَيد بن الصِّمّة يخطُبك وهو مَنْ تعلمين، ودُرَيد يسمع قولَهَا . فقالت : يا أبتِ، أتُرَانى تاركةَ بنى عمّى مثلَ عَوَالِى الرِّماح وناكحةً شيخَ بنى جُشَم هامةَ(١) اليومِ أو غدٍ! . فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قُرَّة قد آمتنعتْ ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولَكما ، وآنصرف . هذه رواية مَنْ ذكرتُ . وقال ابن الكلبيّ : قالت لأبيها : أَنظِرْنى حتى أشاوِرَ نفسى ، ثم بعثتْ خَلْفَ دريد وليدةً فقالت لها : انظرى دُرَيدا إذا بال، فإن وجدتِ بولَه قد خرَق الأرضَ ففيه بقيّة، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فأتّبعتْه وليدتُها ثم عادت اليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساح على وجه الأرض، فأمسكتْ . وعاود دُرَيد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالةَ المذكورةَ، ثم أنشأتْ تقول :

أتخطُبنى ، هُبِلْتَ ، على دُرَيد * وقد أطْرَدْتُ(٢) سيِّدَ آلِ بَدْرِ!
معاذَ اللهِ يَنْكِحُنى حَبَرْكَى(٣) * يقال أبوه من جُشَم بنِ بكر
ولو أمسيتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا(٤) * لقد أمسيتُ فى دَنَسٍ وفَقْر ١٢/٩

فغضب دُرَيد من قولها وقال يهجوها :

وقاكِ اللهُ يابْنَةَ آلِ عَمْرٍو * من الفِتْيانِ أمثالى ونَفْسِى
فلا تَلِدِى ولا يَنْكِحْكِ مثلى * اذا ما ليلةٌ طرَقتْ بنَحْس

---

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غد، اذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين، والأنثى منه حبركاة . وقد ورد هذا البيت فى اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديى حبركى * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علِم المَرَاضِعُ فى جُمادَى * إذا آستعجَلْنَ عن حَزٍّ[(١)] بنَهْس
بأنّى لا أَبِيتُ بغيرِ لحمٍ * وأَبْدأُ بالأرامل حين أُمْسِى
وأنّى لا يَنالُ الحَىُّ ضَيْفِى[(٢)] * ولا جارِى يَبِيتُ خبيثَ نفس
اذا عُقَبُ القُدورِ تَكُنَّ مالاً[(٣)] * تَحُتُّ حلائلَ الأَبْرام عِرْسِى
وأصفرَ من قِداح النَّبْع صُلْبٍ * خفىِّ الوَسْمِ فى ضَرْسٍ[(٤)] ولَمْس
دَفَعْتُ الى المُفيضِ[(٥)] اذا آستقلُّوا * على الرُّكُباتِ[(٦)] مَطْلَعَ كلِّ شَمْس
فإن أَكْدَى[(٧)] فتامِكَةٌ[(٨)] تُوَدَّى * وإن أَرْبَى فإنى غيرُ نِكْس
وتزعُم أننى شيخٌ كبيرٌ * وهل خبَّرتُها أنى آبنُ أمسِ

---

(١) الحز: القطع. والنهس: تعرّق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأمالى:

* وأنى لا يهر الضيف كلبى *

أى لا ينبح فى وجهه لأنسه به. (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول: «تكن ملا ى» وهو تحريف. ورواية هذا الشطر فى الأمالى واللسان (فى مادة برم): «اذا عقب القدور عددن مالا». وعقبة القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل؛ يقال حته دراهمه اذا عجل له النقد. وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه اذا اشتد القحط وعدّت عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: اللئام؛ الواحد: برم؛ وهو فى الأصل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر. (٤) ضرس السهم: عجمه. (٥) المفيض: الضارب بالقداح. (٦) فى الأصول: «الركبان» والتصويب عن الأمالى؛ ويروى فيه:

دفعت الى النجىّ وقد تجاثوا * على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو على قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعى: هذا غلط؛ إنما هو مغرب كل شمس؛ لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٧) أكدى: أخفق ولم يصب.

(٨) كذلك فى الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث. والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شَرَنْبَثَ (١) القدمين شَثْنًا * يُبادر بالجدائر كلَّ كِرْسِ
وما قَصُرتْ يدى عن عُظْمِ أمرٍ * أهُمُّ به ولا سَهْمِى بِنِكْسِ
وما أنا بالمُزَجَّى (٢) حين يسمو * عظيمٌ فى الأمور ولا بِوَهْسِ

قال : فقيل للخَنْساء : ألا تُجيبينَه؟ فقالت : لا أَجْمَع عليه أن أَرُدَّه وأَهْجُوَه .

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : لمّا أَسَنَّ دُرَيد جعل له قومه بيتًا مفردا عن البيوت، ووكّلوا به أَمَةً تخدُمه، فكانت اذا أرادت أن تُبْعِدَ فى حاجة قَيَّدَتْه بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يادُرَيد؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ أقذف أهداف المنون (٣) كما * يَرْمِى الدَّرِيئةَ (٤) أَدْنَى فُوقةِ (٥) الوَتَرِ
فى مَنْصَفٍ (٦) من مَدَى تسعين من مائة * كَرْمية الكاعب العَذْراء بالحجر
فى منزلٍ نازحٍ م الحىّ مُنْتَبِذٍ * كمَرْبَط العَيْرِ لا أُدعى الى خبر

---

(١) الشرنبث : الغليظ . والشثن : الغليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض . والجدائر : جمع جديرة وهى الحظيرة . وقد رواه أبو على فى الأمالى :

تريد أفيحج الرجلين شثنا * يقلع بالجديرة كل كرس

وقال : ويروى :

تريد شرنبث الكفين شثنا * يقلع بالجدائر كل كرس

(٢) المزجى من القوم : المزلج وهو الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة، والدون من كل شىء، والبخيل . والوهس : الذليل الموطوء . (٣) فى ا ، م : « السنين » . وفى حـ : « المئين » . (٤) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامى الرمى؛ قال عمرو بن معد يكرب :

ظللت كأنى للرماح دريئة * أقاتل عن أبناء جرم وفرت

(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زنمتاه . وهذيل تسمى الزنمتين الفوقتين . (٦) منصف الشىء : وسطه

كأنّى خَرَبٌ(١) قُصَّتْ قوادمُــه * أو جُثَّةٌ من بُغَاثٍ فى يَدَىْ خَصِر(٢)
يُمْضُون أمرَهمُ دونى وما فقــدوا * منّى عزيمــةَ أمرٍ ما خَلا كِبَرِى
ونومةٌ لستُ أقضيها وإن مَتُعتْ(٣) * ومامضَى قبلُ من شأوى ومن عُمُرى
وأننى رَابَنِى قيــدٌ حُبِسْتُ به * وقــد أكون وما يُمْشَى على أثَرِى
إن السِّنين إذا قَرَّبْنَ من مائة * لَوَيْنَ مِرَّةً(٤) أحــوالٍ على مِرَرِ

أخبرنى هاشم بن محمــد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أَسْنَنْتَ وضعُف جسمك وقُتــل أهلك وفَنِىَ شبابك ، ولا مال لك ولا عُدّة ، فعلى أىّ شىء تعوّل إن طال بك العمر أو على أى شىء تُخَلِّف أهلَك إن قُتلتَ ؟ فقال دُرَيد :

صــــوت

أعاذلَ إنمــا أَفْــنَى شَــبابى * ركوبى فى الصَّريخ الى المُنادِى ١٣/٩
مع الفِتْيان حتى كَلَّ جســمى * وأقرحَ عاتِقِى حَمْــلُ النِّجاد
أعاذلُ إنــه مالٌ طَــرِيفٌ * أحَبُّ إلىَّ من مالٍ تِلاد
أعاذل عُــدَّتِى بَدَنِى(٥) ورُمْحِى * وكلُّ مقلِّص شَكِس القِياد
ويَبْقَى بعــد حِلْم القوم حِلْمِى * ويَفْنَى قبــلَ زاد القوم زادى

هذا الشعر رواه أبو عُبَيــدة لدُرَيد، وغيرُه يرويه لعمرو بن معديكرب، وقول أبى عُبَيدة أصحّ . لابن محرز(٦) فى هذه الأبيات ثانى ثقيــلٍ بالخِنْصر فى مجرى البِنصر

(١) الخرب : ذكر الحبارى . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها «هصر» . و يقال ليث هصور وهصر (ككتف) وهصر (كصرد) . (٣) متعت : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طو يل القوائم منضم البطن .
(٦) فى الأصول هنا . « ولابن محرز ... الخ » .

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيْج فيها ثانىَ ثقيل بالبنصر . وخلَط المغنّون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب فى هذين اللحنين :

أريد حياتَه (١) ويريد قتلى * عَذيرَكَ من خليلك من مُرَادِ
ولو لاقيْتَنى ومعى سلاحى * تكشَّفَ شَحْمُ قلبِك عن سواد

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم

وقال أبو عُبَيْدة فيما رويناه عن دَمَاذ عنه : قتلتْ بنو يَرْبُوع الصِّمَّةَ أبا دُرَيد غَدْرا ، وأسروا ابن عمٍّ له ؛ فغزاهم دُرَيد ببنى نصر فأوقع ببنى يَرْبُوع و بنى سعدٍ جميعا ، فقتَل فيهم . وكان فيمن قُتل عَمّار بن كَعْب ؛ وقال فيهم :

دعوتُ الحَىَّ نصرًا فاستهلُّوا * بشُبَّانٍ ذوى كَرَمٍ وشِيب
على جُرْدٍ كأمثال السَّعَالِى * ورَجْلٍ مثلِ أهمية (٢) الكَثِيب
فما جَبُنوا ولكنَّا نَصَبْنا * صدورَ الشَّرْعِبِيَّة (٣) للقلوب
فكم غادَرْنَ من كابٍ صَريعٍ * يَمُجُّ نَجِيعَ جائفةٍ (٤) ذَنُوب
وتلكم عادةٌ لبَنِى رِبَابٍ * إذا ما كان موتٌ من قريب
فأَجْلَوْا والسَّوامُ لنا مُبَاحٌ * وكُلُّ كَرِيمةٍ خَوْدٍ عَرُوب
وقد تُرِكَ ابنُ كَعْب فى مَكَرٍّ * حَبِيسًا بين ضِبْعانٍ وذيب

كان أبوه شاعرا

قال أبو عبيدة : وكان الصِّمّة أبو دريد شاعرا ، وهو الذى يقول فى حرب الفِجَار التى كانت بينهم و بين قُرَيش :

---

(١) فى ب ، س : «حباءه» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى م ، ء : «أمهية» ولا معنى لها . فلعل الصواب «أهيلة» جمع هيال وهو ما انهال من الرمال .

(٣) الشرعبية : الطويلة ، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطعنة التى تنفذ الى الجوف . وذنوب : طويلة الشر والأذى ؛ ومثله قولهم : يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا ينقضى .

لاقت قُرَيْشٌ غَـداةَ العَقِيـ * ـقِ أمرًا لها وجدتْهُ وَبِيلَا
وجئنا إليهـــم كموج الأَتِيِّ(١) * يعلو النِّجاد ويملا المَسِيلا
وأعددتُ للحَـرْب خَيْفانةً(٢) * ورمحا طويلا وسيفا صقيلا
ومُحْكَمَةً من دروع القُيو * نِ تسمع للسيف فيها صليلا

وكان أخوه مالك شاعرا

قال : وكان أخوه مالك بن الصِّمَّة شاعرا، وهو القائل يَرْثى أخاه خالدا :

أبَنِي غَزِيَّةَ إنّ شِـلْوًا(٣) ماجدًا * وَسْطَ البيوتِ السُّودِ مَدْفعَ كَرْكَرِ(٤)
لا تَسْقِنِى بيديك إن لم ألتمسْ * بالخيـل بين هبـولةٍ فالقَرْقَرِ(٥)

تحالف مع معاوية ابن عمرو بن الشريد ورثاه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسّانَ دَماذ عن أبى عُبَيدة قال : ١٤/٩
تحالف دُرَيد بن الصِّمَّة ومعاويةُ بن عمرو بن الشَّرِيد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرْثِيَه الباقى بعده، وإن قُتل أن يطلب بثأره . فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّرِيد، قتله هاشم بن حَرْملةَ بن الأَشْعَر المُرِّىّ . فرثاه دُرَيد بقصيدته التى أولها :

ألَا هَبَّتْ تَلُوم بغَـــير قَدْرٍ * وقد أحفظتِنِى ودخلتِ سِتْرِى
وإلّا تَتْرُكى لَوْمِى سَـفَاهًا * تَلُمْكِ عليه نفسُكِ غيرَ عَصْرِ

وفيها يقول :

فإنّ الرُّزْءَ يوم وقفتُ أدعو * فلم أُسمِـعْ معاويةَ بن عمرو
ولو أسمعتُــه لأتاكَ يسـعَى * حَثِيثَ السَّعْىِ أو لأتاكَ يجرِى
بشِـكَّةِ(٦) حازمٍ لا غُمْرَ فيـه * إذا لبِس الكُماةُ جلودَ نمـر(٧)

(١) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . (٢) الخيفانة : الفرس .
(٣) الشلو (بالكسر) هنا : الجسد . (٤) كركر : علم على عدة مواضع .
(٥) هبولة والقرقر : موضعان . (٦) الشكة : السلاح . (٧) يقال : لبس فلان لفلان جلد النمر اذا تنكر له . وكانت ملوك العرب اذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله .

عرفتُ مكانَه فعطفتُ زَوْرًا (١) * وأين مكانُ زَوْرٍ يابنَ بكر
على إرَمٍ (٢) وأحجـار ثِقَـالٍ * وأغصانٍ من السَّلَمَاتِ سُمْرِ
وبُنْيَـانُ القبورِ أتى عليهـا * طَوَالُ الدهرِ شهرًا بعد شهر

حديث عارض الجشمى عنه وقد خرف

أخبرنى عبدالله بن مالك النحوىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ قال :

وقف عارضٌ الجُشَمِىّ على دُرَيد وقد خَرِف وهو عُرْيانٌ وهو يكوِّم كُوَمَ بَطْحاء (٣) بين رجليه يلعب بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجّب ممـا صار اليه دُرَيد . فرفع رأسَه دُرَيد اليه وقال :

كأنّنى رأسُ حَضَنْ (٤) * فى يوم غَـيْم ودُجَنْ (٥)
يا ليتنى عهـــدَ زَمَنْ * أنفُضُ رأسِى وذَقَنْ
كأنّنى فَحْـــلُ حُصُنْ * أُرسِـلَ فى حَبْلٍ عُنُنْ
أُرسِـلَ كالظَّبْيِ الأرِنْ (٦) * أَلْصَقَ أُذْنًا بأُذُنْ

قال : ثم سقَط ؛ فقال له عارضٌ : انهض دُرَيدُ ! فقال :

لا نَهْضَ فى مثـل زمانى الأوّلِ * مُحَنَّبَ السـاقِ شـديدَ الأَعْصَـلِ (٧)
ضخمَ الكَرَاديسِ (٨) خَمِيصَ الأَشْكلِ (٩) * ذى حَنْجَرٍ (١٠) رحب وصُلْبٍ أعـدل

(١) الزور فى اللغة : الجمل القوى ، ولعله هنا اسم جمله . (٢) الإرم : حجارة تنصب علما فى المفازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حضن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهى الظلمة .
(٦) الأرن : النشيط . (٧) التحنيب : احديداب فى وظيفى يدى الفرس ، وهو مما يوصف صاحبه بالشدّة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شىء ، ومنه ناب أعصل أى معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفى الأصول : « أعضل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . (٩) ليس فى كتب اللغة إلا الشاكلة بمعنى الخاصرة وهى المرادة فى هذا الشعر . (١٠) كذا فى جميع الأصول ، والمراد به ليس واضحا .

خروج فى حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه

حدّثنا محمد بن جَرِير الطَّبَرى قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدثنا سَلَمَةُ بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهْرى عن عُبَيد الله بن عبد الله قال :

لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلةً يَقْصُر(1)، وكان فتحُها فى عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان . قال آبن إسحاق : وحدّثنى عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدّه قال : لمّا سمعتْ به هَوَازِنُ جَمَعها مالك بن عَوْف النَّصْرى ، فآجتمعتْ اليه ثَقِيف مع هوازنَ ، ولم يجتمع اليه من قَيْس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بنى هِلال ، وغابت عنها كَعْبٌ وكِلَاب ، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمُ وسَعْدُ وبنو بكر وثَقِيف وآحتشدتْ ، وفى بنى جُشَمَ دُرَيدُ بن الصِّمّة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شىء إلا التيمُّنَ برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجرِّبا ، وفى ثَقِيف فى الأحلاف قارِبُ بن الأسود بن مسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ، وجِمَاعُ أمر الناس الى مالك بن عوف . فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم . فلمّا نزلوا بأَوْطاس(2) آجتمع اليه الناسُ وفيهم دُرَيد بن الصِّمّة فى شِجارٍ(3) له يُقاد به . فقال لهم دريد : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعم مجالُ الخيل ، ليس بالحَزْن الضَّرِس(4) ولا السَّهْل الدَّهِس(5) . مالى أسمع رُغاءَ الإبل ونَهِيقَ الحمير وبكاءَ الصغير وثُغاءَ الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالكُ بن عَوْف مع الناس أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعِى له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإنّ هذا اليوم كائن له ما بعدَه من الأيام ! . مالى أسمع رُغاء البعير ونَهِيقَ الحمير وبكاء الصِّبْيان وثُغاءَ الشاء ؟ ! قال : سُقْتُ مع الناس نساءَهم وأبناءَهم وأموالَهم . قال :

١٥/٩

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين و يصلى ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من الهودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولِمَ؟ قال: أردتُ أن أجعل مع كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم. قال: فانقضَّ به ووبّخه ولامه، ثم قال: راعِى ضأنٍ والله (أى أحمق)! وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شىء! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلتْ كَعْبٌ وكلاب؟ قال: لم يَشْهَدْها أحدٌ منهم. قال: غاب الحَدّ والجِدّ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ وكلاب! ولوَدِدْتُ أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا. فمَنْ شَهِدها منهم؟ قالوا: بنو عمرو ابن عامر وبنو عوف بن عامر. قال: ذانِك الجَذَعانِ[1] من عامرٍ لاينفعان ولا يضُرّان. ثم قال: يا مالك إنك لم تَصْنَع بتقديم البَيْضة بَيْضةِ[2] هَوازنَ إلى نُحور الخيل شيئا. اِرْفعهم الى أعلى بلادهم[3] وعَلْياءِ قومهم ثم اَلْقَ القومَ بالرجال على مُتونِ الخيل، فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءَك، وان كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح فى حَريمك. قال: لا والله ما أفعل ذلك أبدًا! إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأيُك وعلمُك، والله لَتُطِيعُنَّنِى يا معشر هوازن أو لأَتَّكِئَنّ على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهرى — فنفِس على دريد أن يكون له فى ذلك اليوم ذِكْرٌ ورأىٌ — فقالوا له: أطَعْناكَ وخالفنا دُرَيدًا. فقال دريد: هذا يوم لم أَشْهَدْه ولم أَغِبْ عنه. ثم قال:

يالَيْتَنى فيها جَذَعْ * أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أَقُود وَطْفاءَ الزَّمَعْ * كأنّها شاةٌ صَدَعْ

قال: فلما لَقِيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عَوْف، وعَسْكَرَ بعضُهم بأَوْطاس وتوجَّه بعضُهم نحوَ نَخْلَةَ[4]، وتبعتْ خيلُ

(١) الجذع: الشاب الحدث. (٢) بيضة القوم: أصلهم ومجتمعهم. (٣) فى السيرة: «ممتنع بلادهم». (٤) نخلة: المراد هنا نخلة اليمانية، وهى واد يصب فيه يدعان (اسم واد) وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت).

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ سَلَك نخلةَ ، فأدرك رَبيعةُ بن رُفَيْع السُّلَمىّ أحدُ بنى يَرْبُوع بن سَمّال[1] بن عَوْف دُرَيدَ بن الصِّمّة فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة[2] ، وذلك أنه كان فى شِجارٍ له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخٍ كبير ولم يعرفه الغلامُ . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتُلُك . قال : ومن أنتَ ؟ قال : أنا رَبيعة ٱبن رُفَيْع السُّلَمىّ . فأنشأ دُرَيد يقول :

وَيْحَ ٱبن أَكْمَةَ[3] ماذا يُريد * من المُرْعَش الذّاهب الأَدْرَدِ
فأُقْسِمُ لو أنّ بى قوّةً * لولّتْ فرائصُه تُرْعَدُ
و يالَهْفَ نفسىَ ألّا تكونَ * معى قوّةُ الشارخ[4] الأَمْرَدِ

ثم ضربه السُّلَمىُّ بسيفه فلم يُغْنِ شيئا . فقال له : بئس ما سلّحتْك أُمُّكَ ! خذ سيفى ١٦/٩
هذا من مؤخّر رحلى فى القِراب فٱضرِبْ به وٱرْفَع عن العظام وٱخفِضْ عن الدِّماغ ، فإنّى كذلك كنتُ أفعل بالرجال ، ثم اذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرْها أنك قتلتَ دُرَيدَ ابن الصِّمّة ، فرُبَّ يومٍ قد منَعتُ فيه نساءَك ! . فزعمتْ بنو سُلَيْم أن رَبيعةَ قال : لمّا ضربتُه بالسيف سقَط فانكشف ، فاذا عِجَانُه[5] وبطن فَخِذَيْه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أعْراءً[6] . فلمّا رجع رَبيعةُ الى أمّه أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له : لقد أعْتَق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَلَ أوْطَاس أبا عامر الأشعرىّ ابنَ عمِّ أبى موسى الأشعرىّ ، فهزَمهم

(١) فى الأصول : « سماك » والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس . (٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «أنها» . (٣) كذا فى الأصول . وفى مختصر الأغانى : «تكمة» . وقد جاء فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن رفيع هذا يقال له ابن الدغنة وهى أمه فغلبت على اسمه ، و يقال : ابن لذعة . (٤) كذا فى مختصر الأغانى . وفى سائر الأصول : « الشائخ » والشارخ : الشاب . (٥) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين الدبر والقبل . (٦) فرس عرى : غير مسرج ، وصف بالمصدر ، ثم جعل اسما فجمع فقيل خيل أعراء . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عرى .

الله جلّ وعزّ وفتح عليه . فيزعُمون أنّ سَلَمةَ بن دُرَيد بن الصِّمّة رماه بسهم فأصاب رُكْبتَه فقتله (يعنى أبا عامر) .

فقالت عَمْرةُ بنتُ دُرَيد ترثيه :

جَزَى عنّا الإلهُ بنى سُلَيْمٍ * وأَعْقبهم بما فعلوا عَقَاقِ[1]
وأَسْقانا إذا سِرْنا إليهم * دماءَ خِيارِهم يومَ التّلاقى
فرُبَّ مُنَوِّهٍ بك من سُلَيْمٍ * أَجيبَ وقد دعاك بلا رَمَاقِ[2]
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهم * وأُخرى قد فكَكتَ من الوَثَاقِ

وقالت عَمْرةُ ترثيه أيضا :

قالوا قتلنا دُرَيْدًا قلتُ قد صدَقوا * وظَلّ دمعى على الخدّين يَنْبَدِرُ[3]
لولا الذى قهَر الأقوامَ كلَّهمُ * رأت سُلَيْمٌ وكَعْبٌ كيف تأتَمِرُ
إذًا لصبَّحهم غِبًّا وظاهِرةً[4] * حيث ٱستقرّ نواهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ[5]

استحثه قومه على الأخذ بثأر أخيه خالد من بنى الحارث فقال شعرا وأجابه عبد الله ابن عبد المدان

ونسختُ من كتاب مترجَمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبى عمْرٍو الشَّيْبانىّ يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السّائب الكَلْبىّ :

كان دُرَيْد بن الصِّمّة يومًا يشرَب مع نَفَرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفَافةَ — وكان يُكنى بأبى ذُفَافةَ و بأبى قُرّة — أينجو بنو الحارث بن كَعْبٍ منك وقد قتلوا

(١) فى لسان العرب والسيرة لابن هشام : «وعقّتهم» بدل «وأعقبهم» . وعقاق (بالبناء على الكسر) : العقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمق . (٣) فى أ ، م : «ينحدر» . وفى سيرة ابن هشام : « فظل دمعى على السربال ينحدر » . (٤) كذا فى السيرة لابن هشام . وقد جاء فى لسان العرب (فى مادة «غبب») : «ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس ؛ فغب الحمار أن يرعى يوما و يشرب يوما ، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار» . وفى الأصول : «عناوظاهرهم» وهو تحريف . (٥) كذا فى السيرة . والذفر : المتغير الرائحة ؛ يقال : كتيبة ذفراء أى إنها سهكة من الحديد وصدئه . وفى الأصول : « زفر » بالزاى وهو تحريف .

أخاك خالدًا !؟ فقال لهم : إنّ القوم جَمْرةُ[1] مَذْحِج، وهم أكفاءُ جُشَمَ، ولا يَحْمِل بى هجاؤهم . فأَحْفظُوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال :

يا بنى الحارثِ أنتم مَعْشَرٌ * زَنْدُكم وارٍ وفى الحرب بُهَمْ[2]
ولكم خيلٌ عليها فتيةٌ * كأُسُودِ الغاب يَحْمِين الأَجَمْ
ليس فى الأرض قَبِيلٌ مثلُكم * حين يَرْفَضُّ العِدَا غيرَ جُشَمْ
لستُ للصِّمَّة إن لم آتِكم * بالخَنَاذيذ[3] تَبَارَى فى اللُّجُمْ
فتَقَرُّ العينُ منكم مرّةً * بانبعاث الحُرّ نَوْحًا تَلْتَدِمْ[4]
وتُرى نَجْرانُ منكم بَلْقعًا * غيرَ شَمْطاءَ وطفلٍ قد يَتِمْ
فأنظُروها كالسَّعَالِى[5] شُزَّبًا * قبل رأس الحَوْل إن لم أُخْتَرَمْ

قال : فنُمِى قولُه الى عبد الله بن عبد المَدَان، فقال يُجيبه :

نُبِّئْتُ أنّ دُرَيدًا ظلّ مُعترِضًا * يُهْدِى الوَعيدَ الى نَجْرانَ من حَضَنِ[6]
كالكلب يَعْوِى إلى بيداء مُقْفِرةٍ * من ذا يُواعِدُنا بالحرب لم يَحِنِ[7] ١٧/٩
إن تَلْقَ حىَّ بَنِى الدَّيَّانِ تَلْقَهُمُ * شُمَّ الأنوف إليهم عِزَّةُ[8] اليمنِ
ما كان فى الناس للدَّيّان من شَبَهٍ * إلّا رُعَيْنٌ وإلّا آلُ ذى يَزَن

---

(١) يقال : بنو فلان جمرة، اذا كانوا أهل منعة وشدّة . والجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان : طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع . (٣) الخناذيذ : جياد الخيل، واحدها خنذيذ . (٤) تلتدم : تضرب صدرها فى النياحة . (٥) السعالى : الغيلان، واحدها سعلاة . والشزب : جمع شازب وهو الضامر . (٦) حضن : جبل . (٧) لم يحن : لم يهلك . (٨) فى الأصول : «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمِضْ جفونَك عمّا لستَ نائلَه * نحن الذين سبقْنا الناسَ بالدمن(١)
نحن الذين تركنا خالدًا عَطِبًا * وَسْطَ العَجاجِ كأنّ المرءَ لم يَكُن
إن تَهْجُنا تَهْجُ أنجادًا شَرامِحةً(٢) * بِيضَ الوجوهِ مَرافِيدًا على الزمن
أَوْرَى زِيادٌ لنا زَنْدًا ووالدُنا * عبدُ المَدَان وأَوْرَى زندَه قَطَنُ(٣)

رده أسماء بن زنباع عن ظعينته زينب وطعنه فأصاب عينه

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أبو بكر العامِرىّ عن ٱبن الأعرابىّ قال :

أغار دُرَيد بن الصِّمَّة فى نفر من أصحابه، فمرّوا بأَسْماءَ بن زِنْباع الحارثىّ ومعه ظَعينتُه زينب، فأحاطوا به ليَنْتزعوها من يده، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجَرح، ثم ٱختلف هو ودُرَيد طعنتين: فطعنه دُرَيدٌ فأخطأه، وطعنه أسماءُ فأصاب عينَه، وٱنهزم دُرَيدٌ ولَحِق بأصحابه؛ فقال دريدٌ فى ذلك :

شَلَّتْ يمينى ولا أشرَبْ معتّقةً * إذ أخطأ الموت أسماءَ بن زِنْباعِ

قال : وهى قصيدة .

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمى ويزيد بن عبد المدان وشعره فى ذلك

ونسختُ من كتاب أبى عمرو الشَّيْبانىّ الذى ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السّائب الكَلْبىّ قال :

جاور رجلٌ من ثُمَالةَ عبدَ الله بن الصِّمّة، فهلَك عبدُ الله وأقام الرجل فى جِوار دُرَيد . وأغار أَنَسُ بن مُدْرِكَةَ الخَثْعَمىّ على بنى جُشَمَ، فأصاب مالَ الثُّمَالىّ وأصاب ناسًا من ثُمَالةَ كانوا جيرانًا لدُرَيد؛ فكفَّ دُرَيدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَليه، وقال لجاره ذلك : أَمْهِلْنِى عامى هذا . فقال الثُّمالىّ : قد أَمْهَلتُك عامين . وخرج دُرَيدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ فى أمر الثُّمَالىّ، فسمعه يقول:

(١) كذا فى الأصول، وهو غير واضح . (٢) الشرامحة : جمع شرمح وهو القوى والطويل .
(٣) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروى .

كساكَ دُرَيْدُ الدهرَ ثوبَ خَزايةٍ * وجَدّعك الحامى حقيقتَــه أَنَسْ
دَعِ الخيلَ والسُّمْرَ الطِّوالَ لخَثْعَمٍ * فما أنت والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ
وما أنت والغَــزْوَ المُتَابَع للعِــدا * وهَمُّكَ سَوْقُ العَوْدِ والدَّلْوُ والمَرَسْ(١)
فلو كان عبــدُ الله حيًّــا لردَّها * وما أصبحتْ إبْلِى بَنجْرانَ تُحْتَبَسْ
ولا أصبحتْ عِرْسِى بأشْقَى معيشةٍ * وشيخٌ كبيرٌ من ثُمــالَةَ فى تَعَسْ
يُراعِى نجومَ الليــل من بعــد هَجْعةٍ * الى الصبح محزونا يُطاوله النَّفَس
وكنتُ وعبــدُ الله حىٌّ وما أرَى * أُبالِى من الأعداء مَنْ قام أو جلس
فأصبحتُ مهضومًا حزينًا لفقده * وهل من نَكيرٍ بعد حولين تلْتَمِسْ

قال : فضاق دُرَيدٌ ذَرْعًا بقــوله، وشاور أُولى الرأى من قومه؛ فقالوا له : ٱرحَلْ الى يزيد بنِ عبد المَدَان؛ فإنّ أنَسًا قد خلَّف المــالَ والعِيالَ بنَجْرانَ لحرب التى وقعتْ بين خَثْعَم، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دُرَيد : بل أُقدِّم اليه قبل ذلك مِدْحةً ثم أنظر ما مَوْقِعى من الرجل، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها الى يزيد :

بنى الدَّيَّانِ رُدُّوا مالَ جارى * وأَسْرَى فى كُبُــولهمُ(٢) الثِّقالِ ١٨ / ٩
ورُدُّوا السَّبْىَ إن شئتم بمَنٍّ * وإن شئتم مُفاداةً بمال
فأنتم أهــلُ عائدةٍ وفضــلٍ * وأيْدٍ فى مواهبــكم طِوالِ
متى ما تَمنعوا شيئًا فليست * حبائلُ أخذه غيرَ الســؤال
وحربُكُمُ بنى الدَّيّانِ حربٌ * يَغَصُّ المــرءُ منهــا بالزُّلالِ
وجارتُكم بنى الدَّيّان بَسْــلٌ(٣) * وجارُكمُ يُعَــدّ مع العِيال
حَذَا عَبْدُ المَدَان لكم حِذاءً * مُخَصَّرةَ الصدور على مِثال

(١) العود : المسن من الابل . والمرس : الحبل، والمراد هنا حبل الاستقاء .
(٢) فى ا، م، حـ : « فى كبولكم » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِى الدَّيَّان إنّ بنى زِيادٍ * هُمُ أهلُ التكرُّم والفَعالِ
فأَوْلُونِى بنى الدَّيَّان خيراً * أُقِرّ لكم به أُخْرَى الليالى

قال : فلما بلَغ يزيدَ شعرُه قال : وجب حقُّ الرجل! فبعث اليه أنِ اقدَمْ علينا . فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثْواه . فقال له دُرَيد يوماً : يا أبا النَّضْر ، إنى رأيتُ منكم خِصالاً لم أرَها من أحد من قومكم : إنى رأيتُ أبْنِيَتَكم متفرِّقة ، ونِتاجَ خيلكم قليلاً ، وسَرْحَكُم يجىء مُعَتَّماً ، وصبيانَكم يَتَضاغَوْن(١) من غير جوع . قال : أجَلْ! أمّا قلّة نِتاجنا فنِتاجُ هَوَازِنَ يكفينا . وأمّا تفرُّق أبنيتنا فللغَيْرة على النساء . وأمّا بكاء صبياننا فإنّا نبدأ بالخيل قبل العيال . وأمّا تمَسِّينا بالنَّعَم فإنّ فينا الغرائبَ والأراملَ ، تخرج المرأة الى مالها حيث لا يراها أحدٌ . قال : وأقبلتْ طلائعُهم على يزيد ، فقال شيخ منهم :

أَتَتْكَ السلامةُ فَارْعَ النَّعَمْ * ولا تَقُلِ الدَّهْرَ إلّا نَعَمْ
وَسَرِّحْ دُرَيْدًا بنُعْمى جُشَمْ * وإن سَالَكَ المرءُ إحدَى القُحَمْ(٢)

فقال له دُرَيد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعُنا لا نَسْرَحُ ولا نَصْطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلَمكم مَنْ جعلكم جَمْرةَ مَذْحِج . وردّ يزيد عليه الأُسارَى من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلْنِى ما شئتَ ؛ فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إيّاه . فقال دريد فى ذلك :

مَدَحتُ يزيدَ بن عبد المَدَان * فأَكْرِمْ به من فتًى مُمْتَدَحْ
إذا المدحُ زان فتى مَعْشَرٍ * فإنّ يزيد يَزِينُ المِدَحْ
حلَلْتُ به دونَ أصحابه * فأَوْرَى زِنادِىَ لمّا قَدَحْ

---

(١) تضاغى من الطوى : تضوّر من الجوع وصاح . (٢) القحم : جمع قحمة وهى الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد .

ورَدَّ النسـاءَ بأطهـارها * ولو كان غيرُ يزيدٍ فضَــح
وفَكَّ الرجالَ وكلُّ امرئٍ * اذا أَصلح اللهُ يومًا صلَح
وقلتُ له بعـد عِتْق النساء * وفَـكِّ الرِّجال وردِّ اللِّقح(١)
أَجِزْ لى فـوارسَ من عامرٍ * فأَكْرِمْ بنَفْحته إذ نَفَح
وما زلتُ أعرف فى وجهه * بكَرِّى السؤالَ ظهورَ الفرح
رايتُ أبا النَّضْر فى مَذْحِجٍ * بمنزلة الفجر حين آتَّضَــح
اذا قارَعوا عنـه لم يُقْرَعوا * وإن قدَّموه لكَبْشٍ نطَح
وإن حضَر الناسَ لم يُخْزِهم * وإن وازَنوه بقِرْنٍ رجَح ١٩/٩
فـذاك فتـاها وذو فضلها * وإنْ نابحٌ بفَخَارٍ نبَــح

قصته مع مسهر ابن يزيد الحارثى وشعره

قال وقال آبن الكلبىّ : خرج دريد بن الصِّمَّة فى فوارس من قومه فى غَزَاةٍ له، فلَقِيه مُسْهِر بن يزيد الحارثىّ، الذى فقَأ عين عامر بن الطُّفَيل، يقود بامرأته أسماء بنت حَزْن الحارثيّة . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمةَ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَعِينةً، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشيًّا . فقال دريد : هل منكم رجل يمضى إليه فيقتلَه ويأتينا به وبالظَّعينة ؟ فانتَدب إليه رجلٌ من القوم فحَمَل عليه، فلقيه مُسْهِر فآختلفا طعنتين بينهما، فقتله مُسْهِر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه، حتى قَتل منهم أربعةَ نفر. وبَقِى دريد وحدَه فأقبل اليه، فلما رآه ألقى الخطامَ من يده إلى المرأة وقال : خُذِى خِطامَكِ، فقد أقبل إلىّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدَّموه، ثم قصد اليه وهو يقول :

أمَا تَرى الفارس بعد الفارسْ * أرْداهـمُ عامـلُ رمحٍ يابسْ

(١) اللقح : جمع لقحة وهى الناقة الحلوب .

فقال له دُرَيد : من أنت لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بنى الحارث بن كعب . قال : أنت الحُصَين ؟ قال لا . قال : فالمُحجِّل هَـوْذَة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسْهِر بن يزيد . قال : فانصرف دُرَيد وهو يقول :

أمن ذِكْرِ سَلْمَى ماءُ عينيك يَهْمِلُ * كما انهلَّ خَرْزٌ من شُعَيْبٍ مُشَلْشِلُ (١)

وماذا تُرَجِّى بالسلامة بعد ما * نأتْ حِقَبٌ وأبيضَّ منكَ المُرَجَّل (٢)

وحالت عَوَادِى الحربِ بينى و بينها * وحربٌ تَعُلّ الموتَ صِرْفًا وتُنْهِل

قِراها إذا باتت لَدَىَّ مُفَاضَةٌ * وذو خُصَلٍ نَهْدُ المَرَاكِل هَيْكل (٣)

كَمِيشٌ (٤) كتَيْسِ الرَّمْل أخلَص مَتْنَه * ضَرِيبُ (٥) الخَلَايا والنَّقِيعُ المعجَّل

عَتِيدٌ لأيّام الحروب كأنّه * إذا انجاب رَيْعانُ العَجاجة أجْدَل (٦)

يُحَاوِب (٧) جُرْدًا كالسَّرَاحِينِ (٨) ضُمَّرًا * تَرُود بأبواب البيوت وتَصْهَل

على كلِّ حَىٍّ قد أطلَّتْ بغارةٍ * ولا مثل ما لاقَى الجَمَاسُ وزَعْبَلُ

ـــ الجماس وزَعْبَل : قبيلتان من بنى الحارث بن كعب ـــ

غَداةَ رأَوْنا بالغَـرِيف (٩) كأنّنا * حَبِيٌّ (١٠) أدرَّتْه الصَّبَا متهلِّل

بمُشْعَلَةٍ تدعو هوازنَ ، فوقها * نَسِيجٌ من الماذِىّ (١١) لَأمٌ مُرَفَّل

---

(١) شلشل الماء : قطر . (٢) المرجل : الشعر؛ يقال : رجل الشعر إذا سرحه .

(٣) المفاضة هنا : الدرع . وذو خصل : يريد فرسا . والمراكل : جمع مركل وهو حيث تصير رجلك من الدابة ؛ يقال فرس نهد المراكل أى واسع الجوف . والهيكل : الضخم . (٤) الكميش : السريع .

(٥) الضريب : اللبن . والخلايا : جمع خلية وهى الناقة المخلاة للحلب . يريد أن هذا الفرس معتنى به .

(٦) الأجدل : الصقر . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول «يحارب» وهو تحريف .

(٨) السراحين : الذئاب واحدها سرحان . (٩) كذا فى الأصول . ولعلها العزيف أو نحو ذلك .

(١٠) الحبى : السحاب المتراكم . وفى الأصول : «حيى» بياءين . (١١) الماذى : الدروع اللينة السهلة . واللأم : الدروع ، واحدها لأمة . والمرفل : المسبغ .

لدى مَعْـرَكٍ فيهـا تركنا سَراتَهـم * يُنادُون، منهـم مُوثَقٌ ومُجَـدَّل
نَجُـذُّ جِهارًا بالسـيوف رءوسَهم * وأرماحُنـا منهـم تَعُـلّ وتَنْهَـل
تَرى كلَّ مسودِّ العِـذارَين فارسٍ * يُطِيف به نَسْـرٌ وعَرْفاءُ[1] جَيْأَل

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذه الأخبار التى ذكرْتُها عن آبن الكلبىّ موضوعةٌ كلُّها، والتوليدُ بيّن فيها وفى أشعارها، وما رأيتُ شيئا منها فى ديوان دُرَيد بن الصِّمَّة على سائر الرِّوايات. وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ؛ فإنه ذكَرَ فيه ما لَحِق دريدًا من الهُجْنة والفضيحة فى أصحابه وقتل من قُتِل معه وآنصرافَه منفردًا، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنّه ظفِر ببنى الحارث وقتلَ أماثِلَهم؛ وهذا من أكاذيب آبن الكَلْبىّ. ٢٠/٩
وإنما ذكرْتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شىء قد رواه الناسُ وتداوَلُوه .

(١) كذا فى جـ. والعرفاء: الضبع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتها. وجيأل: من أسماء الضبع أيضا، معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع: الجيأل، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج:

يدعن ذا الـثروة كالمجبـل * وصاحب الإقتـار لحم الجيأل

وفى سائر الأصول: «وغربان جيأل» وهو تحريف.

أخبار المُعْتَضِد فى صنعة هذا اللحن وغيره من الاغانى

— دون أخباره فى غير ذلك لانها كثيرة تخرج عن حدّ الكتاب —

وشئ من أخباره مع المغنِّين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر فى أمر النغم العشر حتى فهمها وجمعها فى صوت

حدّثنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه — لما صنعتْ جاريتُه شَاجِى اللحنَ الذى يجمع النَّغَمَ العشرَ — بظَبْى وحبيب جاريتَىْ أخيه سليمان بن عبدالله بن طاهر حتى أخذتَا اللحنَ عنه ونقلَتاه اليه وأَلْقَتاه على جواريه . قال: ولم يزل يُراسِلُنى مع عبدالله بن أحمد بن حمدون فى أمر النَّغَم العشر ويسألنى عنها وأشرحُها له، حتى فهمها جيِّدا وجَمَعها فى صوتٍ صنعه فى شعر دُرَيد بن الصِّمَّة :

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبّ فيها وأَضَعْ

وألقاه عليهما حتى أدّتاه إلىّ مستعلِمًا بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا، فعرَّفتُه صحّتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقَّنه فسُرَّ بذلك؛ وهو لَعَمْرِى من جيِّد الصنعة ونادرها . وقد صنع المُعْتضِدُ ألحانًا فى عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحْدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهَى، فلم يَعْجِز ولا قصَّر ولا أتى بشىء يُعْتَذر منه . فمن ذلك أنه صنع فى :

أمّا القَطاةُ فإنّى سوف أنعتُها * نَعْتًا يوافق نعتى بعضَ ما فيها

لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر فى نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرْزُور يُغَنِّيه، فكان من أحسنِ ما صُنِع فى هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه وآشتراك

القدماء والمُحْدَثين فى صنعته مثل مَعْبَد ونَشِيطٍ ومالك وابن مُحْرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادى وآبْن جامع وإبراهيم وآبنه إسحاق وعَلّويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع فى :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جهدتُه * وبَيَّنَ لو يسطيع أن يتكلّما

لحنًا من الثقيل الأوّل(١) بالوسطى ، وقد صنع قبله آبن سُرَيج لحنًا هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلِّه ، فما قصَّر فى صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها ؛ هـذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحنًا من الثقيل الثانى عارض آبنَ سُرَيْجٍ به فى لحنه ، فما آمتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما فى القدماء والمُحْدَثين ، ثم جوَّد غاية التجويد فيما آتّبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أصوات له صنعَها تُزاهِى(٢) المائة صوت ، مافيها ساقطٌ ولا مَرْذُول ، وسأذكر منها ما يَصْلُح ذكُره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

ومن نادر صنعة المعتضد :

صوت

أَناةً فإن لم تُغْنِ عقَّب بعـدَها * وَعِيدًا ، فإن لم يُغْنِ أغنتْ عَزائمُهْ

الشعر لإبراهيم بن العبّاس ، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أوّل . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو ٢١/٩
لا يعلم أنه شعر ، وإنما كتب به فى رسالة عن المعتصم(٣) الى بعض أصحاب الأطراف فقال فى فصل منـه : « وإن عند أمير المؤمنين فى أمرك أَناةً ، فان لم تُغْنِ عقَّب بعدها وعيدًا ، فان لم يُغْنِ أَغْنَتْ عزائمُه » . فلما تأمّله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه فى شعره .

---

(١) فى أ ، م : « الثانى » . (٢) تزاهى : تضاهى . وزهاء الشىء : قدره .

(٣) فى جـ : « عن المعتضد » .

اخبار إبراهيم بن العبّاس ونسبه

نسبه، وشىء عن آبائه

إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول، وكان صُولٌ رجلا من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلّب بلدَه وأسلم على يديه، فهم موالِى يزيدَ. ولما دعا يزيدُ الى نفسه لَحِق به صُولٌ لينصرَه فصادَفه قد قُتل. وكان يقاتل كلَّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بنى أميّة ويكتب على سهامه: صُولٌ يدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيّه. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك، فآغتاظ وجعل يقول: وَيْلِى على آبن الغَلْفاء! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيّه! ولعلّه لا يَفْقه صَلاتَه!. وكان آبنه محمد بن صُول من رجال الدولة العبّاسية ودُعاتها. وقد كان بعضُ أهليهم آدّعَوْا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم. وأمّا صول فإن خالد بن خِداش (1) ذكر عن أهله قالوا: كان صولٌ وفَيْروزُ أخوين مَلِكا على جُرْجانَ، وكانا تركيّيْن تمجّسا وتشبّها بالفُرْس. فلما حضر يزيدُ بن المُهلَّب جُرْجانَ أمّنهما، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتِل يومَ العَقْر (2). وكان محمد ابن صُول يُكْنَى (3) أبا عُمَارة، أحَدَ الدُّعاة، وقتله عبد الله بن علىّ لما خالف مع مُقاتِل ابن حَكِيم العَكّىّ (4) وعِدّةٍ آخرين. وأمّا إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكانَ عبدُ الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّمًا، وكان إبراهيم آدَبَهما وأحسنَهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسْقط رَذْلَه، ثم يُسقط الوسطَ، ثم يسقط ما يُسْبَق اليه، فلا يَدَعُ من القصيدة إلا اليسيرَ، وربما لم يَدَعْ منها إلّا بيتًا أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر ثم يختاره

(١) فى الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خداش غير مرة فى الأجزاء السابقة.

(٢) هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية).

(٣) كذا فى الأصول. ولعله: «و يكنى أبا عمارة الخ».

(٤) هو أحد قواد أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه فى تاريخ الطبرى ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

ولكنّ الجـوادَ ابا هشامٍ * وفىُّ العهـدِ مأمـونُ المَغيبِ

وهذا ٱبتداء يدُلّ على أن قبله غيرَه، وقولُه فى أخيه :

ولكنّ عبدَ الله لمـا حَوَى الغنى * وصار له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضا ٱبتداء يدلّ على أنّ قبله غيرَه . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذى الرِّياستين، ٱتّصلا به فرفع منهما . وتنقّل إبراهيمُ فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلّد ديوانَ الضِّياع والنفقات بسُرَّ مَنْ رأى فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدّثنى أحمد بن سَعيد بن حَسّان(١) قال حدّثنى ٱبن إبراهيم قال سمعت دِعْبِلًا يقول :

لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا فى غير شىء . قال : ثم أنشدَنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله :

إنّ امرأً ضنَّ بمعروفه * عنّى لمبـذولٌ له عـذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفـه * إن كان لا يرغب فى شكرى

هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات وتشفيه بموته

٢٢ / ٩ وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيّات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحْناء عظيمة لم يمكن تلافيها، فكان إبراهيم يهجوه؛ فمن قوله فيه :

أبا جعفرٍ خَفْ خَفْضةً بعد رِفعةٍ * وقصِّرْ قليلًا عن مَدَى غُلَوائكا

لئن كان هـذا اليومُ يوماً حوَيْتَه * فإن رجائى فى غـدٍ كرجائكا

وله فيه أيضا :

دَعـوتك فى بَلْوَى أَلَمَّتْ صروفُها * فأوقـدتَ من ضِغْنٍ علىَّ سـعيرَها

فإنّى إذا أدعـوك عنـد مُلِمَّـةٍ * كداعيةٍ عنـد القبور نَصِـيرَها

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

وقال فيه لمّا مات :

لمّا أتانى خَبَرُ الزيّات * وأنّه قد صار فى الأموات

* أيقنتُ أنّ موته حياتى *

هجره صديقه الحارث بن بسخنر مرضاة لمحمد بن عبدالملك الزيات فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال: لمّا انحرف محمد بن عبدالملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقَوْه، وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقا له مصافيا، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه :

تَغَيَّرَ لى فيمن تغيَّرَ حارثُ * وكم من أخ قد غيَّرته الحوادثُ

أحارثُ إن شورِكْتُ فيك فطالما * غَنِينا وما بينى و بينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ .

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غِناء :

صوت

خَلِّ النِّفاقَ لأهله * وعليك فالتمس الطَّريقا

واذهَبْ بنفسك أن تُرَى * إلّا عدوّا أو صديقا

الغِناء لأبى العُبَيْس بن حمدون، ثقيلٌ أوّل .

قصة عشقه لقينة وانكاشه لتأخرها وشعره فيها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : كان إبراهيم ابن العباس يهوَى قَيْنة بسُرَّ مَنْ رأى، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوما للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعةً من جوارى القيان، ودعاها فأبطأت، فتنغّص عليهم يومُهم لِما رأَوْا من شُغْل قلبه بتأخُّرها ، ثم وافتْ فسُرِّىَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب، ثم دعا بدواة فكتب :

ألم ترنا يومَنا إذ نأتْ * فلم تأتِ من بين أترابها

وقد غمرتْنا دواعى السرور * بإشعالها وبإلْهابها

ومَدّتْ علينا سماءَ النعيم * وكلُّ المُنَى تحت أطنابها(١)

ونحن فُتورٌ إلى أن بدتْ * وبدرُ الدُّجَى بين أثوابها

فلمّا نأتْ كيف كُنّا لها * ولمّا دَنَتْ كيف صِرْنا بها

وأمر من حضَر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنّتْ وقالت : ما القصّةُ كما وصفتَ، وقد كنتم فى قَصْفكم مع مَنْ حضر، وإنما تجمّلتم لى لمّا حَضَرتُ . فأنشأ يقول :

يا مَنْ حنينى إليه * ومن فؤادى لديه

ومَنْ إذا غاب من بيـ * ـنهم أَسِفتُ عليه

إذا حضرتِ فما مِنْـ(١) * ـهُمُ مَنَ اَصبُو إليه

من غاب غيرُكِ منهم * فأمرُه فى يديه

٢٣/٩

قال : فرضيتْ عنه، وأتممنا يومَنا على أحسن حال .

أجازه دعبل فى شعر

وقال محمد بن داود حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنى إبراهيم بن العباس — قال حدّثنى به دِعْبِلٌ أيضا فكانا متفقَيْن فى الرواية — قال : كُنّا نطلُب جميعا بالشعر، فخرجنا وكُنّا فى مَحمِل، فابتدأتُ أقول فى المطَّلِب ابن عبد الله بن مالك :

* أمطَّلِبٌ أنت مُسْتعذَبٌ *

فقال دِعْبِل :

* لسمِّ الأفاعى ومُسْتَقْتِلُ *

فقلت :

* فإن أَشْفِ منك تكن سُبَّةً *

فقال دِعْبِل :

* وإن أَعْفُ عنك فما تفعل *

(١) الأطناب : جمع طنب : وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

روى له الأخفش أبياتا كان يفضلها ويستجيدها

أنشدنى الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلها ويستجيدها :

أميل مع الذِّمام على ٱبن أمِّى * وآخُذ للصّديق من الشقيق
وإن ألفيْتَنى حُـرًّا مُطاعا * فإنك واجدى عبدَ الصديق
أُفـرِّق بين معروفى ومَنِّى * وأجمع بين مالى والحقوق

جوابه لأبى أيوب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو الحسن بن أبى البَغْل قال حدّثنى عمّى قال : اجتاز محمد بن علىّ برد الخيار[1] على أبى أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّى ديار مُضَر فلم يتلقّه ، ونزل الرَّقّة فلم يصل إليه ولم يَبَرَّه ، وخرج عنها فلم يُشيِّعْه . فلامه إخوانُه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّة . فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبدًا مُعتَـذِرٌ لا يُعْـذَرُ * ورَكُوبٌ للتى لا تُغْفَـرُ
ومُلَقًّى بمساوٍ كلُّها * منه تبـدو وإليه تصدُرُ
هى من كل الورى مُنْكَرَةٌ * وهى منه وحده لا تُنْكَر

كان يهوى جارية اسمها « سامر » أهدت له جاريتين

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ٱبن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنِّين بسُرَّ مَنْ رأى يقال لها سامر، وشُهِر بها ، فكان منزله لايخلومنها ، ثم دُعِيتْ فى وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياما ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديتُ صاحبتَىَّ اليك عِوَضًا من مَغيبى عنك ؛ فأنشأ يقول :

(١) كذا فى الأصول وتاريخ الطبرى (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفى معجم الادباء لياقوت فى الكلام على إبراهيم بن العباس : " محمد بن على بن برد الخباز " بالزاى .

صـــــوت

أقبلن يَحُفُفن مثلَ الشمس طالعةً * قـد حسَّن الله أُولاها وأُخراها
ما كنتِ فيهن إلّا كنتِ واسطـةً * وكُنَّ دونك يُمنـاها ويُسراها

الغناء لسَلْسَل مولى بنى هاشم، ثانى ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ . وليس لسلسل خبر يُدَوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممّن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهِلالىّ . وسَلْسَل هذه كانت من أحسن الناس وجها وغِناءً، وكانت لبعض المغنّين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشّقها ولم تكن مولاته . فأخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال : أتى أبَانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبَصرة وله قَيْنة يقال لها سَلْسَل، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالىّ وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقفىّ فقال :

٢٤/٩

فتنتْ سَلْسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ * ثم ثَنَّتْ بابن صخر فافتتنْ
فأتيتُ اليـومَ كى أُنقِـذَهم * فإذا نحن جميعـا فى قَرَنْ

فأظُنّ الغَلَط وقع على حَبَش من هاهنا أو سمع هـذا الخبر فتوهَّم أنها مولاة محمد ابن حرب .

ذهابه مع دعبل ورزين وذكره خبر أهل الشوك وشعرهم فى ذلك

أخبرنى عمّى ووكيع قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عيسى ابن عبد الرحمن قال :

خرج إبراهيم بن العباس ودِعْبِل بن علىّ وأخوه رَزِين فى نُظَرائهم من أهل الأدب رَجّالةً إلى بعض البساتين فى خلافة المأمون، فلقِيَهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوْك، فأعطَوْهم شيئا وركبوا تلك الحمير، فأنشأ إبراهيم يقول :

أُعِيضَتْ بعد حَمْل الشُّو * كِ أحمالًا من الحرف (١)
تَسَاوَى لا من الصَّهْبا * ء بل من شِدّة الضَّعْف

فقال رَزِين :

فلو كنتم على ذاك * تؤولون إلى قَصْف
تَساوتْ حالُكم فيه * ولم تَبْقَوْا على خَسْف

فقال دِعْبِل :

وإذ فات الذى فات * فكونوا من بنى الظَّرْف
ومُرُّوا نَقْصِف اليوم * فإنى بائعٌ خُفِّى

فانصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم .

رثاؤه لابنه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال قال لى علىّ ابن الحسين الإسكافىّ :

كان لإبراهيم ٱبنٌ قد يَفَع وترعرع، وكان مُعْجَبًا به فٱعتلّ عِلّة لم تَطُل ومات؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة، وجزِع عليه جَزَعا شديدا. فمما رثاه به قوله :

كنتَ السوادَ لمُقْلتى * فبكى عليك الناظرُ
مَنْ شاء بعدَك فَلْيَمُتْ * فعليك كنتُ أُحاذِر

فيه رَمَلٌ لابن القَصّار . ومن مراثيه إيّاه قوله :

وما زلتُ مُذْ لَدُ أُعطيتُه * أُدافع عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائبًا بالقُرانِ * وأرْمى بطرفى إلى حيث حَلّ
فأضحت يدى قصدُها واحدٌ * إلى حيث حلَّ فلم يَرْتَحِل

عاتبه أبو وائلة فى لهوه فقال شعرا

وقال أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أبو وائلةَ قال: قلت لإبراهيم بن العبّاس: قد أهملتَ نفسك ورضيتَ أن تكون تابعا أبدا لاقتصارك على القَصْف واللعب؛ فأنشأ يقول:

(١) كذا فى الأصول .

إنّمــا المــرء صــورةٌ * حيث حلَّتْ تناهتِ

أنا مذ كنتُ فى التصرُّف لى حالُ ساعــتى

وهبه أخوه عبد الله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره فى ذلك

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى آبن السِّخىّ قال :

وهَب عبــد الله بن العبّاس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله ، ووهب لأختــه الثلث الآخر، فسار مساوِيًا لهما فى الحال؛ فقال إبراهيم :

ولكنّ عبــدَ الله لمّــا حوى الغنى * وصــار له مــن بين إخوته مالُ

رأى خَــلَّةً منهم تُسَــدُّ بمــاله * فساهَمهم حتى آستوتْ بهمُ الحال

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه آبتداءً "ولكنّ عبد الله". وقد كرَّره فى شعره فقال :

٢٥/٩

ولكنّ الجــوادَ أبا هشــام * وفىُّ العهــد مأمونُ المَغيبِ

بَطِىءٌ عنك ما آستغنيتَ عنه * وطَلّاعٌ عليك مع الخطوبِ

والسبب فى ذلك آختيارُه شعرَه و إسقاطُه ما لم يَرْضَه منه .

عزله عن الأهواز

وقرأت فى بعض الكتب : لمّــا عُزِل إبراهيم بن العبّاس عن الأَهْواز فى أيام محمد بن عبد الملك الزيّات آعتُقِل بهــا وأُوذِى، وكان محمد قبْــل الوزارة صديقَه، وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه و يُطْلِقَه، فكتب إليه :

فلو إذْ نَبَا دهرٌ وأُنْكِرَ صاحبٌ * وسُلِّط أعــداءٌ وغاب نصــيرُ

تكون عن الأَهْواز دارى بنَجْوةٍ * ولكــن مقاديرٌ جرتْ وأمور

و إنى لأرجو بعــد هذا محمدًا * لأَفْضَــلِ ما يُرْجَى أخٌ ووزير

فأقام محمد على قصدِه وتكشُّفِه والإساءةِ إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه، وآنفرجت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاء كثيرا .

أرسل ابن الزيات أبا الجهم للنكاية به

وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو عبد الله الباقْطانىّ أو الطَّالْقانىّ قال حدّثنى علىّ بن الحسين بن عبد الأعْلَى قال :

وجّه محمد بن عبد الملك بأبى الجَهْم أحمد بن سيف إلى الأَهْواز ليكشِف إبراهيم ابنَ العبّاس ، فتحامل عليه تحاملًا شديدًا . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعرّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يُبالى ما عمِل ، وهو القائل لمّا مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت :

وأقبلتَ تسعى إلى واحــدى * ضِرارًا كأنّى قتلتُ الرسـولا
تركتَ عَبيــدَ بنى طـاهرٍ * وقد ملئوا الأرضَ عَرْضا وطولا
فسوف أَدِينُ بترك الصــلاة * وأَصْطَبِح الخمـرَ صِرْفًا شَمـولا

فكان محمد لعصبيّته على إبراهيم وقَصْدِه له يقول : ليس هذا الشعر لأبى الجَهْم ، إنما إبراهيم قاله ونَسَبَه إليه .

مدح المتوكل ببيتين وغنى بهما جعفر ابن رفعة

أخبرنى أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدّثنى أبى قال دعانى إبراهيم بن العبّاس وقال : قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكّل ببيتين ، فغنِّ فيهما وأَشِعْهما ، ودعا لى بِطيب كثير فأعطانيه ، وخلَع علىّ خِلعة سَرِيّة ، فغنّيتُ فيهما . والبيتان :

صــوت

ما واحدٌ من واحدٍ * أولى بفضـل أو مُرُوّهْ
ممّن أبوه وجَـدُّه * بين الخـلافة والنُّبوّهْ

وأشَعْتُهما وغنّى فيهما المتوكّل فآستحسنهما ووصله صِلَةً سنيّة .

لحنُ جعفر بن رفعة فى هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه

أخبرنى محمد بن يونس الأنْبَارىّ قال حدّثنى أبى :

أن إبراهيم بن العباس الصُّولِىّ دخل على الرِّضا لمّا عقد له المأمون وولّاه العهدَ، فأنشده قولَه :

أزالت عَزاءَ القلب بعد التجلُّدِ * مصارعُ أولاد النبىِّ محمّد

٢٦/٩

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التى ضُرِبت بآسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مُهور نسائه، وخلّف بعضها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره.

آذى إسحاق ابن أخى زيدان فهدّده فكف عنه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو العبّاس بن الفُرات والباقْطانىّ قالا :

كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخى زيدان صديقا لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعرَه فى مدح الرِّضا، ثم ولِىَ إبراهيمُ بن العبّاس فى أيام المتوكِّل ديوانَ الضِّياع، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلْوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعَد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثِق به : قل لإبراهيم بن العبّاس : والله لئن لم يَكْفُف عمّا يفعله فىّ لأُخرِجنّ قصيدتَه فى الرِّضا بخطّه إلى المتوكّل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجّه من آرتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته فى ثقيل

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا إبراهيم بن المُدَبِّر قال :

راكبت إبراهيمَ بن العبّاس، فلَقِينا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله، فسلّم عليه. فلمّا مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جَرْمىّ. فقلت : ما كان عندى إلّا أنه من أهل السَّواد. فضحِك وقال : إنما أردتُ قولَ الشاعر :

تُسائل عن أخى جَرْمٍ * ثقيلٌ والذى خَلَقَهْ

كتابه فى شفاعة لرجل الى بعض إخوانه

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى محمد بن السَّخِىّ (١) قال حدّثنى الحسن بن عبد الله الصُّولِىّ قال :

(١) كذا فى جميع الأصول هنا. وقد جاء فى صفحة ٥ فى جميع الأصول أيضا : «أحمد بن السخى». وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين.

كتب عمّي إبراهيمُ بن العبّاس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممّن يزْكُو شكره ، ويحسُن ذكرُه ، ويَعْنِي أمرُه ، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقعَها ، وسالكةٌ طريقَها .

وأفْضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا * إصابةُ شكر لم يَضِعْ مَعَهُ أجرُ

أخبرنى عمّى عن أبى العَيْناء قال :

مدحه عبيد الله ابن يحيى عند المتوكل

كان عُبَيْد الله بن يحيى يقول للتوكّل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العبّاس فضيلةٌ خَبَأَهَا الله لك ، وذخيرةٌ ذَخَرها لدولتك .

وذُكر عن علىّ بن يحيى :

طلب اليه المتوكل وصف القدور الابراهيمية ومجونهما فى ذلك

أنّ المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمره أن يصف له القُدورَ الإبراهيميّة ، وكان ٱبتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب فى آخرها فى ذكر الأبازير : "ووزن دَانَقٍ" ونسىَ أن يكتب من أىّ شىء . فلمّا وصلتْ إليه الصفةُ ٱغتاظ ثم قال لعلىّ بن يحيى : إحلف بحياتى أن تقول له ما آمُرك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ دانق من أى شىء ؟ أمِن بظر أمّك ! قال علىّ بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إنى جئتك فى رسالة عزيز علىّ أن أؤدّيها ؛ فقال : هاتها ، فأدّيتُها . قال : فٱرجِع إليه وقل له عنّى : ياسيّدى ، إن علىّ بن يحيى أخى وصديق وقد أدّى الرسالة ؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدّانق من بَظْر أمّى و بَظْر أمّه جميعا تفضّلتَ بذلك . فقلت : قبحك الله ! وأنا أيْش ذنبى ! قال : قد أدّيتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكّل فقال : إيهِ ما قال لك ؟ فقلتُ : قَبَح الله ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيّةَ يومِه . وإذا لَقِيتُه قال لى : ياعلىّ ، وزن دانق أيْش ! فأقول : لعنة ٱلله على إبراهيم .

داعب الحسن بن وهب وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال :

دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العبّاس، فقال له : أرْكَبُ وأجيئك عشيًّا فلا تنتظرنى بالغَداة. فأبطأ عليه، وأسرع الحسنُ فى شُرْبه فسكِر ونام، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال، فدعا بدواة وكتب :

٢٧
٩

رُحْنا إليك وقد راحتْ بك الرَّاحُ * وأسرعتْ فيك أوتارٌ وأقداح

قال : وحدّثنى محمد بن موسى قال :

نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْب وهو مخمورٌ فقال له :

عيناكَ قد حَكَتا مَبِيـ * ـتَكَ كيف كنتَ وكيف كانا
ولرُبَّ عينٍ قد أرتـ * ـكَ مَبِيتَ صاحبها عِيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها، فكتب اليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبياتُ إبراهيم :

أأبا علىّ خيرُ قولِك ما * حصَّلتَ أنجعَه ومُخْتصَرَهْ
ما عندنا فى البيع من غَبَنٍ * لِمُستقِلٍّ بواحدٍ عَشَره
أنا أهلُ ذلك غيرَ مُحْتَشِمٍ * أرْضَى القديمَ وأقتفِى أثَره
ها نحن وفَّيناك أربعةً * والأربعون لديك مُنتظَره

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن العبّاس وقد لبِس سوادَه يومًا يقول : ياغلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذى ماضرّ الله به أحدًا قطُّ غيرى .

كان يستثقل ابن أخيه وحكايات عنه فى ذلك

قال : وسأل يوما عن ابن أخيه طاس وهو أحمد بن عبد الله بن العبّاس فقيل له : هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده، وكان يستثقله، فقال قل له يا غلام : والله مالك فى الناس طَبْعٌ، ولا فى السماء نجم، فمالك تَكَلُّفُ هذا التكلّف .

أخبرني الصّولي قال حدّثني أحمد بن السّخيّ قال :

أمر إبراهيم بن العبّاس أن يُجمَع كلُّ أعور يمرُّ في الطريق، فجمعوهم ووقّفوهم وخرج ومعه طاس، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطاس : كُلُّهم مثلُك، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التّلف .

أخبرني الصُّولي قال حدّثني مَيمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العبّاس : تعالَ حتى نَعُدَّ البُغَضاء؛ قال : ابدأ بي أوّلًا من أجل ابن أخي طاس ثم ثَنِّ بمن شئتَ .

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعرا

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود :

ركبتُ بين يَدَيْ إبراهيم بن العبّاس . فأمَرَ الحسنَ بن مُخَلَّد(١) بأمرٍ فاستبطأه فيه فنظر اليه فقال :

مُعْجَبٌ عند نفسه * وهو لي غير مُعْجِبِ
إن أقُلْ لا يَقُلْ نعم * عاتبٌ غيرُ مُعْتِب
مُولَعٌ بالخلاف لي * عامدًا والتجنُّب
قلتُ فيه بضدّ ما * قيل في أمّ جُنْدُب

يريد قولَ امرئ القيس :

"خليليَّ مُرّا بي على أمّ جُنْدُب"

أي فأنا لا أريد أن أمُرّ بك .

تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه

قال وأخبرني الصُّولي قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلّبي عن أبيه قال :

كان المتوكل قد ولّى ابنَ الكلبيّ البريدَ ، وأحلَفه بالطّلاق ألّا يَكتُمَه شيئا من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب اليه يوماً أن امرأته

(١) هو الحسن بن مخلد بن الجراح، تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا. (انظر الكلام عليه في تاريخ الطبري : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ — ١٤٤٧ و ١٦٤٧ — ١٦٤٨) .

٢٨/٩ خرجت مع حُبَّتها[1] فى نُزْهة، وأن حُبَّتها عَرْبَدتْ عليها بجرحتْها فى صُدْغها. فقرأه إبراهيم ابن العبّاس على المتوكّل ثم قال له: ياأمير المؤمنين، قد صحّف ابنُ الكلبىّ، إنما هو: "جرحتْها فى سُرْمها"[2]، فضحك المتوكّل وقال: صدقتَ، ما أظن القصة إلّا هكذا. قال: ولم يكن ابن الكلبىّ هذا من العرب، إنما كان أبوه يُلَقَّب "كلب الرَّحْل" فقيل له الكلبىّ.

استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ميمون بن هارون قال:

كتب إبراهيم بن العبّاس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك وقد بلغت المُـدْيةُ المَحَزَّ[3]، وعدَتِ الأيامُ بك علىّ، بعد عَدْوى بك عليها، وكان أسْوأ ظنّى وأكثر خوفى، أن تسكُنَ فى وقت حركتها، وتَكُفَّ عند أذاها، فصرتَ علىّ أضرّ منها، وكفَّ الصديقُ عن نُصْرتى خوفاً منك، وبادر إلىّ العدوُّ تقرُّباً إليك. وكتب تحت ذلك:

أخٌ بينى وبين الدّهـ * ـر صاحَبَ أيّنا غَلَبَا
صديق ما آستقام فإن * نبا دهرٌ علىّ نبا
وَثَبْتُ على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد به أخًا حَدِبا

قال وكتب إليه: أمَا والله لو أمِنتُ ودَّك لقلت؛ ولكنى أخاف منك عَتْبا لا تُنصفنى فيه، وأخشى من نفسى لائمةً لا تحتملها لى. وما قد قُدِّر فهو كائن، وعن كل حادثة أُحدوثة. وما آستبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطًا حالةً أنا فى مكروهها وألَمِها أشدّ علىّ من أنّى فزِعت إلى ناصرى عند ظلم لحقنى، فوجدتُ من يظلمنى أحفَّ نيّة فى ظُلْمى منه، وأحمَدُ الله كثيرا. ثم كتب فى أسفلها:

(١) الحبة: المحبوبة. (٢) فى الأصول: «صرمها» بالصاد، وهو تحريف.
(٣) كذا فى معجم الأدباء لياقوت. وفى الأصول: «المحزة».

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبا صرتَ حَرْبًا عَوانًا
وكنتُ أذُمُّ اليــك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنتُ أعِــدُّك للنــائبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن عبد الملك وكان قد أغرى به الواثق

أخبرنى الصُّولِىّ قال أخبرنى الحسين بن فَهْم قال :

كان محمــد بن عبد الملك قد أغْرَى الواثقَ بابراهيم بنِ العبّاس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقْبَل منه ما رَفَعــه ، وردَّه الى الحَضْرة مَصُونًا ، فلمــا أحسَّ إبراهيمُ بذلك بَسط لسانَه فى محمد ، وحسُن ما بينه و بين ٱبن أبى دُوَاد[1] . وهجا محمدَ بن عبد الملك هِجاءً كثيرًا ، منه قوله :

قَدرتَ فلم تَضْرُرْ عدوًّا بقدرةٍ * وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّلَّ والرَّغْما
وكنتَ مليئًا بالتى قــد يَعافها * من الناس من يأبى الدَّنيئةَ والذَّمّا

تمادح هو وأبو تمام

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنا ٱبن السَّخِىّ قال حدّثنى الحسين بن عبد الله قال : سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقــول لأبى تمّــام الطائى وقــد أنشده شــعرًا له فى المعتصِم : يا أبا تمّــام ، أمراءُ الكلام رعيّةٌ لإحسانك . فقال له أبو تمّــام : ذلك لأنى أستضىء بك وأرِدُ شريعتَك .

اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال سمعت إبراهم بن المُدَبِّر يقول :

٢٩/٩ جرى بين إبراهيم بنِ العبّاس و بين أخى أحمــد بن المــدبّر شىء ، وكان يَوَدُّنِى دون أخى ؛ فَلقيتُه فٱعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لى : يا أبا إسحاق :

(١) يعنى بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبى دواد و يهجوه . (انظر خبر ذلك مفصلا فى ج ٢٠ ص ٥١ من الأغانى طبع بلاق) .

صـــوت

خــلِّ النِّفاق لأهــله * وعليــكَ فٱلتمسِ الطَّريقا
وٱذهب بنفسك أن تُرى * إلّا عـــدوًّا أو صــديقا

الغناء لأبى العُبَيْس .

احتال على المتوكل لينجى بعض عماله من العقوبة

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال :

اِنصرف إبراهيم بن العبّاس يوما من دار المتوكِّل فقال لنــا : أنا والله مسرورٌ ء مغمومٌ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزّك الله؟ قال : كان أحمد بن المُدَبّر رفع إلى ير المؤمنين أن بعض عُمّالى ٱقتطع مالا ، وصدَق فى الذى قاله ، وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوتُ له ، وضحِك إلىّ فقال لى : إن أحمد قد رَفَع على عاملك كذا وكذا فٱصدُقْنى عنه ؛ فضاقت علىّ الحُجّة ، وخفتُ أن احقِّق قولَه إن ٱعترفت ، ثم لاأرجع منه إلى شىء فيعود علىّ الغُرْم ، فعدَلْت عن الحُجّة إلى الحيلة فقلت : أنا فى هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك :

صـــوت

رَدّ قلبى وصدّق الأقوالَا * وأطــاع الوُشاةَ والعُــذّالَا
أتُراه يكون شهرَ صــدودٍ * وعلى وجهــه رأيتُ الهلالا

قال : لا يكون والله ذلك بحيــاتى يا إبراهيم ! رَوِّ هــذا الشعرَ بَنَــانًا حتى يُغَنِّينى فيه . فقلت : نعم يا سيّدى على ألّا يُطالَبَ صاحبى بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه فى المــال . فسُررتُ بالظَّفَر ، وٱغتممتُ لبُطلان هذا المــال وذَهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع فى زمن طويل وتعبٍ شديد .

سرق ابن دريد وابن الرومى من شعره

أنشدتُ عمّى رحمه الله أبياتا لأبن دُرَيْد يمدح رجلا من أهل البصرة :

يا من يُقَبِّل كفَّ كلِّ مُخرّقٍ * هذا آبنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّـلْ أناملَه فلسن أنامـلا * لكنّهنّ مَفَـاتحُ الأرزاق

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وآبنُ الرُّومىّ جميعًا من إبراهيم بن العبّاس ؛ قال إبراهيم بن العبّاس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل :

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ * تَقَـاصَرَ عنها الأملْ
فباطِنُهـا للنّـدَى * وظاهرُها للقُبَـلْ
وبَسْـطتُها للغِـنَى * وسطوتُها للأجَـلْ

وسرقه آبن الرُّومىّ فقال :

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذَلّةٍ * والحُـرُّ بينهما يمـوت هَزِيلا
فأمـدُدْ إلىَّ يدًا تعـوَّد بطنُها * بَذْلَ النّـدَى وظهورُها التّقبيلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين

٣٠/٩

أخبرنى الصُّولىّ قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلبًا يقول :

كان إبراهيم بن العبّاس أشعرَ المُحدَثين . قال: وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ غيرَه . قال : وكاد يَستحسنُ كثيرا قولَه :

لنا إبلٌ كُومٌ(١) يَضيق بهـا الفَضا * ويَفـترُّ عنها أرضُها وسمـاؤُها
فمِنْ دونهـا أن تُستباح دماؤُنا * ومن دوننا ان تُسْـتباح دماؤُها
حِمًى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها * وأيسرُ خطبٍ يوم حَـقّ فناؤُها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجيدَ له .

(١) الكوم : الابل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أكوم والأنثى كوماء

مدح الحسن بن سهل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن ابن رجَاء يقول :

كنّا بفَم الصِّلح[(١)] أيامَ بَنَى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل ، فقدِم إبراهيم ابن العبّاس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده :

لِيَهْنِئكَ أصهارٌ أذلّتْ بعِــزِّها * خدوداً وجدَّعتَ الأنوفَ الرَّواغما
جمعتَ بها الشمْلَيْنِ من آل هاشمٍ * وحُزتَ بهـا للأكرمِينَ الأكارما
بَنُوك غَدَوْا آلَ النبيّ ووارِثو الـ * خلافـةِ والحاوُون كِسْرَى وهاشما

فقال له الحسن : " شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أَخْزَم "[(٢)] أى إنّك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسَنَ الله عنّا جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فِعلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقّك .

قال شعرا فى قينة سمها "سامر" كان يهواها فغضبت عليه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال :

أنشدنى إبراهيم بن العبّاس لنفسه فى قَيْنة ٱسمها سامِر كان يهواها فغضبتْ عليه :

وعلّمتِنى كيف الهوى وجَهِلتِــه * وعلّمكم صــبرى على ظُلمكم ظُلْمى
وأعـلم ما لى عنــدكم فــيردّنى * هوايَ إلى جهل فأقصِر عن عِلْمى

شعره فى قصر الليل

أخبرنى الصُّولىّ قال :

سمعتُ عُبَيْدَ الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعْلَمُ لقديمٍ ولا لمُحْدَثٍ فى قِصَر اللّيل أحسن من قول إبراهيم بن العبّاس :

(١) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أخزم الطائى وكان له ابن يقال له أخزم ؛ قيل : كان عاقا فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم فأدموه ، فقال :

إن بنى ضرّجونى بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم
* من يلق آساد الرجال يكلم *

وليلةٍ من الليالى الزُّهْرِ * قابلتُ فيهــا بدرَها ببــدرِ
لم تك غـــير شَفَقٍ وفجـــر(١) * حتى تولَّتْ وهى بِكْرُ الدهرِ

تنكر له ابن الزيات لصلتـه بابن أبى دواد فاعتذر له بشعر

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن بِشْر المَرْثَدىّ قال: كان إبراهيم بن العبّاس يوماً عند أحمد بن أبى دُوَاد، فلمّا خرج من عنده لَقِيَه محمد ابنُ عبد الملك الزيّات وهو خارج من داره؛ فتبيّن إبراهيمُ فى وجه محمدٍ الغضبَ فلم يخاطبه فى العاجل بشىء. فلما انصرف إلى منزله كتب اليه :

دَعْنِى أُواصِــل مَنْ قطعـ * ـتَ يراك بى إذ لا يَرَاكا
إنّى متى أهجُــرْ لهجـ * ـرك لا أضرّ به ســـواكا
وإذا قطعـــتُك فى أخيـ * ـك قطعتُ فيك غداً أخاكا
حـــتى أرى مُتَقَسِّماً * يومِى لذا وغَــدِى لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه وشعره فى ذلك

٣١ / ٩

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى أبو العَيْناء قال :

كنت عند إبراهيم بن العبّاس وهو يكتب كتابا، فنقَّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمَسَحها بكمّه؛ فتعجّبتُ من ذلك؛ فقال : لا تَعْجَبْ، المــال فرع والقلم أصل، ومن هذا السّــواد جاءت هــذه الثياب، والأصل أحوج إلى المُراعاة من الفرع. ثم فكّر قليلا وقال :

إذا ما الفكر ولَّدَ حُسْنَ لفظ * وأسلَمه الوجود إلى العيانِ
ووشّاه فنَمْنَمَه مُسِــدٌّ(٢) * فصيحٌ فى المقال بلا لسانِ
ترى حُلَلَ البيان مُنَشَّرات * تجلَّى بينهــا صُوَرُ المعــانى

(١) فى ب وسنـ : «وبدر». (٢) مسد : مصيب السداد.

اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفا عنه بشفاعة هشام الخطيب

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن صالح بن النطّاح قال :

لمّا عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل(١)، وندب له عبدَ العزيز بن عمران الطائىّ، ومؤنسا البصرىّ، وخلفًا المصرىّ، وعلىّ بن أبى سعد ذا القلمين، وسراجًا الخادم، نُمِىَ الخبرُ إلى الفضل، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه. فلمّا قُتِل الفضلُ وقتل المأمون قتلته، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العبّاس، فطلبه فاستتر. وكان إبراهيم عرف هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عمران، وكان الفضل استكتب إبراهيمَ لعبد العزيز بن عمران، فأخبر به الفضلَ. قال: وتحمّل إبراهيمُ بالناس على المأمون، وجرّد فى أمره هشاما الخطيبَ المعروفَ بالعبّاسىّ وكان جريئا على المأمون لأنه ربّاه، وشخص إليه إلى خُراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدىّ، فلم يُجبه المأمون إلى ما سأل. فلقيه إبراهيم مستترًا وسأله عمّا عمل فى حاجته. فقال له هشام: قد وعدنى فى أمرك بما تُحبّ. فقال له إبراهيم: أظنّ أن الأمر على غير هذا! قال: وما تظنّ؟ قال: محلّك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يَعِدك شيئا فترضَى بتأخيره، وهو أكرم من أن يَعِد مثلك شيئا فيؤخّره، ولكنك سمعتَ ما لا تحبّ فىّ فكرهتَ أن تغمّنى به فقلت لى هذا القول، وأحسنَ الله على كل الأحوال جزاءك. فمضى هشام إلى المأمون فعرّفه خبرَ إبراهيم، فعجب من فطنته وعفا عنه. قال: وفى هشام يقول إبراهيم ابن العبّاس :

مَنْ كانت الأموالُ ذُخْرًا له * فإنّ ذُخْرِى أمَلى فى هشام

فتًى يقِى اللّائمةَ عن عِرْضه * وأنهبَ المالَ قضاءَ الذِّمام

(١) راجع الطبرى فى هذه القصة (ق ٣ ص ١٠٢٥ — ١٠٢٨) ففيها اختلاف عما هنا.

مدح الفضل بن سهل

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو الحسين بن أبى البَغْل قال :

دخل إبراهيم بن العبّاس على الفَضْل بن سَهْل فآستأذنه فى الإنشاد ، فقال هاتِ، فأنشده :

يُمضِى الأمورَ على بديهته * وتُرِيه فكرتُه عواقبَها
فيظَلُّ يُصدِرُها ويُورِدُها * فيَعُمُّ حاضرَها وغائبَها
وإذا ألمَّتْ صَعْبةٌ عظُمتْ * فيها الرزيّةُ كان صاحبَها
المستقِلّ بها وقد رَسَبَتْ * ولوتْ على الأيام جانبَها
وعدَلْتَها بالحقّ فآعتدلَتْ * ووسِعت راغبَها وراهبَها
واذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها * رأيا تَفُلُّ به كتائبَها
رأيًا اذا نَبَتِ السيوفُ مضى * عزمٌ بها فشفَى مَضاربَها
أَجْرى إلى فئة بدولتها * وأقام فى أُخرى نَوَادبَها
وإذا الخطوبُ تأثّلتْ ورَسَتْ * هَدَّتْ فواصلُهُ نوائبَها
وإذا جرتْ بضميره يَدُه * أبدتْ به الدّنيا مناقبَها

٣٢/٩

وأنشدنى عمّى لإبراهيم بن العبّاس فى الفَضْل بن سهل وفيه غِناء :

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِين * إذا ما تأمّله النّاظرُ
لمثّلتُه لك حتى تَراه * فتعلم أنّى آمرؤ شاكرُ

الغناء لأبى العُبَيْس ثقيل أوّل . وفيه لرَذَاذ ثانى ثقيل . حدّثنى أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُّوبَختيّ قال حدّثنى جماعة من عُمومتى وأهلنا أن رَذَاذًا صنع فى هذين البيتين لحنا أُعجِب به الناسُ وآستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العُبَيْس لحنا آخر، فسقَط لحنُ رذاذ وآختار الناس لحنَ أبى العُبَيْس .

مدح المتوكل وولاة العهود فأجازوه

أخبرنى حَنْظلة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

لمّا عَقَد المتوكّل لولاة العهود من وَلَده رَكِب بسُرَّ مَنْ رأى رَكْبةً لم يُرَ أحسنُ منها، وركب ولاةُ العهود بين يديه، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَي المتوكّل بمناطق الذهب ، فى أيديهم الطَّبَرْزِينَاتُ[1] المُحَلَّاة بالذّهب، ثم نزل فى المـاء فجلس فيـه والجيش معـه فى الجوانحيّات[2] وسائر السفن ، وجاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له العَروس، وأذِن للنـاس فدخلوا إليه . فلما تكاملوا بين يديه ، مَثَل إبراهيم بن العبّاس بين الصفّين، فآستأذن فى الإنشاد فأذِن له ، فقال :

ولمّـا بدا جعفـرٌ فى الخميـ * ـس بين المطلّ[3] وبين العَروس
بدا لابسًـا بهمـا حُـلّةً * أزيلتْ بها طالعاتُ النُّحوس
ولمّـا بدا بين أحبـابه * وُلاةِ العهـود وعِزِّ النفوس
غـدا قمرًا بين أقمـاره * وشمسًا مُكلَّلة بالشـموس
لإيقـاد نارٍ وإطـفائهـا * ويومِ أنيـقٍ ويومٍ عَبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال :

أضحتْ عُرَى الإسلام وهى منوطةٌ * بالنَّصر والإعـزاز والتأييـدِ
بخليفــةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ * كَنَفُوا الخلافـةَ من وُلاة عهود
قمــرٌ توافتْ حـولَه أقمـارُه * فحَفَفْن مطلعَ سـعده بسعود
رفَعتهـمُ الأيامُ وآرتفعوا به * فسـعَوْا بأكرمِ أنفُسٍ وجدود

قال : فأمَر له المتوكّل بمائة ألف دِرهم، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق فى السرج . فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر فى السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة). (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل : اسم مكان أو قصر، كما هو ظاهر من السياق . ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وآبن برد الخيار فى مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وِزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، ويفضلها ويقدِّمها . فقال له آبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العبّاس :

أسدٌ ضارٍ إذا هيّجتَه * وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَدَرا
يعرِف الأبعدَ إن أَثْرَى ولا * يعرِف الأَدْنَى إذا ما آفتقرا

٣٣/٩

أو مثلُ قوله :

تلِج السنون بيوتَهم وتَرى لهم * عن جار بيتِهمُ آزورارَ مَنا كبِ
وتراهمُ بسيوفهم وشِفارهم * مُسْتَشرِفين لراغبٍ أو راهب
حامِين أو قارِين حيث لقِيتَهم * نَهْبَ العُفَاة ونُهْزَةَ للرّاغب

فآذكُرْه وآفخَرْ به ، وإلّا فاقْلِلْ من الآفتخار والتّطاول بما لا طائل فيه ؛ فخجل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْرى ما فى الكُتّاب أشعر من أبى إسحاق وأبى علىّ ، (يعنى عمّه الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتّابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما آبن برد الخيار .

هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون

أنشدنى علىّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يُهنِّئ الحسن بن سهل بصِهْر المأمون :

هَنَتْكَ أكرومةٌ جُلِّلْتَ نعمتَها * أعلتْ وليَّك وآجتثّتْ أعاديكا
ما كان يحيا[1] بها إلا الإمامُ وما * كانت إذا قُرنت بالحقّ تعدوكا

هجا محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى أبو محمد الحسن ابن مَخْلَد قال :

(١) كذا فى جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودعَ محمد بن عبد الملك الزيّات مالاً عظيما وجوهرًا نفيسًا، وقد رأى تغيُّرًا من الواثق نخافه وفرّق ذلك فى ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامِليه من التّجار. وكان إبراهيم بن العبّاس يُعاديه ويَرْصُد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغْرِيه به:

نصيحةٌ شانَهـا وزيرُ * مُستَحْفَظٌ سارقٌ مُغيرُ
ودائعٌ جَمّـةٌ عِظَام * قدأُسبِلتْ دونَها السُّتور
تسعةُ آلافِ ألفِ ألْفٍ * خِلالَهـا جوهرٌ خطير
بجانب الكَرْخ عند قومٍ * أنت بمـا عندهم خبير
والمَلِكُ اليوم فى أمـور * تَحْدُث من بعدها أمور
قـد شَغَلته مُحَقَّراتٌ * وصاحبُ الكارَّة(١) الوزير

مدح المعتز بشعر — أنشدنى علىّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يمدح المعتزّ وفيه غناء:

صــوت

سَحُورُ مَحَاجِرِ الحَدَقهْ * مليحٌ والذى خَلَقَـهْ
سَـواءٌ فى رِعايتـه * مُجَانبُـه ومَنْ عَشِقَهْ
لعينى فى محاسـنه * رياضُ محاسنٍ أَنِقَـهْ
فأحيـانًا أنزّهها * وطورًا فى دمٍ غَرِقهْ

يقول فيها فى مدح المعتزّ بالله:

فيـا قمرًا أضـاء لنا * يُلألِئُ نورُه أُفُقَـهْ
يُشَبِّهه سنـا المعـتزّ * ذو مِقَةٍ إذا رَمَقَـهْ
أمـيرٌ قـلّد الرحمـ * ـنُ أمرَ عباده عُنُقَهْ

(١) الكارة: ما يجمع ويشد، ويعنى بها السرة التى فيها المال.

٣٤/٩

وفضّله وطيبه * وطهّر فى الورى خُلُقَهْ

فى الأربعة الأبيات الأُوَل رَمَلٌ ذكر الهشامىّ أنه لابن القصّار، ووجدتُه فى بعض الكتب لعَرِيب .

هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرّض عليه فقال شعرا

أنشدنى الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يقولها لأحمد بن المُدَبّر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنّئا ، وكان آستعان به فى أمر نكبته فقعد عنه، وبلغه أنه كان يحرّض عليه آبن الزيّات :

وكنتَ أخى بالدّهر حتى إذا نَبا * نَبَوْتَ فلمّا عاد عُدْتَ مع الدّهر

فلا يومَ إقبال عَدَدْتُك طائلا * ولا يومَ إدبارٍ عددتُك فى وِتْر

وما كنتَ إلّا مثلَ أحلام نائمٍ * كِلَا حالتَيْكَ من وفاءٍ ومن غَدْر

عاتبه ابن المدبر فقال شعرا

وأنشدنى الصّولىّ له فى أحمد بن المدبر أيضا وقد عاتبه أحمد بن المدّبر على شيء بلغه فقال :

هَبِ الزّمانَ رمانى * الشأنُ فى الخُلّان

فيمَنْ رمانىَ لمّا * رأى الزمانَ رمانى

ومن ذَخَرتُ لنفسى * فصار ذُخرَ الزمان

لو قيل لى خُذْ أمانًا * من أعظم الحَدَثان

لمّا أخذتُ أمانًا * إلّا من الإخوان

* * *

ومن أخبار المُعْتَضِد بالله الجاريةِ مَجْرى هذا الكتاب

المعتضد وغلامه بدر

حدّثنى عمّى عن جدّى رحمهما الله قال قال لى عُبَيْد الله بن سليمان، وكان يأنس بى أنسًا شديدًا لقديم الصُّحبة وآئتلاف المَنْشأ : دعانى المعتضد يوما فقال :

أَلَا تُعاتب بدراً[(١)] على مالا يزال يستعمله من التخرّق فى النّفقات والإثابات والزّيادات والصِّلات! وجعل يؤكِّد القولَ علىّ فى ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره فى إطلاقات مُسرفةٍ ونفقات واسعة وصِلات سنيّة وهو يأذن له فى ذلك كلّه . فلما خرج رأى فى وجهى إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بينى وبينه؛ فقال لى : يا عُبَيد الله قد عَرفتُ ما فى نفسك، وأنا وإيّاه كما قال الشاعر :

صـــوت

فى وجهه شافعٌ يمحــو إساءته * من القــلوب مطاعٌ حيثما شَــفَعَا
مُسْتَقبَلٌ بالذى يَهْوَى وإن كثُرتْ * منه الإساءةُ مغفورٌ لمـا صَـــنَعا

وفى هذين البيتين خفيفُ رَمَلٍ .

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء فى شعر الوليد بن يزيد

حدّثنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى أحمد بن العَلَاء قال : غنّيتُ المُعتَضِدَ :

كلِّلانى توِّجانى * وبشعرى غنِّيانى[(٢)]
أطلِقانى من وَثاقى * وآشدُدانى بعِنانى

فآستحسنه جدًّا، ثم قال لى : ويحك يا أحمد! أمَا ترى زَهْوَ المُلْك فى شعره وقولِه :

كلِّلانى توِّجانى * وبشعرى غنِّيانى

وآستعاده مِراراً، ثم وصَلَنى كلَّ مرّة آستعاده بعشرة آلاف دِرهم، وما وصل بها مغنّياً قبلى ولا بعدى . قال : وآستعاده منّى ستَّ مرّاتٍ ووهب لى ستِّين ألفا . وقال النُّوشَجانى : بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرّةً واحدة . ٣٥ / ٩

(١) كان بدر هذا غلام المعتضد، ولاه الشرطة يوم ولى الخلافة، ثم ولاه بعد ذلك فارس . (انظر تاريخ ابن الأثير ص ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥ ج ٧) . قتله المكتفى سنة ٢٨٩ لأنه أبى أن يبايعه . (انظر سبب مقتله بإسهاب فى تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .

(٢) هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج ٧ ص ٩٣ من هذه الطبعة) .

صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأوّلُهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكرًا فى الغِناء إبراهيم بن المهدىّ؛ فإنه كان يتحقّق[1] به تحقُّقا شديدًا و يبتذِل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشى أحدا. وكان فى أوّل أمره لا يفعل ذلك إلّا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وترفُّع، إلاأن يدعوَه اليه الرّشيد فى خَلْوة والأمينُ بعدَه. فلمّا أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغِناء وشُرْب النّبيذ بحضرته والخروج من عنده ثَمِلًا ومع المغنِّين، خوفًا منه و إظهارًا له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتَك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها. وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعهم فى الغِناء وأحسنهم صوتًا. وهو من المعدودين فى طِيب الصَّوت خاصّةً؛ فإنّ المعدودين منهم فى الدولة العبّاسية: آبن جامع وعمرو بن أبى الكَنّات و إبراهيم آبن المهدىّ ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، و إن كان بعضهم يتقـدّم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّرًا عن أداء الغِناء القديم وعن أن يحوَه فى صنعته، فكان يَحذِف نَغَم الأغانى الكثيرةَ العمل حذفًا شديدا ويُخفِّفها على قَدْر ما يَصلُح[2] له و يفِى بأدائه. فإذا عِيب ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وابن ملك، أُغَنِّى كما أشتهى وعلى ما ألتذّ. فهو أوّل من أفسد الغِناء القديمَ، وجعل للنـاس طريقًا إلى الجَسارة على تغييره. فالناس إلى الآنَ صِنفان: من كان منهم على مذهب إسحـاق وأصحابه ممّن كان يُنكِر تغييرَ الغِناء القديم ويُعْظِم الإقدام عليه ويَعيب مَنْ فعله، فهو يُغنِّى الغِناء القديمَ على جهته أو قريبًا منهـا. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدىّ أو آقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ ورَيّق ومن أخذ عن هؤلاء إنمـا يغنّى الغِناء القديم كما

---

(١) كذا فى الأصول. ولعلها «يحفى به تحفيا ... الخ».

(٢) فى الأصول: «ما أصلح له» وهو تحريف.

يشتهى هؤلاء لا كما غنّاه من يُنْسَب اليه، و يجد على ذلك مساعدين ممّن يشتهى أن يَقْرُبَ عليه مأخذُ الغِناء ويكره ماثقُل وثقُلت أدواره، ويستطيل الزمانَ فى أخذ الغِناء الجيّد على جهته بِقِصَر معرفته . وهذا إذا آطّرد فإنّما الصنعة لمن غنّى فى هذا الوقت لا للتقدّمين ؛ لأنهم إذا غيّروا ما أخذوه كما يَرَوْن وقد غيّره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضا عمّن غيّره، حتى يَمضى على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها، لم يتأدّ[(١)] إلى الناس فى عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتّة . وممن أفسد هذا الجنسَ خاصّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق، وما نفع الله أحدًا قطّ بما أخذ عنه، وزِريابُ الواثقيّة فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغناء كما تريد، وجوارى شارية ورَيِّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومَنْ عداهم من الدُّور بمثل[(٢)] دُورِ عَرِيب ودُورِ جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها، وجوارى البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرَّبيع ومن جرى مجراهم ممّن[(٣)] تمسّك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقى ممّن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير، وعلى[(٤)] أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد آنقضى فى عصرنا هذا. ٣٦/٧

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهدىّ :

صوت

هل تَطمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسْتُرُون هلالَها
أو تدفعون مقالةً من ربِّكم * جِبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالها
طرقَتْك زائرةً فحَيِّ خيالها * زهراءُ تخلط بالدَّلال جمالها

الشعر لمروان بن أبى حَفْصة . والغِناء لإبراهيم بن المهدىّ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر حَبَش أن فيه لآبن جامع لحنًا ماخوريًّا .

(١) فى الأصول : «فلم» . (٢) لعله : «مثل» . (٣) لعله : «فقد» .
(٤) لعله : «على» .

أخبار مروان بن أبي حَفْصة ونسبه

نسبه وشيء من أخبار آبائه

هو مَرْوان بن سليمان بن يحيى بن أبي حَفْصة . ويُكنى أبا السِّمْط . وآسم أبي حَفْصة يزيد . وذكر النَّوْفَلِيّ عن أبيه أنه كان يهوديًّا، فأسلم على يَدَيْ مَرْوانَ بن الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر[1]، وأنّ عثمان آشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهِد أبو حفصة الدّار[2] مع مولاه مروان ابن الحكم، وقاتل قتالاً شديدا وقَتل رجلا من أَسْلَمَ يقال له بنَان . وجُرِح مروان يومئذ، أصابته ضربة قطعتْ عِلْباءه[3] فسقط، فوثب عليه أبو حفصة وآحتمله، فجعل يحمله مرّة على عنقه ومرّة يجرّه، فيتأوّه؛ فيقول له : أُسكت وآصْبِر؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار آمرأة من عَنَزة فَدَاواه فيها حتى بَرِئ؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أمّ ولدٍ له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصة؛ فحضَنَها، فكُنِيَ أبا حَفْصة؛ فحفصةُ بنت مروان . قال : وكان مروان اذا وَلِيَ المدينةَ وجّه أبا حَفْصة إلى اليمامة — وكانت مُضَافةً إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه . قال : فمرّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يقال لها العِرْض، فوقف على باب فآستسقى ماء، فخرجت إليه جارية مُعْصِرٌ[4] فسقَتْه فأعجبته؛ فسأل عنها ليشتريها؛ فقيل له : هي حرّة، وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حَجْرا[5]، ثم تبِعتْها نفسُه

جدّه أبو حفصة وأخباره

(١) إصطخر : بلدة بفارس، وهي من أعيان حصونها ومدنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصروه فيها حتى قتلوه وسمي ذلك يوم الدار . (٣) العلباء : عصبة صفراء في صفحة العنق . (٤) أعصرت المرأة : بلغت عصر شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

فتزوّجها، فلم يخرج من اليمـامة حتى حَملَتْ بيحيى بن أبى حَفْصة، ثم حملتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقَعتْ فتنة آبن الزُّبَيْرِ خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشأم .

قال محمد بن إدريس وحدّثنى أبى قال كان مروان بن أبى الجَنُـوب يقول : أمّ يحيى بن أبى حفصة لحناء(١) بنت ميمون من ولد النابغة الجَعْدىّ، وإنّ الشعر أتى آل أبى حفصة بذلك السبب . قال : وشَهِد أبو حَفْصة مع مَرْوان يوم الجَمَل وقاتل قتالا شديدا . فلما ظفِر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، لجأ مروانُ الى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حَفْصة، فقال لمـالك : أغلِقْ بابك . فقال له مالك : إن لم أَمْنَعكْ والبابُ مفتـوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغْلَقٌ . فطلب علىّ رضى الله عنه مروانَ منه، فلم يدفعه اليه إلا برَهينة، فدفع مالكٌ الرهينةَ إلى أبى حَفْصة، ومضى ٣٧/٩ مروان إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه ، وقال لأبى حفصـة : إن حَدَث حَدَثٌ بصاحبتك فعليك بالرِّهينة . فلما أتى مروانُ عليًّا كساه كُسْوةً، فكساها مروانُ أبا حَفْصة، فغـدا فيها أبو حفصة. وبلغ عليًّا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال : كسوته كُسْوةً فكساها عبدًا ! . وشهِد أبو حفصة مع مروان مَرجَ راهِط(٢)، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا .

قال أبو أحمـد قال لى محمد بن إدريس أخبرنى أبى أن أبا السِّمْط مروان بن أبى الجَنُوب أنشده لأبى حَفْصة يوم الدّار :

وما قلتُ يومَ الدّار للقـوم صالِحُوا * أَجَلْ لا، ولا آخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنّنى قـد قلتُ للقـوم جالِدوا * بأسيافكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

(١) فى ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهـط : فى غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير ، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدنى لأبى حَفْصة أيضا :

لستُ على الزّحام بالأَصِرِّ[(1)] * إنى لَوَرَّادٌ حياضَ الشرِّ
* مُعَاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ *

قال يحيى وأخبرنى محمد بن إدريس قال :

عُكْلٌ تدّعى أنّ أبا حفصة منهم، يقولون : هو من كِنَانَةَ بن عَوْف بن عبد مَنَاةَ بن طابِخة بن إليـاس بن مُضَر، وقـد كانوا آستَعْدَوْا عليـه مروانَ ابن الحَكَم ، وقالوا : إنمـا باعته عمّتُـه لمجاعةٍ ؛ فأبى هو أن يُقِرَّ لهم بذلك . ثم آستعدوْا عليه عبد المَلك بن مروان أيضا ؛ فأبى إلّا أنه رجل من العجم من سَبْى فارس، نَشأ فى عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدُ السَّمَوْءل بن عاديِاء يدَّعُونَه ، والسموءل من غَسَّان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنّ ثلاثةَ نَفَرٍ أتَوْا مروانَ بن الحَكَم وهم أبو حفصة ورجل من تميم و رجل من سُلَيْم ، فباعوا أنفسَهم منه فى مجاعة نالتهم ؛ فآستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدُهم وهو السُّلَمِىُّ أنه إنمـا أتى مروانَ فباعه نفسَـه وأنه من العرب ؛ فدسَّ اليـه مروانُ مَنْ قتله . فلمّـا رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوْلَيان لمروان . فأخبرنى الحَسَن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: زعم المدائنىّ أنه كان لأبى حفصة ابنٌ يقال له مروان سمّاه مروانُ بن الحَكَم بآسمه، وليس بالشاعر، وأنه كان شجاعاً مجرّبا، وأمدَّ به عبـدُ الملك بن مروان الحجّاجَ وقال له : قد بعثنا إليـك مولاى آبنَ أبى حفصة وهو يَعْدِل ألفَ رجل . فشهد معه محاربةَ ابن الأَشْعث، فأَبْلَى بلاءً حسنا وعُقِرتْ تحته عِدّةُ خيول، فآحتسَب بها الحجّاجُ عليه من عطائه . فشكاه الى عبد الملك وذمَّ الحجّاجَ عنده ؛ فعوّضه مكانَ ما أغرمَهَ الحجّاجُ . وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحاً .

(1) من الصرير يقال : صر الرجل اذا صاح صياحا شديدا .

جرير يودع ابنه يحيى بن أبى حفصة

أخبرنا محمد العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابىّ قال :

أراد جرير أن يوجِّهَ ابنَه بلالَ بنَ جرير إلى الشام فى بعض أمره ، فأتى يحيى ابنَ أبى حفصة فأودعه إيّاه ، ثم بلغ بلالًا أنّ بعض بنى أميّة يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفتَ هذا القرشىَّ أمرى ! فقال له جرير :

أزادًا سوى يحيى تريد وصاحبًا * ألَا إنَّ يحيى نعم زادُ المسافرِ
وما تأمن الوَجْناءُ[1] وقعةَ سيفه * إذا أنْفَضُوا[1] أو قلَّ ما فى الغرائر

٣٨/٩

يحيى بن أبى حفصة يتزوج بنت زياد بن هوذة

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال :

تزوّج يحيى بن أبى حفصة بنتَ زياد بن هَوْذَةَ بن شمّاس بن لأْى بن أَنْف الناقة ؛ فاستعدى عليه عمّاها عبدَ الملك بن مروان وقالا : أينكِح إبراهيمُ بن عدىّ وهو من كنانة منك واليك بنتَها ، ويَنكِح هذا العبدُ هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيمُ بن عدىّ — وكان مغمور النسب فى الإسلام — والله لَهذا أشرفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء فى الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أُحبُّ أنّ لى بيحيى ألفًا منكما . والله لو تزوّج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه . ومَنْ زوّجه فقد زوّج ابنى هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنْضَيا رِكابَهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة فى سفرهما ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوّضهما عِوَضًا ! فقال : أبَعْدَ ما قالا فيك ! ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصّله وحمله . فخرج يحيى إليهما ففرّق ذلك عليهما ، وزوّج ابنَه سليمان بنتَ أحدهما ، وولدتْ بنتُ زياد منه أولادا .

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنفض القوم : أرملوا ، وقيل هلكت أموالهم وفنى زادهم .

يهنئ الوليد بن عبد الملك ويعزيه

أخبرنى عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الفضل اليزيدىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة قال :

دخل يحيى بن أبى حفصة على الوليد بن عبد الملك لمّا بويع له بالخلافة بعد أبيه، فهنّاه وعزّاه وأنشده :

إنّ المنايا لا تغادر واحدًا * يمشى ببزّته ولا ذا جُنّهْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتًا * كان الخليفةُ مُفْلِتًا منهنّهْ
بكتِ المنابرُ يوم مات وإنما * بكت المنابرُ فَقْدَ فارسهنّهْ
لمّا علاهُنّ الوليدُ خليفةً * قلن ٱبنُه ونظيره فسكَنّهْ
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعده * لَنَكِرْنَه فطَرَحْنَه عنهنّهْ

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقرى فهجاه القلاح فرد عليه

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنا العَنزىّ قال :

خطب يحيى بن أبى حفصة الى مُقاتل بن طُلْبة بن قَيْس بن عاصم المِنْقَرىّ ابنتَه وأُخْتَيْه، فأنعَمَ(١) له بذلك. فبعث يحيى الى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجَفْر(٢) فزوّجهن بَنيه ثلاثتَهم، ودخلوا بهنّ ثم حملوهن الى حَجْر. فقال القُلاخُ بن حَزْن المِنْقرىّ فى ذلك :

سلامٌ على أوصال قيسِ بن عاصمٍ * وإن كُنّ رَمْسًا فى التراب بَوَاليَا
أضيّعتموا خيلًا عِرابًا فأصبحتْ * كواسدَ لا يَنْكِحن إلّا المَوَاليا
فلم أر أبرادًا أجَرَّ لخِزْيةٍ * والأمَ مكسُوًّا والأمَ كاسيا
من الخَزّ واللائى بحَجْرٍ عليكمُ * نُشِرْنَ فكنّ المُخْزِياتِ البواقيا

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .
(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام عليه) .

فقال يحيى يردّ عليه :

ألا قبّح اللهُ الفُلاحَ ونِسْوةً * على البئرِ يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْنِ
نَكَحْنا بناتِ القَرْم قيسِ بن عاصم * وعمدًا رغبنا عن بناتِ بنى حَزْن
أبًا كان خيرًا من أبيك أرومةً * وأوسطَ فى سَعْدٍ وأرجحَ فى الوَزْن ٣٩/٩
لبيْتِ بنى حَزْن من الذُّلِّ وَهْنةٌ * كوهنة بيت العنكبوت التى تَبْنِى
ولم تَرَ حَزْنيًّا، ولو ضَمَّ أربعًا * وأَبْرَز(١)، فى فرجٍ يَعِفُّ ولا بطن
وضيفُ بنى حَزْنٍ يجوع وجارُهم * إذا أَمِن الجيرانُ ناءٍ من الأمن

يذكر خروج ابن المهلب

أخبرنا يحيى بن علىّ قال أنشدنى محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهلَّب ويتأسَّف على الحجّاج :

لا يُصلِح الناسَ إلّا السيفُ إذ فُتِنوا * لَهْفِى عليك ولا حَجّاجَ للدين
لو كان حيًّا غداةَ الأَزْد إذ نَكَثوا * لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسّابُ ديرين
لم تأته الأَزْدُ عند الباب تَرْبُصُه * مثلَ الجراد تنزّى فى التَّبابين(٢)
من كلِّ أَفْحَجَ(٣) ذى حَنْفٍ مُخالفةً * أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجًا غير مجنون

قال أبو أحمد : وأنشدنى ليحيى فى سفيان بن عمرو والى اليمامة :

لقد عصانى ابن عمرو إذ نَصَحتُ له * ولو أَطِعْتُ(٤) لما زلَّتْ به القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخ فى فحمٍ لقد وقَدتْ * نارى ولكن رمادٌ ماله حَمَم

(١) أبرز : اتخذ الابريز وهو الذهب الخالص يريد باتخاذ الابريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتبابين : جمع تبان، وهو سراويل صغير، فارسى معرب .

(٣) الأفحج : ذو الفحج، يقال رجل أفحج وامرأة فحجاء . والفحج هو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين . والحنف : اعوجاج الرجل الى الداخل . وأرفت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغطى، من جنه الشىء إذا ستره يريد علجا لا شك فيه .

(٤) فى الأصول : «اطقت» بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

بخل مروان بن أبي حفصة ونوادر له في ذلك

وليحيى أشعارٌ كثيرة، وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرف أعْراقَ مروان في الشعر. وكان مروان أبخلَ الناس على يَساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيّما من بني العبّاس، فإنه كان رَسْمُهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به ألفَ درهم.

أخبرنا أحمد بن عَمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال سمعت أبي يقول:

كان المهديّ يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيّةً واحدة، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهديّ على البِرْذَون قيمتُه عشرةُ آلاف درهم، والسَّرجِ واللجامِ المَقْذُوذَين[1]، ولباسُه الخزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه، ويجيء مروان وعليه فَرْوُ كبشٍ، وقميصُ كَرَابِيس[2] وعمامةُ كرابيس، وخُفّا كَبْلٍ[3] وكساءٌ غليظٌ مُنْتِنُ الرائحة، وكان لا يأكل اللّحم بخلاً حتى يَقْرَم[4] إليه، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نَراك لا تأكل إلّا الرءوسَ في الصّيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدِر أن يأكل منه، إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خَدّاً وقفتُ عليه، فآكل منه ألواناً، آكل عينيه لوناً، وأُذُنيه لوناً، وغَلْصَمته[5] لونا، وأُكفَى مؤنةَ طَبْخه، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاء المِنْقَريّ قال حدّثني موسى بن يحيى قال:

أوْصَلْنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالاً حتى تمّت مائةَ ألف وخمسين ألف درهم، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد.

(١) المقذوذ: المزين المسوّى. (٢) الكرابيس: جمع كرباس وهو هنا الثوب الخشن.
(٣) الكبل: الكثير الصوف من الفراء. (٤) كذا في ا، حـ وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له. وفي الأصول: «يقدم» بالدال المهملة وهو تحريف. (٥) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق، وقيل رأس الحلقوم بشواربه.

قال : فبينا نحن عنــد يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد ، وكانت فيــه دُعابة ، فقال : يا أبا علىّ أودَعَنى مروان خمسين ومائة ألف درهم وهــو يشترى الخبز من البقّال . قال فغضِب يحيى ثم قال : علىّ بمروان ، فأُتِىَ به . فقال له : أخبَرَنى أبو خالد بمــا أوْدَعتَه من المــال وما تبتاعه من البقّال ، والله لَمــا يُرَى من أَثَر البخل عليك أضرّ من الفقر لو كان بك . ٤٠ / ٩

أخبرنا يحيى قال وحدّثنى عمر بن شبّة عن أبى العَلاء المِنْقَرىّ عن موسى بهذا الخبر ، إلّا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البُخْلُ أَسْوَأ عليك أثرًا من الفقر لو صرتَ اليه ، فلا تَبْخَل .

أخبرنا يحيى قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

بلغنى أن مروان بن أبى حفصــة قال ما فَرِحتُ بشىء قطّ فَرَحى بمائة ألف وهبها لى أمير المؤمنين المهدىّ ، فوزنتُها فزادتْ درهمــا فٱشتريتُ به لحمــا .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غَسَّان عن أبى عُبَيْدة عن جَهْم بن خَلَف قال :

أتينا اليمــامةَ فنزلنا على مروان بن أبى حفصة ، فأطعمنا تمرًا ، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجة(١) ليشترى له زيتًا . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُنْتَنى! قال : من فَلْس كيف أخونك ! قال : أخذتَ الفَلْس لنفسك وٱستوهبت الزيتَ .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزِىّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبى حفصة فى بعض سَفَراته وهو يريد مِنًى(٢) بٱمرأة من العــرب فأضافته ، فقال : لله علىّ إن وهب لى الأمــير مائة ألف أن أهب لك درهمــا ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دَوَانق .

---

(١) السكرجة : الصحفة . (٢) كذا فى م . وفى ب ، حـ ، سـ : « وهو يريد مغنى امرأة » . وفى أ : « وهو يريد مغنى بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرنى أبى عن أبى دِعامة قال :

اِشترى مروان لحمًا بنصف درهم، فلما وضعه فى القِدْر وكاد أن ينضَج، دعاه صديق له، فردَّه على القصّاب بنُقصان دانِق . فشكاه القصّابُ وجعل ينادى: هذا لَحْمُ مروان، وظنّ أنه يأنَف لذلك . فبلغ الرشيدَ ذلك فقال: ويلك! ما هذا! قال : أكره الإسراف .

قصة له مع أبى الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرنى أبى عن أبى دِعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بنى بكر بن وائل فى مروان :

وليس لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ * ولكنّ مروانًا يَغار على القِـدْرِ

أخبرنا يحيى قال أخبرنى أبو هِفّان قال حدّثنى يحيى بن الجَوْن العَبْدىّ قال :

فرّق المهدىُّ على الشعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفا . فجاءه أبو الشَّمَقْمَق فقال له : أجِزْنى من الجائزة . فقال له : أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِى . قال : فآسمع منّى بيتين . قال : هاتِ . فقال أبو الشَّمَقْمق :

لِحْيـة مروان تَقِى عَنْـبرا * خالَط مسكًا خالصًا أَذْفَرا(١)

فما يُقيمان بهـا ساعةً * إلّا يَعُـودان جميعًا خَرَا

فأمر له بدرهمين . وأخبرنى بهـذا الخبر أحمد بن جعفـر جَحْظة عن أبى هِفّان فذكر مثل الخبر الماضى وزاد فيـه : فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هـذه ولا تكن راويةَ الصِّبيان .

مـدح الهادى فداعيه فى المعجل والمؤجل ووصله

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب عن جدّى عبد الله بن مصعب قال :

(١) الأذفر : الجيد من المسك .

دخل مروان بن أبى حفصة على موسى الهادى، فأنشده قولَه فيه :

تَشَابه يومَا بأسِه ونوالِه * فما أحدٌ يدرى لأيِّهما الفضلُ

فقال له الهادى : أيّما أحبّ اليك : أثلاثون ألفًا مُعَجَّلةً أم مائةُ ألف تدوّن فى الدّواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنّك نَسِيتَه، أفتأذَن لى أن أذَكِّرك ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّل لى الثلاثين ألفًا وتدوِّن المائة الألف[1] فى الدّواوين . فضحِك وقال : بل يعجَّلان جميعا ؛ فحُمِل المالُ اليه أجمع . ٤١ / ٩

مدح المهدى فلحنه اليزيدى فاعترض على سوء أدبه

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى سليمان بن جعفر قال حدّثنى أحمد بن عبد الأعلى قال :

اِجتمع مروان بن أبى حَفْصة وأبو محمد اليَزيدىّ عند المهدىّ ؛ فابتدأ مروان يُنشد :

* طَرَقَتْكَ زائرةٌ فحَيِّ خيالَهَا *

فقال اليزيدىّ : لَحَن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأى أهذا لى يقال ! ثم قال :

* بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها *

فقال له[2] بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أيَتكَنَّى فى مجلسك ! (يعنى اليزيدىّ) فقال : اِعذِروا شيخَنا، فإن له حُرْمة .

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال أخبرنى مروان بن أبى حَفْصة قال قال لى الرشيد : هل دخلتَ على الوليد بن يزيد؟ فقلت : نعم دخلت مع عمومتى اليه . قال : فأخبِرْنى عنه . قال :

(١) فى الأصول المائة ألف .

(٢) كذا فى الأصول ولعلها من زيادات النساخ .

فذهبتُ أتزحزح. فقال لى: إنّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم. دخلتُ عليه مع عُمومتى ولى لِمَّةٌ فَيْنانة، فجعل يغمز القضيبَ فيها و يقول: وَلَدَتْك سُكَّر؟ — وهى أمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحكم فوهبها[1] لجَدّى أبى حفصة فولَدتْ منه — فقلت له: نعم. قال لى الرشيد: فهل تحفَظ من شعره شيئا؟ قلت: نعم، سمعته يُنشِد فى خلافته وذكر هشامًا وتَحامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته:

ليت هشامًا عاش حتى يَرَى * مِكْتَلَه[2] الأوفرَ قد أُتْرِعا

كِلْنا له الصاعَ التى كالها * وما ظلَمْناه بها أَصْوُعَا

وما أتيْنا ذاك عن بِدْعةٍ * أحلَّه الفُرْقانُ لى أجمعا

فقال الرشيد: ياغلامُ، الدواةَ والقرطاسَ، فأُتِىَ بهما، فأمر بالأبيات فكُتِبت.

فضل خلف الأحمر شعرا له على شعر للأعشى

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى خَلّادٌ الأَرْقط قال:

جاءنا مروان بن أبى حفصة إلى حَلْقة يونس، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه، وأخذ خَلَفٌ بيدى فقمنا إلى دار أبى عُمَيْر[3] فجلسنا فى الدهليز. فقال مروان لخَلَف: نَشَدْتُك اللهَ يا أبا مُحْرِز إلّا نصحتنى فى شعرى فان الناس يُخْدَعون فى أشعارهم، وأنشده قولَه:

طرقتْك زائرةً فحىِّ خيالَها * بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى فى قوله:

* رَحَلتْ سُمَيّةُ غُدْوةً أجْمالَها *

(١) كذا بالأصول ولعله « وهبها ». (٢) المكتل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعا. (٣) فى جـ: « ابن عمير ».

فقال له مروان : أتبلِّغ بىَ الأعشى هكذا ! ولا كُلّ ذا ! قال : ويحك ! إنّ الأعشى قال فى قصيدته هذه :

* فأصاب حَبَّةَ قلبها وطِحَالَها *

والطِّحال ما دخل قطُّ فى شىء إلا أفسده ، وأنت قصيدتُك سليمة كلّها . فقال له مروان : إنى إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها فى حول، أقولها فى أربعة أشهر، وأَتخلها[1] فى أربعة أشهر، وأَعْرِضُها فى أربعة أشهر .

عرض شعرا له على يونس فدحه وفضله على شعر للأعشى

٤٢ / ٩

وأخبرنى بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سَلّام قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدّثنى به الرِّياشىّ عن الأصمعى قال :

جاء مروان بن أبى حفصة إلى حَلْقة يونس ، فسلَّم ثم قال لنا : أيُّكم يونس؟ فأَوْمأنا إليه . فقال له : أصلحك الله ! إنى أرى قومًا يقولون الشعر، لأن يَكْشِف أحدهم سوءته ثم يمشىَ كذلك فى الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر . وقد قلتُ شعرا أَعْرِضه عليك ، فإن كان جيِّدًا أظهرتُه ، وإن كان رديئا سترتُه . فأنشده قولَه :

* طرقتْكَ زائرةً فحىِّ خيالَها *

فقال له يونس : ياهذا اذْهَبْ فأظْهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله :

* رحَلتْ سُمَيّةُ غُدْوَةً أجْمالَها *

فقال له مروان : سررتنى وسُؤْتنى . فأمّا الذى سررتنى به فآرتضاؤك الشعر . وأمّا الذى ساءنى فتقديمُك إيّاى على الأعشى وأنت تعرف محلَّه . فقال : إنما قدَّمتُك عليه فى تلك القصيدة لا فى شعره كلّه لأنه قال فيها :

* فأصاب حبَّةَ قلبها وطِحالَها *

والطِّحال لا يدخل فى شىء إلّا أفسده ، وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

(١) فى الأصول : « أنحلها » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعى إنه مولد ولا علم له باللغة

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العبّاس بن ميمون طائع قال :

سمعتُ الأصمعىّ ذكر مروان بن أبى حفصة فقال : كان مولّدا، لم يكن له علم باللغة .

أنشد شعر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله عن العُتْبىّ قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

أنشــدَنا مروانُ بن أبى حفصة يوماً شــعر زهير ثم قال : زُهَيْر والله أشـعر النـاس ، ثم أَنْشد للأعشى فقـال : الأعشى أشـعر الناس ، ثم أَنْشـد شعرًا لامرئ القيس فقال : آمرؤ القيس أشـعر الناس ، ثم قال : والناسُ والله أشـعرُ النـاس . أى إن أشـعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد، حتى يُنْتَقل الى شعر غيره .

اشترى من أعرابى شعرا مدح به مروان بن محمد فدح هو به معن ابن زائدة فأكرمه

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبى قال :

اِجتاز مروانُ بن أبى حَفْصة برجل من باهِلةَ من أهل اليمامة وهو يُنْشد قومًا كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروانَ بن محمد، وإنه قُتِل قبل أن يلقاه ويُنْشــدَه إيّاه، أوّلُه :

مَرْوانُ يآبنَ محمدٍ أنت الذى * زِيدَتْ به شَرَفاً بنـو مروانِ

فأعجبتْه القصيدة، فأمهل الباهلىّ حتى قام من مجلسه، ثم أتاه فى منزله فقال له : إنى سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْنى، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتكَ ما قد رُمتَه[١] عنده؛ أتبيعنى القصيدةَ حتى أنتحلَها، فإنه خيرلك من أن تَبقَى عليك وأنت فقير؟ قال نعم . قال : بكم؟ قال : بثلثمائة درهم . قال : قد آبتعتُها؛ فأعطاه الدراهمَ وحلّفه بالطلاق

(١) فى جـ : « ما قدرته » .

ثلاثا وبالأيمان المُحْرِجة ألّا يَنْتَحِلها أبداً ولا ينسُبها إلى نفسه ولا يُنْشِدها، وٱنصرف بها إلى منزله، فغيَّر منها أبياتًا وزاد فيها، وجعلها فى مَعْن، وقال فى ذلك البيت:

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرف بنـو شَيْبانِ

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه، وأقام عنده مدةً حتى أثْرى وٱتّسعت حالُه. فكان معنٌ أوّلَ من رفَع ذكره ونوّه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَراثٍ حسنةٌ.

نقل قصة فرار معن وأن عبدا أسود أطلقه تكرما بعد ما عرفه

٤٣ / ٩

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبىُّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن نُعَيم البَلْخىّ أبو يونس قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة وكان لى صديقا قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبًا شديدًا، وجعل فيه مالا؛ فحدّثنى معن بن زائدة باليمن أنه ٱضطُرّ لشدّة الطلب إلى أن أقام فى الشمس حتى لوَّحتْ وجهَه، وخفَّف عارضيه ولِحْيتَه، ولبِس جُبَّةَ صوف غليظة، وركب جملا من الجمال النَّقّالة ليمضىَ إلى البادية فيُقيمَ بها، وكان قد أبْلَى فى حرب يزيد بن عمر بن هُبَيْرة[1] بلاء حسنًا غاظ المنصور وجدَّ فى طلبه. قال مَعْنٌ: فلما خرجتُ من باب حَرْب[2] تَبِعنى أسودُ متقلِّدًا سيفًا، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خِطام جملى فأناخه وقَبض علىّ؛ فقلت له: مالكَ؟ قال: أنت طَلِبةُ أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين! قال: مَعْنُ بن زائدة. فقلت: ياهذا ٱتّق الله! وأين أنا من معن! قال: دَعْ هذا عنك فأنا والله أعْرَفُ به منك. فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بنى أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان ابن محمد فى الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه فى الطبرى ق ٢ ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ — ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ — ٧٣).

(٢) موضع ببغداد ينسب الى حرب بن عبد الله البلخى ويعرف بالراوندى أحد قوّاد أبى جعفر المنصور. (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام على الحربية).

فهذا جوهرٌ حملتُه معي يفي بأضعاف ما بذله المنصورُ لمن جاءه بي، فخُذْه ولا تَسفِكْ دمي. قال: هاتِه فأخرجتُه اليه؛ فنظر اليه ساعة وقال: صدَقتَ في قيمته، ولستُ قابِلَه حتى أسألك عن شيء، فإن صدَقْتني أطلقتُك. فقلت: قُلْ. قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبِرْني هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه؟ قلت لا. قال: فنصفَه؟ قلت لا. قال: فثُلُثَه؟ قلت لا. حتى بلغ العُشْر فآستحيَيْتُ فقلت: أظنّ أنّي قد فعلتُ هذا. فقال: ما أراك فعلتَه! أنا والله راجل، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهمًا، وهذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير، وقد وهبتُه لك، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس، ولتعلمَ أن في الدنيا أجودَ منك، فلا تُعجِبَك نفسُك ولتَحْقِرَ بعد هذا كلَّ شيء تفعله، ولا تتوقّف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حِجْري وخلّى خِطامَ البعير وآنصرف. فقلت: ياهذا قد والله فضحتَني، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ ممّا فعلتَ، فخذ ما دفعتُه إليك فإنّي غنيٌّ عنه. فضحك ثم قال: أردتَ أن تكذّبني في مَقامي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمنًا أبدا، ومضى. فوالله لقد طلبتُه بعد أن أَمِنتُ وبذلتُ لمن جاءني به ما شاء فما عرَفتُ له خبرًا، وكأن الأرض آبتلعتْه.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة

قال: وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنه لم يزل مستترًا حتى كان يومُ الهاشمية[1]، فلما وثَب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثَب مَعْن وهو متلثّم فآنتضى سيفَه وقاتل فأبلى بلاء حسنا، وذبَّ القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ،

(١) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالكوفة. وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية. فلما توفي دفن بها. واستخلف المنصور فنزلها واستتم بناء كان بقي فيها وزاد فيها ما أراد. وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالات المنصور، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل. (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ق ٣ ص ١٢٩، ١٣١).

ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجامُها بيد الرَّبيع، فقال له: تَنَحَّ فإنّى أحقُّ باللِّجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء. فقال له المنصور: صدَق فآدفعه اليه؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى آنكشفت تلك الحالُ. فقال له المنصور: من أنتَ لله أبوك؟ قال: أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة. قال: قد أمَّنك الله على نفسك ومالك، ومثلُك يُصْطَنع. ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيَّنه. ثم دعا به يوما وقال له: إنّى قد أمّلتك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحبّ أمير المؤمنين — قال: قد ولَّيتك اليمنَ، فآبسُط السيف فيهم حتى يَنْقَضِ حِلفُ ربيعةَ واليمن — قال: أُبْلُغُ من ذلك ما يحبّ أمير المؤمنين. فولّاه اليمنَ وتوجَّه اليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف.

عاتب المنصور معنا على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو

قال مروان: وقدِم مَعْن بَعقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضب عليك. قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرّضتُ لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبى حفصة ألفَ دينار لقوله فيك:

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرف بنو شَيْبانِ
إنْ عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنّما * يوماه يومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

ما زلتَ يومَ الهاشمِيّة مُعْلِمًا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعتَ حَوْزَتَه وكنتَ وِقاءه * من وَقْع كلِّ مُهَنَّدٍ وسِنانِ

فآستحيا المنصور وقال: إنما أعطيتَه ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النِّقْمة[1] عندك لأمكنتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إيّاها، فقال له المنصور: لله دَرُّك من أعرابىّ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعِزُّ على الرجال وأهل الحزم!

(١) فى ج: «الشنعة».

مدح المهدى فرده لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأجازه مائة ألف درهم

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى عبد الله ابن محمد بن موسى قال أخبرنى محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرنى الفضل بن الرّبيع قال :

رأيت مروانَ بن أبى حفصة وقد دخل على المهدىّ بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه ، فأنشده مديحًا فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبى حفصة . فقال له المهدىّ : ألست القائل :

أَقَمْنا باليمامة بعد مَعْنٍ * مُقامًا لا نُريد به زَوالا
وقُلْنا أين نرحل بعد مَعْنٍ * وقد ذهب النَّوالُ فلانوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ ، فلِمَ جئتَ تطلب نوالَنا؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله ؛ فجرّوا برجله حتى أُخرِج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطّف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء فى كلّ عام مرّة - فمَثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْك زائرةٌ فحىِّ خيالَها (١) * بيضاءُ تخلط بالجمال دلالَها
قادت فؤادَك فآستقاد ومثلُها * قاد القلوبَ الى الصِّبا فأمالها

قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ الى قوله :

هل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسترون هلالَها
أو تَجْحَدون مقالةً عن ربِّكم * جبريلُ بلَّغها النَّبىَّ فقالها
شَهِدتْ من الأنفال آخرُ آية (٢) * بتُراثهم فأَرَدْتمُ إبطالَها

(١) فى جـ فى هذا الموضع : « بالحياء » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم » .

قال : فرأيت المهدىّ قد زحَف من صدر مُصَلَّاه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع، ثم قال : كم هى؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أوّل مائةِ ألف درهم أُعطيها شاعرٌ فى أيام بنى العبّاس .

مدح الرشيد فرده لمدحه معناثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفا

قال : ومضت الأيام وولِىَ هارون الرشيدُ الخلافةَ، فدخل إليه مروان، فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة آمتدحه بها . فقال له : من أنت؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبى حفصة . قال له : ألستَ القائل فى مَعْن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللّذَيْن أنشده إيّاهما المهدىَّ، ثم قال : خذوا بيده فأَخْرِجوه، لا شىء لك عندنا، فأُخْرِج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل، فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

٤٥
—
٩

لَعَمْرُك ما أَنْسَى غَداةَ المُحَصَّب * إشارةَ سَلْمَى بالبنان المُخَضَّبِ
وقد صدَر الحُجَّاجُ إلّا أقلَّهم * مصادر شتّى مَوْكِباً بعد موكبِ

قال : فأعجبْته، فقال : كم قصيدتُك من بيتٍ ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألوفا . فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات .

مدح المهدى فى الرصافة فأجازه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الفضل بن محمد اليَزِيدىّ عن إسحاق قال :

دخل مروانُ بن أبى حفصة على المهدىّ فى أوّل سنة قَدِم عليه . قال : فدخلتُ عليه فى قصره بالرّصافة فأنشدته قولى فيه :

أَمَرُّ وأَحْلَى ما بلا الناسُ طعمَه * عذابُ أمير المؤمنين ونائلُه
فإنّ طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ * وإنّ قتيلَ الله مَنْ أنت قاتله
كأنّ أمير المؤمنين محمدا * أبو جعفر فى كلّ أمر يحاوله

قال : فأُعجب بها، وأمر لى بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلة سنيّة وصلتْ إلىّ فى أيام بنى هاشم .

مدح المهدى وذم عنده يعقوب ابن داود فأجازه من خالص ماله

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى محمد بن عبد الله العَبْدىّ الراوية قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة قال :

دخلتُ على المهدىّ فى قصر السلام[1]، فلما سلّمتُ عليه، وذلك بعَقب سخطه على يعقوب[2] بن داود ، قلت[3] : يا أمير المؤمنين إنّ يعقوب رجل رافضىّ وإنه سمعنى أقول فى الوراثة :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لبَنِى البنات وراثةُ الأعمامِ

فذلك الذى حمله على عداوتى . ثم أنشدته :

كأنّ أمير المؤمنين محمّدًا * لرأفته بالناس للناس والدُ

على أنه من خالف الحقّ منهمُ * سقته بِدَا الموت الحتوفُ الرّواصد

ثم أنشدته :

أحيا أميرُ المؤمنين محمّدٌ * سُنَنَ النبىّ حرامَها وحلالَها

قال فقال لى المهدىّ : والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالى فأعْذِرنى ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وكسانى جُبّةً ومُطْرَفًا ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفًا أخرى .

مدح معنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابى

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا ابن الأعرابىّ أن مروان بن أبى حفصة أخبره أنه وفد على مَعْن بن زائدة فأنشده قولَه :

---

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتابى ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لياقوت أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدى بالرقة . والذى بناه المهدى هو قصر السلامة وهو القصر الذى بناه بالآجر فى عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود السلمى ، كان وزيرا للمهدى ثم غضب عليه وسجنه فى المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكر، أبو الفرج فى ترجمة بشار بن برد فى الأغانى (ج ٣ من هذه الطبعة). (٣) فى الأصول : «فقلت» .

بنــو مطرٍ يــومَ اللّقــاء كأنّهــم * أُسودٌ لهــا فى بَطْن خَفَّانَ أَشْبُلُ(١)

هــمُ يَمنعون الجــارَ حتّى كأنّمــا * لجارهــمُ بين السِّماكين منزل

لَهَامِيمُ(٢)، فى الإسلام سادُوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّــة أوّل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا * أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا

ولا يســتطيع الفاعلون فعالَهــم * وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا

قال: فأمر لى بصلة سنيّة وخَلَع علىّ وحَملنى وزوّدنى. قال ثم قال لنا ٱبن الأعرابىّ: لو أعطاه كلَّ ما يملك لَمَا وفاه حقَّه. قال: وكان ٱبن الأعرابىّ يختم به الشعراءَ، وما دوّن لأحدٍ بعدَه شعرا.

٤٦/٩

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال أخبرنى أحمد بن موسى بن حمزة قال:

رأيت مروان بن أبى حفصة فى أيام محمد بن زُبَيْدة فى دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيّهما أشعر، فقال لى: قد سُئلتُ عنهما فى أيام المهدىّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولا عقدتُه فى شعر ليَثْبُتَ. فسألته عنه فأنشدنى:

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنّمــا * حُــلْوُ القريض ومُرُّه لجــرير

ولقد هجا فأمضّ أخطلُ تَغْلِبٍ * وحوى النُّهَى ببيــانه المشهور

كلُّ الثلاثة قــد أجاد فمــدحُه * وهجــاؤه قد ســار كلَّ مَســير

ولقــد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهَلَّلٍ(٣) * بجــراء لا قَرِفٍ(٤) ولا مبهــور

إنى لآنَفُ أن أحبِّر مِــدْحةً * أبــدًا لغــير خليفــة ووزير

ما ضرّنى حَسَدُ اللئــام ولم يَزَل * ذو الفضل يحسُده ذوو التقصير

قال: فلم يَرَ أن يقدّم على نفسه غيرَها. وكتبتُ الأبيات عن فيه.

(١) خفان لحسان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) اللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد. (٣) هلل الرجل: جبن وفتر. (٤) القرف: الشديد الحمرة ولعله يعنى به الهجين.

مدح معنا فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثني العَنْسيّ قال :

لمّا قدِم مَعْن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله، فأخذ بعِضادتَي(١) الباب وأنشأ يقول :

وما أَحْجَم الأعداءُ عنك بَقِيَّةً(٢) * عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتان الجودُ والحَتْفُ فيهما * أبى الله إلا أن تَضُرَّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن : احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال مَعْن : رِبحْنا عليك تسعين ألفا . قال : أَقِلْني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

رمى محرز معنا بالظلم فرد عليه بما أخجله

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبي قال :

لما قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن استقبله الناس، وتلقّاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً يهنّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه، وتلقّاه فيمن تلقّاه أبو القاسم مُحْرِز(٣) فجعل يقول له : سفَكْتَ الدماء، وظلمتَ الناس، وتعدّيت طَوْرَك بذلك. فلما أكثر على مَعْن التفت إليه ثم قال له : يا مُحْرِز أخبِرْني بأي خُفَّيْكَ تضرب اليوم: أبالسُّباعيّ أم بالثُّمانيّ ؟ قال : فانقطع وسكت تَخَجُّلا .

ودخل مَعْن على المنصور، فلما سلّم عليه وسأله قال له : يا مَعْنُ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرفٍ بنو شَيْبانِ

فقال له : كلّا يا أمير المؤمنين ! بل أعطيتُه لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميّة مُعْلِمًا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصورُ من تهجينه إيّاه فتبسّم وقال : أحسنتَ يا مَعْن في فعلك .

(١) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن ابراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبري (ق ٢ ص ١٩٥٥ — ١٩٥٧) .

ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه وقال مروان فى ذلك شعرا

أخبرنى الحسَن بن علىّ المصرىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى علىّ بن ثَوْر قال حدّثنى أبو العبّاس العَدَوىّ قال :

لمّا وَلِىَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُّهْلىّ قد تنسّك وترك الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبى حفصة :

لا تَعْدَموا راحتَىْ مَعْنٍ فإنهما * بالجود أفْتَنتا يحيى بنَ منصور
لما رأى راحتَىْ مَعْن تدفَّقتا * بنائلٍ من عطاءٍ غيرِ مَنْزُورِ(١)
ألقى المُسُوحَ التى قد كان يَلْبَسها * وظلّ للشعر ذا رَصْفٍ وتَحْبير

٤٧/٩

تزوجت امرأة من أهله فى بنى مطر فلم يرضهم وقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال :

ورد على مروان بن أبى حفصة كتاب وهو بالمدينة أن آمرأة من أهله تزوّجت فى قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر ، فقال فى ذلك لأخيها :

لو كنتَ أشبهتَ يحيى فى مَناكحه * لما تَنَقَّيْتَ خلّا جَدُّه مَطَرُ
لله درّ جيادٍ كنتَ سائسَها * ضيّعتَها وبها التّحجيلُ والغُرَرُ
نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالت يوم أَنْكَحَها * قد طالما كنتُ منك العارَ أنتظر

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه ولم يعف عنه حتى حقره

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن علىّ المعروف بحَدّان(٢) عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأَيْهَم الحنفىّ قال :

مرّ مروان بن ابى حفصة برجل من تَيْم اللّات بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنِّىّ ، فقال له مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئتَ عرّفْتُك ذلك . فقال له مروان : ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجِنِّىّ : آجلس وآسمع فجلس ؛ فقال الجِنِّىّ يهجوه :

(١) يقال : أعطاه عطاء غير منزور : اذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .
(٢) سمى بحدان وحدان بضم أوله وفتحه .

ثوى اللؤمُ فى العَجْلان يومًا وليلةً * وفى دار مروانٍ ثوى آخرَ الدَّهرِ
غـدا اللؤمُ يَبْغِى مَطْرَحًا لرحاله * فنقَّب فى بَرِّ البـلاد وفى البحر
فلمّا أتى مروانَ خيَّم عنـده * وقال رَضِينا بالمُقام الى الحشر
وليست لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ * ولكنَّ مروانًا يَغَار على القِدْر

فقال له مروان : ناشـدتُك الله إلّا كففتَ، فأنت أشـعر الناس . فحلف الحنىّ بالطلاق ثلاثا أنه لا يكُفّ حتى يصير اليـه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم : قاق فى آستى بيضة . فجلَبهم اليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدّى يحيي بن الأَيْهم، فآنصرفوا وهم يضحكون من فعله .

عزى الهادى فى المهدى ببيتين تناقلهما الناس

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى أبو عبـد الله بن سليمان بن زيد الدَّوْسِىّ قال حدّثنى الفضـل بن العبّاس بن سـعيد بن سَلْم بن قُتَيْبة الباهِلىّ قال حدّثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبِيصة بن مُخارق الهلالىّ قال :

لمّا مات المهـدىّ وفدت العرب على موسى يهنّئونه بالخـلافه ويعزُّونه عن المهدىّ، فدخل مروانُ بن أبى حفصة فأخذ بعِضادَتَى الباب ثم قال :

لقد أصبحتْ تختال فى كلّ بلدةٍ * بقـبر أمير المؤمنين المقـابرُ
ولو لم تُسَكَّنْ بآبنـه فى مكانه * لمـا بَرِحت تَبْكِى عليه المنـابر

قال فخرج الناس بالبيتين .

مدح عمرو بن مسعدة فى مرضه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمـد بن القاسم بن مَهْـرويه قال حدّثنى إبراهيم بن المُدَبِّر قال :

مَرِض عمرو بن مَسْعَدَة، فدخل عليه مروان بن أبى حفصة وقد أبَلّ من مرضه فأنشأ يقول :

صحَّ الجسمُ يا عمـرو * لك التَّمْحِيصُ والأَجْرُ

٤٨/٩

وللّه علينـــا الحمـ * ـدُ والمِنّـــةُ والشـــكر
فقد كان شكا شوقًا * إليـــك النُّهَى والأمر

قال فنحا نحوه مُسْلِم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم * نفسى الفِــداءُ له من كل محــذورِ
ياليت عِلّتَــه بى غــير أن له * أَجْرَ العليــل وأنّى غــير مأجــور

رأى الغول فى بعض سفراته ففزع

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سـعد قال حدّثنا أبو حُذَيْفة قال حدّثنى رجل من بنى سُلَيْم فى مسجد الرُّصافة قال أخبرنى مروان بن أبى حفصة قال :

وفدتُ فى ركب إلى الرشـيد فصِرْنا فى أرض مُوحشةٍ قَفْرٍ ، وجَنَّ علينا الليل فسِرْنا لنقطعها ، فلم نشـعر إلّا بآمرأة تسوق بنـا إبلَنا وتحـدو فى آثارنا ، فاذا هى الغُول . فلما لاح الفجر عدلتْ عنّا وأخذتْ عُرْضا[١] وجعلت تقول :

يا كوكبَ الصّبح إليــكَ عنّى * فلستُ من صــبحٍ وليس مِنّى

قال : فمـا أذكر أنى فزِعت من شىء قطُّ فزعى ليلتئذ .

عارضه التغلبى فى شعره فى وراثة بنى العباس

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمـد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى علىّ بن الحسن الكُوفِىّ قال حدّثنى محمد بن يحيى بن أبى مُرّة التَّغْلَبىّ قال :

مررت بجعفر بن عَفّانـ الطائىّ يوما وهو على باب منزله ، فسلّمت عليه ، فقـال لى : مرحبًا يا أخا تَغْلِب ، اِجلس فجلست . فقـال لى : أمَا تَعْجَب من آبن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لبنى البنـات وِراثةُ الأعمـامِ

فقلت بلى والله إنى لأتعجّب منه وأُكْثِر اللّعنـ له ، فهل قلتَ فى ذلك شـيئا؟ فقال : نعم قلت :

(١) العرض : الناحية .

لِم لا يكون وإنّ ذاك لكائنٌ * لبَنِي البنات وِراثة الأعمام
للبنت نصفٌ كامِلٌ من ماله * والعمّ متروكٌ بغير سِهام
ما للطَّلِيق وللتُّراث وإنّما * صلّى الطليقُ مخافةَ الصَّمْصَام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياما ثم قتله

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمان النّوْفلىّ قال حدّثنى صالح بن عطية الأضْجَم قال :

لما قال مروان :

أنى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لِبَنِي البنات وراثةُ الأعمام

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتلَه أىّ وقتٍ أمكنَنِي ذلك، وما زلت ألاطفُه وأَبَرُّه وأكتب أشعاره، حتى خُصِصْتُ به، فأنِس بى جدًّا، وعرفتْ ذلك بنو حَفْصة جميعًا فأنِسوا بى، ولم أزل أطلب له غِرّةً حتى مرِض من حُمّى أصابته، فلم أزل أظهِر له الجَزَع عليه وأُلازمه وأُلاطفه، حتى خلا لى البيت يومًا فوثَبتُ عليه فأخذتُ بحَلْقه فما فارقتُه حتى مات، فخرجتُ وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا، وآرتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزعَ عليه حتى دُفن، وما فطن بما فعلت أحد ولا آتهمنى به .

* * *

نشأته ونسب أمه شكلة

٤٩ / ٩

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدىّ وأمّه شَكْلة(١). ويكنى أبا إسحاق. وشَكْلةُ أمُّه مولّدة، كان أبوها من أصحاب المَازِيار، يقال له شاه أفْرَند، فقُتِل مع المَازِيار وسُبِيَتْ بنتُه شَكْلة، فحُمِلَتْ إلى المنصور، فوهبها لمُحيّاةَ أمّ ولده فربّتها وبعثتْ بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفصّحتْ ؛ فلما كبِرتْ رُدّت إليها . فرآها المهدىّ

(١) ضبط فى القاموس بالقلم بفتح أوّله . وفى الطبرى بفتح أوّله وكسره .

عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحيّاة فأعطته إيّاها ، فولَدت منه إبراهيم . وكان رجلًا عاقلًا فَهِمًا دينًا(١) أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيّامِ العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .

مدحه إسحاق الموصلى

وكان إسحاق الموصلىّ يقول : ما ولد العبّاس بن عبد المطّلب بعد عبد الله بن العباس : رجلًا أفضل من إبراهيم بن المهدىّ . فقيل له : مع ما تبذّل له من الغناء؟ فقال : وهل تمّ فضلُه إلا بذاك ! . حدّثنى بذلك محمد بن يزيد عن حمّاد عن أبيه .

كان ينسب ما يصنع لشارية وريق جاريتيه

وكان أشدّ خلق الله إعظامًا للغناء ، وأحرصَهم عليه ، وأشدَّهم منافسةً فيه . وكانت صنعته لَيِّنةً ، فكان إذا صنَع شيئًا نسَبه الى شارِيةَ وريِّق ، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع ، فقلَّتْ صنعتُه فى أيدى الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شىء قال : إنما أصنع تَطَرُّبًا لا تَكَسُّبًا ، وأُغنّى لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتهى . وكان حُسْنُ صوته يسترعوار ذلك كلِّه . وكان الناس يقولون لم يُرَ فى جاهليّة ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غِناء من إبراهيم بن المهدىّ وأخته عُلَيَّة . وكان يُماظُّ(٢) إسحاقَ

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات فى الغناء

ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يَفِى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويُغصّه بِريقه ويَغُضّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبيِّن(٣) من خطئه فى وقته وعجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيَفضَحه بذلك . وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار فى أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها مالم أذكُرْ هناك .

ومما خالف إبراهيمُ بن المهدىّ ومَنْ قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقيلان وخفيفُهما ؛ فإنّه سمّى الثقيل الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثانى وخفيفَه ، وسمّى الثقيلَ الثانى وخفيفَه الثقيلَ الأوّلَ وخفيفَه ؛ وجرَتْ بينهما فى ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما النّاس ، فلم يكن فيهم مَنْ يَفِى بفصل

(١) هذه الكلمة ليست فى جـ . (٢) يماظ : ينازع . (٣) فى الأصول : « وقت » .

ما بينهم . والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضـع لذلك[(١)] مكاييل لتُعْرَف بهـا أقدارُ الطرائق ، وأَمْسكَ كلّ واحد منهما إلى آخر أقـداره ، فلم يصحّ شيء يُعمل عليه ، إلّا أن قول ابراهيم بن المهدى آضمحلّ و بطَل وتُرِك ، وعمِل النـاس على مذهب إسحـاق ؛ لأنّه كان أعلمَ الرجلين وأشهَرهـا . وأوضح إسحاق أيضًا لذلك وجهًا فقال : إنّ الثقيل الأوّل يَجىء منه قَدْران ، الثَّقيلُ الأوّل التّام ، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأوّل ، و جميعًا طريقتُه واحدةٌ لاتّساعه والتمكُّنِ منه ، والثقيلُ الثانى لا يَجىء هذا فيه ولا يُقاربه . والثَّقيلُ الأوّل يمكن الإدراج فى ضَرْبه لثِقَله ، والثَّقيلُ الثانى لايَنْدرج لنقصه عن ذلك . ولهما فى هذا كلامٌ كثير ومخاطبات قد ذكرتُها فى أخبارهما ، وشَرحتُ العِلَلَ مبسوطةً فى كتابٍ أَلَّفْتُه فى النَّغَم شرحًا ليس هذا موضعَه ولا يصلُح فيه . وأمّا التَّجزئةُ والقسمةُ فإنّهما أفنيَا أعمارَهما فى تنازعهما فيهما ، حتى كان يَمضى لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما فى قسمةِ وتجـزئةِ صوتٍ واحدٍ فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كلّ قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعا و بينهما منازعة فى هذا
٥٠ / ٩ الصوت وقِسْمَتِه :

حَيِّيَا أُمَّ يَعْمَـــرا * قَبْلَ شَحْطٍ من النَّوَى

لم يُفْصَل بينهما فيها إلى أن آفترقا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْحِ سائر أخبـار إبراهيم بن المهـدى وقِصَصه لمّـا وَلِىَ الخـلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسنِ البيان ، وجَوْدةِ الشعر ، وروايةِ العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجزالةِ الرأى ، والتصرُّفِ فى الفقه واللّغـة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعـلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأَطَلْتُ . وإنّمـا الغرض فى هذا الكتاب الأغانى أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك آقتصرتُ على ما ذكرْتُه من أخباره دون ما يستحقّه من التفضيل والتّبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

كلمة لابراهيم بن المهدى عن نفسه فى صنعة الغناء

أخبرنى عمّى رحمه الله قال حدّثنى علىّ بن محمد بن بكر عن جدّه حَمْدُون ابن إسماعيل قال قال لى ابراهيم بن المهدىّ :

لولا أنّى أَرْفَع نفسى عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلى مِثْلى .

غنى الرشيد وعنده ابن جامع و إبراهيم الموصلى فأطرباه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن القاسم ابن جعفر بن سليمان الهاشمىّ قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

دخلتُ يومًا إلى الرشيد وفى رأسى فَضْلةُ خُمَار ، و بين يديه ابن جامع و إبراهيم الموصلىّ . فقال : بحياتى يا إبراهيم غَنِّنى . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما فى رأسى من الفَضْلة فغَنَّيْتُ :

أَسْرَى بخالدةَ⁽¹⁾ الخيالُ ولا أَرَى * شيئًا ألذَّ من الخيال الطَّارِقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لابن جامع : لو طلَب هذا بهذا الغناء ما نَطْلُب لما أكلنا خبزًا أبدا . فقال ابن جامع : صدقتَ . فلمّا فرَغتُ من غنائى وضعتُ العودَ ثم قلت : خُذَا فى حقِّكما ودَعَا باطلَنا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أَسْرَى بخالدةَ⁽¹⁾ الخيالُ ولا أَرَى * شيئًا ألذَّ من الخيال الطارِقِ

إنّ البليّةَ مَنْ تَمَلُّ⁽²⁾ حديثَه * فَانْقَعْ فؤادَك من حديث الوامق

أَهْوَاكِ فوق هوى النفوس ولم يزل * مُذْ بِنْتِ قلبى كالجَناح الخافق

(١) رواية الديوان : « أسرى لخالدة الخ » .

(٢) فى ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إليكَ ولم تُبَالِى حاجتى * ليس المُكَاذِب كالخليل الصّادق[1]

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالوُسْطى عن عمرو .

غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبى جعفر وجعفر بن يحيى

أخبرنى جَحْظة قال أخبرنى هِبَـةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى، وحدّثنى الصولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى هبـة الله — ولم يذكر عن أبيه — قال :

كان الرشيد يحبّ أن يسمع أبى . وقال جَحْظة عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحب أن يسمعنى ؛ فخلا بى مَرّاتٍ إلى أن سَمِعنى . ثم حَضَرْتُه مَرّةً وعنده سليمان بن أبى جعفر ؛ فقال لى : عَمُّك وسَيِّدُ ولدِ المنصور بعد أبيك وقد أحبّ أن يَسْمعك ؛ فلم يتركنى حتى غنّيتُ بين يديه :

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادرًا رَسَـنِى

٥١ / ٩ فأمر لى بألف ألف درهم ؛ ثم قال لى ليلةً ولم يَبْق فى المجلس إلّا جعفر بن يحيى : أنا أحبّ أن تشرِّف جعفرًا بأن تغنيه صوتًا . فغنّيتُه لحنًا صنعتُه فى شعر الدّارمىّ :

كأنّ صورتَها فى الوصف إذ وُصِفَتْ * دينارُ عَيْنٍ من المصريّة العُتُقِ

نسبة هذين الصوتين، منهما[2] :

صـــوت

سَـقْيًا لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذى سَلَمٍ * وللزمان به إذ ذاك من زَمَنِ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ اليكم سادرًا رَسَنِى

الشعرُ للأحوص . والغناءُ لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو

(١) فى الأصول :

شـوقا اليـك ولم تجاز مودتى * ليس المكذب بالحبيب الصادق

والتصويب عن الديوان . (٢) لعله : « الأول منهما الخ » .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب قال: أنشد مُنْشِدٌ وآبنُ أبى عُبَيْدَةَ عندنا قولَ الأحوص :

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادراً رَسَنِى

فوثَب، قائماً وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو الى طَرَف المجلس ويَجُرُّه. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا . فقلنا له : ماحمَلك على ما صنعت ؟ فقال : إنّى سمِعتُ هذا الشعرَ مَرَّةً فأطْرَبَنى، فجعلت على نفسى ألّا أسمعه أبدًا إلّا جررتُ رَسَنى .

والآخر من الصوتين :

صوت

كأنَّ صورتَها فى الوصف إذ وُصِفَتْ * دينارُ عَيْنٍ من المِصْرِيّةِ العُتُقِ
أو دُرَّةٌ أعيت الغَوّاصَ فى صَدَفٍ * أو ذَهَبٌ صاغه الصَّوّاغُ فى وَرِق

الشعرُ للدّارِمىّ . والغِناءُ لمرزوق الصَّوّاف رَمَلٌ بالبنصر عن آبن المكىّ . وذكر عمرو أن هذا اللّحنَ للدّارِمىّ أيضا . وذكر الهشامىّ أنه لآبن سُرَيْج . وفى هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدىّ . وفيه خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لَحْنُ مرزوق الصَّوّاف ، ويقال إنه لمتيَّم ثانى ثقيل عن الهشامىّ وآبنِ المعتزّ .

غنى صوتا على أربع طبقات

أخبرنى يحيى بن المنجِّم قال ذكر لى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع قال :

كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدىّ صوتا[(١)] ذكره فغنّاه على أربع طَبَقات ، على الطبقة التى كان العود عليها ، وعلى ضِعْفها ، وعلى إسْجاحها ، وعلى إسجاح الإسجاح . قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شىءٌ ما حُكِىَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم ،

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « ضربا » .

وقد تعاطاه بعض الحُذّاق بهذا الشأن، فوجده صعبًا متعذّرًا لا يُبْلَغ إلّا بالصوت القوىّ وأشدّ ما فى إسْجاح الإسْجاح؛ لأن الضِّعف لا يُبْلَغ إلّا بصوت قوىّ. إثْل إلى الدقة، ولا يكاد ما ٱتّسع مَخْرَجُه يبلُغ ذلك. فإذا دَقَّ حتى يبلُغ الإضعاف لم يَقْدِر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح. فاذا غَلُظ حتى يتمكّن من هذين لم يقدر على الضِّعْف.

غنى صوتا لمعبد

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ٱبن أبى سعد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمىّ قال حدّثنى محمد بن سليمان بن موسى الهادى قال:

٥٢/٩

دعانى إبراهيم بن المهدىّ يومًا فصرت إليه، وغنّى صوتا لمَعْبَد:

أفِى الحقّ هـذا أنّنى بكِ مُولَعُ * وأنّ فؤادى نحوكِ الدَّهْرَ نازعُ

فقال لى: لمن هذا الغناء؟ فقلت: يا سيّدى يقولون إنه لمعبد، ولا غنّى والله معبد كذا قطّ، ولا سمعتُ أحدًا يقول كذا، لا وٱلله ما فى الدنيا كذا. قال: فضحك ثم قال: والله يا بُنَىّ ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أمّا اللَّحْنُ فمن الثقيل الثانى، وقد ذكر فى هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدتُه فى شىء من الكتب له. وذكر الهشامىّ أنه لٱبن المكىّ.

عاب مخارقا عند المأمون

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن محمد بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى إسحاق بن محمد قال حدّثنى عيسى بن محمد القُحْطُبىّ قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

لمّا قدم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنٍّ بالمدينة مدينة السلام غيرى، فكنتُ أُنادمه سرًّا، ولم يظهر للنُّدَماء أربعَ سنين، حتى ظَفِر بإبراهيم بن المهدىّ.

فلمّا ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا؛ ووجّه إلى إبراهيم فحضر فى ثياب مُبتذلة. فلمّا رآه المأمون قال: ألقِ عمّى رداء الكِبْر عن مَنكِبَيْه، ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال: يا فتح(١) غَدِّ عمّى؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا، وكان مُخارق حاضرًا، فغنّى مخارق:

هذا ورُبَّ مُسوِّفين(٢) صَبَحْتُهم * من خمـــر بابِلَ لذّةً للشارب

فقال له إبراهيم: أسأتَ فأعِدْ؛ فأعاده، فقال: قاربْتَ ولم تُصِبْ. فقال له المأمون: إن كان أساء فأَحْسِنْ أنت. فغنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق: أَعِدْه فأعاده، فقال: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال: كثير. فقال لمخارق: إنما مَثَلُك كمَثَل الثوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلُه وقع عليه الغبار فأحال لونَه، فاذا نُفِض عاد إلى جوهره. ثم غنّى إبراهيمُ:

يا صاحِ يا ذا الضّامرِ العَنْس * والرَّحْلِ ذى الأقتادِ والحِلْس(٣)

أمّا النّهارُ فما تُقصِّره * رَتَكًا(٤) يزيدك كلّما تُمْسى

ضنّ على مخارق بصوت

قال: وكانت لى جائزة قد خرجتْ، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر سيّدى بإلقاء هذا الصّوت علىّ مكان جائزتى فهو أحبُّ إلىّ منها. فقال: يا عمّ ألقِ هذا الصّوتَ على مُخارق، فألقاه علىّ، حتى إذا كدت أن آخذه قال: اذهبْ فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلُح لى بعد. قال: فاغْدُ علىّ. فغدوت عليه فغنّاه متلوِّيًا؛ فقلت: أيها الأمير، لك فى الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمّ الخليفة،

(١) هو فتح خادم المأمون. انظر الطبرى (ق ٣ ص ١٠٤١). (٢) المسوفون: الصبر؛ يقال: إن فلانا لمسوِّف (بالبناء للفاعل) اذا كان صبورا. (راجع لسان العرب فى مادة سوف).
(٣) يقال جمل ضامر، وناقة ضامر (بغير هاء) وضامرة. والعنس: الناقة الصلبة القوية. والحلس: كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج. (٤) الرتك: سير للابل سريع.

تجود الرّغائب وتبخَل علىّ بصوت ! فقال : ما أحمقَك ! إن المأمون لم يستبقنى محبّةً فىّ ولا صلةً لرَحِمى ولا رِياءً للعروف عندى، ولكنه سمِع من هذا الجِرْم(١) ما لم يَسْمع من غيره. قال: فأعلمتُ المأمونَ مقالتَه، فقال : إنّا لانكدِّر على أبى إسحاق عَفْوَنا عنه، فدَعْه. فلما كانت أيّامُ المعتصم نَشِط للصّبوح يومًا فقال: أحضِروا عمّى. فجاء فى دُرّاعة من غير طَيْلَسان. فأعلمتُ المعتصمَ خبرَ الصَّوْت سرًّا. فقال: يا عمِّ غنِّنى:

* يا صاح ياذا الضّامر العَنْس *

فغنّاه، فقال : أَلْقِه على مُخارِق . فقال : قد فعلتُ، وقد سبق منّى قولٌ ألّا أعيده ٥٣/٩
عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيَه حيث أحضُره .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا ورُبَّ مُسَوِّفين صَبَحْتُهم * من خمر بابلَ لَذّةً للشارِب
بكَروا علىّ بسُحْرةٍ فصبَحْتُهم * بإناء ذى كَرَم كقَعْب الحالب
بزُجاجةٍ مِلءِ اليدين كأنّها * قِنديلُ فِصْحٍ(٢) فى كنيسة راهب

الشعرُ لعَدِىّ بن زيد. والغناء لحُنَيْنٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البِنْصر عن إسحاق .

صوت

يا صاح ياذا الضّامر العَنْس * والرَّحْل ذى الأَقْتاد والحِلْس
أمّا النّهار فما تُقَصِّره * رَتْكًا يزيدك كلّما تُمْسى

الشعرُ لخالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد .

---

(١) الجرم هنا : الحلق أو الصوت . (٢) الفصح (بالكسر) : عيد للنصارى .

طلبت اليه أخته أسماء سماع غنائه

وذكر أحمد بن أبى طاهر عن أَثِيرَ مولاةِ منصور بن المهدىّ عن ذُؤابَة مولاته أيضا قالت قالت لى أسماء بنت المهدىّ :

قلت لأخى إبراهيم : يا أخى أشتهى وٱلله أن أسمع من غنائك شيئا . فقال : إذًا والله يا أُختى لا تَسْمعين مِثْلَه ، علىَّ وعلىَّ ، وغلَّظ فى اليمين ، إن لم يكن إبليسُ ظهرَ لى وعلّمنى النَّقْرَ والنَّغَم وصافَحنى وقال لى : اذهَبْ فأنت منِّى وأنا منك .

غضب عليه الأمين ثم رضى عنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم ابن المهدىّ عن أبيه قال :

غَضِب علىَّ محمد الأمين فى بعض هَنَاته ، فسلَّمنى إلى كَوْثرٍ(١) ، فحبسنى فى سِرْداب وأغلقه علىَّ فمكثت فيه ليلتى . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج علىَّ من زاوية السِّرداب ، ودفع إلىّ وسطًا(٢) وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال : ٱشرَبْ فشربت ، ثم قال لى : غَنِّ :

لى مُـــدّةٌ لا بُدَّ أبلغها * معلومةٌ فإذا ٱنقضتْ مُتُّ
لو ساورتنى الأُسْدُ ضاريةً * لغلَبْتُها ما لم يَجِ الوقتُ

فغنّيته . وسمعنى كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنِّى بكيت وكيت . فأمر بإحضارى فأُحضِرتُ وأخبرته بالقصّة ، فأمر لى بسبعمائة ألف درهم ورضىَ عنّى .

طارح أخته علية فأطربا المأمون وأحمد بن الرشيد

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ٱبن أبى سعد قال سمعت يَنْشُو يحدِّث عن أبى أحمد ابن الرشيد قال :

كنتُ يومًا بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسِر وأدخله فسارّه(٣) بشىء ومضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لى : قم ، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه ، فسمعت غناءً

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين . (انظر فقرا عليه فى الطبرى ق ٣ ص ٨٩٩، ٩٢٨، ٩٣٩، ٩٥٦، ٩٦٥) . (٢) كذا فى الأصول وظاهر أنه يريد نوعا من الطعام . (٣) فى الأصول : «فسره» .

أذهل عقلى ولم أقدِر أن أتقدّم ولا أتأخّر. وفطِن المأمون لِما بى فضحك ثم قال: هذه عمّتك عُلَيّة تُطارح عمّك إبراهيم:

* مالى أَرى الأبصارَ بى جافِيَةْ *

نسبة هذا الصوت

مالى ارى الأبصارَ بى جافِيَةْ * لم تَلْتَفِتْ منّى إلى ناحِيَهْ
لا ينظر الناسُ إلى المُبْتلَى * وإنما الناسُ مع العافِيَهْ
وقد جفانى ظالمًا سيّدى * فأدْمُعِى مُنْهَلَّةٌ هامِيَهْ (١)
صَحْبِى سَلُوا ربَّكُمُ العافِيَهْ * فقد دهتنى بعدكُمْ داهِيَهْ

٥٤/٩

الشعر والغناء لعُلَيّة بنت المهدىّ خفيفُ رمَلٍ. وأخبرنى ذُكاء وجه الرُّزّة أن لعَرِيبَ فيه خفيفَ رمل آخر مَزْمورًا، وأنّ لحن عُلَيّة مُطْلَق.

كتب اليه اسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبى عن إبراهيم عن علىّ بن هشام أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدىّ بجنس صوت صنَعه وإصبَعه ومَجْراه وإجراءِ لحنه؛ فغنّاه ابراهيم من غير أن يسمعه فأدّى ما صنعه. والصوت:

حَيِّيا أمّ يَعْمَرَا * قبل شَحْطِ من النَّوى
قلت لا تُعْجِلوا الرَّوا * حَ فقالوا أَلَا بَلَى
أجمع الحىُّ رِحلةً * ففؤادى كذى الأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشّعر لعمر بن أبى ربيعة، والغناء لابن سُرَيْج، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلَقٌ فى مَجْرى الوُسطى. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك. وفيه للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن ابن المكىّ، وزعم الهشامىّ أنه لحن مالك. وفيه

(١) فى ب، س، جـ: «واهية».

لحنان من الثقيل الثانى أحدُهما لإسحاق وهو الذى كتب به إسحاق إلى ابراهيم بن المهدى . والآخر زعم الهشامى أنه لإبراهيم، وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنّه لآبن مُحْرِز .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجُمَان : أنّ إسحاق بن إبراهيم لمّا صنع صوتَه :

* قُلْ لِمَنْ صَدّ عاتِبًا *

اتّصل خبرُه بإبراهيم بن المهدىّ فكتب يسأله عنه؛ فكتب اليه بشعره و إيقاعه وبسيطه ومجراه و إصبعه وتجزئتِه وأقسامِه ومخارِج نَغَمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه، فغنّاه . قال : ثم لَقِيَنى فغنّانيه، ففضَلنى فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

قل لمن صَدّ عاتِبًا * ونَأَى عنك جانِبًا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ و إن كنتَ لاعبا

الشعر والغناء فى هذا اللحن لإسحاق، ثانى ثقيل بالبنصر فى مَجْراها . وفيه لغيره ألحان .

سمعه أحمد بن أبى دواد فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء

أخبرنى آبن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى إسحاق بن محمد عن أبيه قال :

سمعت أحمد بن أبى دُواد يقول : كنتُ أَعيبُ الغِناء وأطعَن على أهله، فخرج المعتصم يومًا إلى الشَّمّاسيّة فى حَرّاقة يشرب، ووجّه فى طلبى فصرت إليه؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيّرنى وشغَلنى عن كلّ شىء، فسقط سَوْطى من يدى؛ فآلتفتُّ إلى زنقطة غلامى أطلب منه سوطَه، فقال لى : قد والله سقط سوطى . فقلت له : فأىّ شىء كان سبب سقوطه؟ قال : صوت سمعتُه شغَلَنى عن كلّ شىء فسقَط سوطى من يدى؛ فاذا قِصّته قِصّتى . قال : وكنت أنكر أمرَ الطَّرَب على

الغناء وما يستفزّ الناسَ منه و يغلِب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذ أخبرته بالخبر، فضَحِك وقال : هذا عمّى كان يغنّينى :

إنّ هــذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * نَشَر المجدَ بعــد ما كان ماتا

فإن تُبْتَ ممّــا كنتَ تناظرنا عليه فى ذمّ الغناء سألتُه أن يُعيده . ففعلتُ وفعل، فبلغ بى الطّربُ أكثرَ مما يَبْلُغُنى عن غيرى فأُنكره؛ ورجعت عن رأيى منذ ذلك اليوم .

وقد أخبرنى بهذا الخبر أبو الحسن علىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى المنجّم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصّة أو قريبًا منهـا لزيادة اللّفظ ونُقْصانه، وذكر أنّ الصوت الذى غنّاه إبراهيم :

طرَقَتْــكَ زائرةً فحَىِّ خيالَهـا * بيضاءُ تَخْلِــط بالحياء دلالَهـا
هــل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسْتُرونَ هلالَهـا

اتخذ لنفسه حراقة بحذاء داره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل قال : سمعتُ هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهدىّ يقول: إتّخـذ أبى حَرّاقةً فأمر بشدّها فى الجانب الغربىّ بحذاء داره، فمضيتُ اليها ليلةً فكان أبى يخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه، فنسمعه وبيننا عَرْض دِجْلة وما أجهدَ نفسَه .

ثناء ابن أبى ظبية عليه

أخبرنى عمى قال سمعت عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبة يقول حدّثنى ابن أبى ظَبْيَة قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدىّ يتنحنح فأطْرَبُ .

غنى وعنده عدّة من المغنين وغنى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى القَطِرانىّ المُغَنِّى عن محمّد بن جَبْر عن عبد الله ابن العباس الرَّبِيعىّ قال :

كنّا عند إبراهيم بن المهدىّ ذاتَ يوم وقد دعا كلَّ مُطْرِبٍ مُحْسِن من المغنّين يومئذ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنْج . فترنّم[(١)] بصوت فريدة :

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بى * أَتُحِبّ الغـداةَ عُتْبةَ حقّـا

وهو مُتَّكئ . فلمـا فرَغ منه ترنّم به مُخارق فأحسنَ فيـه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم وزاد فى صوته فعفّى على غناء مُخارق . فلما فرَغ ردّه مخارق وغنّى فيه بصوته كلِّه وتحفّظ فيه ، فكِدنا نَطير سرورًا . وٱستوى إبراهيمُ جالسا وكان متّكئا فغنّاه بصوته كلِّه ووفّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ الى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرّك حتى فرغ منه ، ومُخارِقٌ شاخِصٌ نحوَه يُرْعَد وقد ٱنتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج ، فخُيِّل لى والله أنّ الإيوان يسير بنا . فلمّا فرغ منه تقدّم إليه مُخارق فقبّل يده وقال : جعلنى الله فِداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقيّة يومه فى غنائه ، والله لكأنما كان يتحدّث .

نسـبة هـذا الصـوت

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بى * أَتُحِبّ الغـداةَ عُتْبَةَ حقّا
فتنفّستُ ثم قلت نعم حبًّا * جرى فى العروق عِرْقًا فعِرْقا
ما لدمعى عَدِمتُه ليس يَرْقا[(٢)] * إنمـا يَسْتَهِـلّ غَسْقًا فغَسْقا[(٣)]
طَرَبًا نحـوَ ظبيةٍ تركتْ قلـ * ـبى من الوجد قَـرْحةً ما تَفَقّا[(٤)]

(١) كذا فى ج . وفى أ : « فترنم بعضهم » . وفى سائر الأصول : « فترنم أحدهم » وكلاهما تحريف . وفى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « فترنم ابراهيم » .
(٢) يرقا : يجف وينقطع ، وأصـله الهمز . (٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال : غسقت العـين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت . (٤) تفقا : تنفلق وتنشق ، وأصله الهمز .

٥٦/٩

الشعر لأبى العتاهية . والغناء لفَريدة خفيفُ رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم ابن المهدىّ خفيفُ رَمَلٍ آخر . ولفَريدة أيضا لحنٌ من الثقيل الثانى فى أبيات من هذه القصيدة وهى :

قد لَعَمْرِى ملّ الطبيبُ وملّ الـ * ـأهل منّى مما أداوَى وأُرْقَى

ليتنى مُتّ فاْستَرحتُ فإنّى * أبدًا ما حَيِيتُ منها مُلَقًّى(١)

غنى الأمين فأطربه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم ابن المهدىّ قال حدّثنى عمّى منصور بن المهدىّ :

أنه كان عند أبى فى يوم كانت عليه فيه نَوْبَةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغَل أبى بالشُّرْب فى بيته ولم يَمْض ، وأرسل إليه عِدّةَ رُسُل فتأخّر . قال منصور : فلما كان من غَدٍ قال : ينبغى أن تَحْمَل على الرَّواح الىّ لِنمضى الى أمير المؤمنين فنترضّاه ؛ فما أشُكّ فى غضبه علىّ . ففعلتُ ومَضَيْنا . فسألنا عن خبره فأُعْلِمنا أنه مشرِف على حَيْر(٢) الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألّا يشرب إذا لحِقه الخُمار . فدخلنا ؛ وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهى . فقال لى أخى : آذهب فاختَرْ منها عودا تَرْضاه ، وأصْلِحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج الى تغييره البتّةَ عند الضّرب ؛ ففعلت وجعلته فى كمّى . ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا . فلما بَصُرنا به من بعيد قال : أَخْرِجْ عودك فأخرجتُه ، وآندفع يغنّى :

وكأسٍ شَرِبتُ على لَذّةٍ * وأخرى تداويتُ منها بها

لكى يعلمَ الناسُ أنّى آمرؤٌ * أَتَيتُ الفُتوّةَ من بابها

---

(١) الملق : الممتحن الذى لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الحظيرة والبستان .

وشاهَدْنا الجُلَّ[1] والياسَمِـ * ـينَ والمُسْمِعاتُ بقُصّابِها
رَبَرْبَطُنا[2] دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىُّ الثلاثة أزْرَى بها

فآستوى الأمين جالسًا وطرِب طربًا شديدًا وقال : أحسنتَ والله ياعمّ وأحييتَ لى طربًا ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وآمتدّ فى شربه . قال منصور : وغنّى إبراهيم يومئذ على أشدّ طبقة يُتناهَى اليها فى العود ، وما سمِعتُ مثل غِنائه يومئذ قطّ . ولقد رأيتُ منه شيئًا عجيبًا لو حُدِّثت به ما صدّقت ، كان إذا ابتدأ يغنّى أصغتِ الوحوشُ إليه ومدّت أعناقها ، ولم تزل تدنو منّا حتى تكاد أن تضع رءوسها على الدُّكّان الذى كنّا عليه ، فاذا سكتَ نَفَرتْ و بعُدت منّا حتى تنتهى إلى أبعد غاية يمكنها التّباعد فيها عنّا ، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك ، وآنصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ .

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده

أخبرنى عمّى والصُّولىّ قالا حدّثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمّان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدىّ بصوت صنعه فى شعر له وهو :

قل لِمَنْ صَدّ عاتِبَا * ونأَى عنك جانِبَا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنتَ لاعِبا

وبين له شِعرَه وإيقاعَه و بِساطَه ومَجْراه و إصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه ، فغنّاه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغنّاه إيّاه فما خَرم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً . قال : وفاقنى فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

٥٧/٩

قل لمن صدّ عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنتَ لاعبا

---

(١) أنظر شرح هذا البيت مفصلا فى الأغانى ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .

(٢) البربط : العود ، فارسى معرب . وفى أ و م : « وإبريقنا دائما معمل » .

وٱعترفنا بما ٱدّعيـ * ـتَ وإن كنتَ كاذبا
فٱفعَلِ الآنَ ما أرد * تَ فقد جئتُ تائبا

يقال : إنّ الشعر لإسحاق، ولم أَجِدْه فى مجموع شعره . ووجدتُ فيه لحنًا لحَكَم الوادىّ فى ديوان أغانيه ولحنه من الماخورىّ، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثانى (١) بالبِنصر . وكذلك ذكرتْ دَنَانيرُ أنّه لحَكَم الوادىّ؛ ويُشْبه أن يكون الشعرُ لغيره . ولحن إسحاق الذى كتب به الى إبراهيم بن المهدىّ ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها . وفيه ثقيلٌ أوّل مطلق فى مَجْرى البنصر لم يقع الىّ نسبتُه الى صانعه، وأظنّه لحن حَكَم .

غنى أبا دلف العجلى وأهداه جارية

أخبرنى عمّى قال حدّثنا أبو عبد الله المَرْزَبان قال حدّثنى إبراهيم بن أبى دُلَف العِجْلىّ قال :

كنّا مع المعتصم بالقَاطُول (٢)، وكان إبراهيم بن المهدىّ فى حَرّاقته بالجانب الغربىّ وأبى وإسحاقُ الموصلىّ فى حَرّاقتيهما فى الجانب الشرقىّ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه فى زلال (٣) وأنا معهما وأنا صغير وعلىّ أَقْبِيَةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِيّة له يقال لها غَضّةُ، وإذا فى يديه كأسان وفى يديها كأس . فلما صَعِدنا إليه ٱندفع فغنّى :

حيّاكما الله خَليليّا * إنْ مَيِّتًا كنتُ وإنْ حيَّا
إن قلتما خيرًا فأهلٌ له * أو قلتما غيًّا فلا غَيَّا

ثم ناول كلّا منهما كأسًا وأخذ هو الكأسَ التى كانت فى يد الجارية وقال : ٱشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشَربوا، ثم أخذوا العيدانَ فغنّاهما ساعةً

(١) فى أ و م : « وهو خفيف من الثقيل الثانى ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم نقف عليه .

وغنّياه، وضرب وضربا معه، وغنّت الجارية بعدهم. فقال لها أبى: أحسنتِ مرارا. فقال له: إن كانت أحسنتْ فخذها إليك، فما أخرجتُها إلّا إليك.

سمع من مخارق لحنا فأطراه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حمدون قال: لمّا صنع مخارق لحنه فى شعر العتّابى:

أَخِضْنى المُقَامَ الغَمْرَ إن كان غرّنى * سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ

غنّاه إبراهيمَ بنَ المهدىّ، فقال له: أحسنت وحياتى ما شئت! فسجد مُخارق سرورًا بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانة لحنا وحدّثه حديثه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى القِطرانىّ عن عمرو بن بانة قال: غنّى إبراهيم بن المهدىّ يومًا:

أدارًا بحُزْوَى هِجْتِ للعين عَبْرةً * فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يترقْرَقُ

فآستحسنتُه وسألتُه إعادتَه علىّ حتى آخُذَه عنه ففعل. ثم قال لى: إنّ حديث هذا الصوت أحسن منه. قلت: وما حديثُه أعزّك الله؟ قال: غنّانيه آبنُ جامع والصنعة فيه له، فلما أخذتُه عنه غنّيته إيّاه ليسمعه منّى، فآستحسنه جدًّا وقال: كأنّى والله ما سمعتُه قطُّ إلّا منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت.

قصته مع ابن بسخنر وجاريته شارية ومخارق وعلوية

أخبرنى علىّ بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنا عُبَيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

٥٨/٩

وجّه إلىّ إبراهيم بن المهدىّ يومًا يدعونى، وذلك فى أوّل خلافة المعتصم، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريتُه خلفَ السّتارة، فقال: إنى قلتُ شعرًا وغنّيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذتْه وزعمت أنّها أحذق به منّى، وأنا أقول

إنى أحذق به منها، وقد تَراضَيْنا بك حَكَمًا بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فآسمعه منّى ومنها وآحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرّات . فقلت نعم . فآندفع يغنّى بهذا الصوت :

أضَنُّ بليلَى وهى غيرُ سخيّةٍ * وتَبْخَلُ ليلى بالهوى وأَجودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغَنَّىْ ، فغنّته فبرَّزتْ فيه حتى كأنه كان معها فى أبجاد، ونظر إلىّ فعرف أنّى قد عرفتُ فضلَها عليه، فقال : على رِسْلك! وتحدّثنا ساعة وشربنا، ثم آندفع فغنّاه ثانية فأَضْعف فى الإحسان، ثم قال لها : تَغَنَّىْ، فغنّت فبرعت وزادت أضعافَ زيادته، وكِدْتُ أَشُقّ ثيابى طربًا . فقال لى : تَثَبَّت ولا تَعْجَلْ . ثم غنّاه ثالثة فلم يُبْقِ غايةً فى الإحكام، ثم أمرها فغنّت، فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لى : قل، فقضيتُ لها؛ فقال : أصبتَ، فكم تُساوى عندك ؟ فحمَلنى الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ : تُساوى مائةَ ألف درهم . فقال : أَوَما تُساوى على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلّا مائة ألف ! قبّح اللهُ رأيَك ! والله ما أَجِد شيئا أبلغَ فى عقوبتك من أن أَصْرِفك، قم فآنصرفْ الى منزلك مذمومًا . فقلت له : ما لقولك آخْرُجْ من منزلى جواب، وقمت وآنصرفت، وقد أَحْفَظنى كلامُه وأَرْمَضَنى[(١)] . فلمّا خطوت خُطُواتٍ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدُنى من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئًا . وضَرب الدَّهرُ ضَرَبانَه، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيريّة فى قصر التّل[(٢)]، فدخلتُ أنا ومخارق وعلّويه، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامُ فضّة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُدًا، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُدًا، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبرًا، فظننّا أنها لنا بل لم نَشُكّ فى ذلك، فغنّيناه وأجهدنا

(١) فى ا ، م : «وأمضنى» . (٢) فى ب ، س : « قصر الليل » .

أنفُسَنا، فلم يطرب ولم يتحرّك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجبُ فقال: إبراهيم بن المهديّ. فأْذن له فدخل، فغنّاه أصواتًا أحسنَ فيها، ثم غنّاه بصوت من صنعته وهو:

مابالُ شمسِ أبي الخطّاب قد غَرَبَتْ * يا صاحبيَّ أظنّ الساعةَ اقتربتْ

فاستحسنه المعتصمُ وطرِب له، وقال: أحسنتَ والله! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيّتها شئتَ، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضُنا إلى بعض. ثم غنّاه إبراهيم بشعر له وهو:

فما مُزّةٌ قهوةٌ قَرْقَفٌ * شَمُولٌ تروق براوُوقِها (1)

فقال: أحسنتَ والله ياعمّ وسَرَرْتَ. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جامًا أخرى؛ فقال: خذ أيّتهما شئتَ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها. وغنّاه بعد ساعة:

ألا ليتَ ذاتَ الخال تلْقَى من الهوى * عَشِيرَ (2) الذي ألْقَى فيلتئمَ الحبُّ ٥٩/٩

فارتجّ بنا المجلسُ الذي كنّا فيه، وطرِب المعتصمُ واستخفّه الطربُ فقام على رجليه، ثم جلس فقال: أحسنتَ والله ياعمّ ماشئتَ! قال: فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي الجام الثالثة؛ فقال: خُذْها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثَناه طاقَتَيْن ووضع الجاماتِ فيه وشدّه، ودعا بطين نختَمه ودفعَه الى غلامه، ونهضنا الى الانصراف، وقُدِّمتْ دوابُّنا. فلما ركب إبراهيم التفتَ اليّ فقال: يامحمد بن الحارث، زعمتَ [illegible] أُحسن أنا وجاريتي شيئًا، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان. فقلتُ في نفسي: قد رأيتُ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها! ولم أُجبه بشيء.

(1) المزة والقهوة والقرقف والشمول: من أسماء الخمر. والراووق: باطية الخمر.

(2) العشير: جزء من عشرة كالعشر.

نسبة هذه الأصوات

صوت

مابالُ شمسِ أبى الخطّاب قد غَرَبَتْ * يا صاحبىَّ أظنّ الساعة اقتربتْ
أم لا فما بالُ ريح كنتُ آمُلُها * غدتْ علىّ بِصرٍّ(١) بعد ما خُبِئتْ
أشكو اليك أبا الخطّاب جاريةً * غريرةً بفؤادى اليوم قد لَعِبتْ
رأيتُ قَيّمَها يوماً يحدِّثها(٢) * يا ليتَها قَرُبَتْ منّى وما بَعُدَتْ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهدىّ رَمَلٌ بالبنصر. وفيه هَزَج بالبنصر، ذكر عمرو ابن بانة أنه لإبراهيم الموصلىّ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهدىّ .

صوت

ألَا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى * عَشِيرَ الذى أَلْقَى فيلتئمَ الحبُّ
وِصالُكُمُ صَدٌّ وقربُكُمُ قِلًى * وعطفُكُمُ سُخْطٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

شعره فى باقة نرجس غنى به المعتصم

وقال ابن أبى طاهر حدّثنى المؤمّل بن جعفر قال : سمعتُ أبى يقول : كانت فى يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدىّ : ياعمّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها . فنكَت فى الأرض بقضيبٍ فى يده هنيهةً ثم قال :

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرْجِس * على قائم أخْضَرٍ أمْلَسِ
يُذَكِّرْنَنِى طِيبَ ريَّا الحَبيب * فيَمْنَعْنَنِى لَذَّةَ المجلس

وصنع فيه لحنًا وغنّاه به، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحنُ إبراهيم فى هذين البيتين خفيفُ رَمَل بالبنصر، ذكر لى ذُكاءُ وغيرُه ذلك .

---

(١) ريح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا فى أ ، م وفى جـ : «والنأى عندا» وفى سائر النسخ : « والشوق يغلبنى » .

غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النحوى عن الجاحظ، وأخبرنى به محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثنا يَمُوتُ بن المُزَرِّع عن الجاحظ قال:

أرسل إلىّ ثُمَامةُ[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهدىّ وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجىء بإبراهيم، وأخبرنى عمّى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنى محمد بن عمرو الأنبارىّ من أبناء خُرَاسان قال:

٦٠ / ٩

لمّا ظفِر المأمون بإبراهيم بن المهدىّ أحبَّ أن يوبِّخه على رءوس الناس. قال: فجِىءَ بإبراهيم يَحْجُل فى قيوده، فوقف على طرَف الإيوان[2] وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه. فقال له المأمون: لا سلّم الله عليك ولا حَفِظك ولا رعاك ولا كَلأك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رِسْلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحتَ ولىَّ ثأرى، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ، ومن مَدَّ له الاغترارُ فى الأمل هجَمَتْ به الأَناةُ على التَّلَف. وقد أصبح ذنبى فوق كلّ ذنب، كما أنّ عفوك فوق كلّ عفو — وقال الحسنُ بن عُلَيْل فى خبره: وقد أصبحت فوق كلّ ذى ذنب، كما أصبح كلُّ ذى عفو دونك — فإن تُعاقِبْ فبحقّك، وإن تَعْفُ فبفضلك. قال: فأطرق مليًّا ثم رفع رأسَه فقال: إنّ هذين أشارا علىّ بقتلك. فالتفتَ فاذا المُعْتصِم والعبّاس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا حقيقة الرأى فى مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشّاك إذ كان ما كان منّى، ولكنّ الله عوّدك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعًا ما تَخافُ بما ترجو، فكفاك الله. فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمامة ثم قال: إنَّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السِّحْر، وإن كلام عمّى منه، أَطْلِقوا عن عمّى

(١) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميرى أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره. (انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٤٥).

(٢) انظر فى هذا المقام الطبرى ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر.

حديدَه، ورُدّوه إلىّ مُكرَّمًا . فلما رُدّ إليه قال : يا عمّ صِرْ إلى المنادمة وارْجعْ الى الأنس، فلن ترى منّى أبدًا إلّا ما تحبّ . فلمّا كان من الغد بعث إليه بدَرْجٍ (١) فيه :

يا خيرَ مَن ذَمَلتْ يمانيَةٌ به * بعد الرسول لآيِسٍ أو طامع
وأبرَّ مَنْ عبد الإلهَ على الهُدَى * نفسًا وأحكَمَه بحقٍّ صادع
عَسَلُ الفوراع ما أطِعْتَ فإن تُهَجْ * فالموتُ فى جُرَع السِّمام النّاقع (٢)
متيقِّظًا حَذِرًا وما يَخْشى العدا * نَبْهانَ من وَسَنات ليلِ الهاجع
والله يعلم ما أقول فإنها * جَهْدُ الألِيَّة من حَنيفٍ راكع
قَسَمًا وما أُدْلِى إليكَ بحُجّةٍ * إلّا التضرُّعَ من محبٍّ خاشع
ما إن عصيتُك والغُواةُ تمُدّنى * أسبابُها إلّا بنيّةِ طائع
حتى إذا عَلِقتْ حبائلُ شِقْوتى * بِرَدًى على حُفَر المهالك هائع (٣)
لم أدرِ أنّ لمثل ذنبى غافرًا * فأقمتُ أرْقُب أىَّ حَتْفٍ صارعى
رَدّ الحياةَ إلىّ بعد ذهابها * وَرَعُ الإمام القاهر المُتواضع
أحياك مَنْ ولّاك أطولَ مدّةٍ * ورَمى عدوَّك فى الوَتين بقاطع
إنّ الذى قَسَم الفضائلَ (٤) حازها * فى صُلْبِ آدم للإمام السابع
كم من يَدٍ لك لا تحدّثنى بها * نفسى إذا آلتْ إلىّ مطامعى
أسديتَها عفوًا إلىّ هنيئةً * فشكرتُ مُصْطَنَعًا لأكرم صانع
ورَحِمتَ أطفالا كأفراخ القَطا * وعَويلَ عانسةٍ كقوس النّازع
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثله * عفوٌ ولمْ يشفعْ إليك بشافع
إلّا العُلُوُّ عن العقوبة بعد ما * ظفِرت يداك بمستكينٍ خاضع

(١) الدرج (بالفتح ويحرّك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبرى :
* فالصاب يمزج بالسمام الناقع * (٣) الهائع هنا : المنتشر . (٤) فى الطبرى : «الخلافة» .

قال: فبكى المأمون ثم قال: علىّ به، فأُتى به فخلَع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفَرّاش فقال له: إذا رأيتَ عمّى مُقبِلا فاطرَحْ له تُكَأَةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئا. ورَوى بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمىّ فقال فيه: لمّا فرَغ المأمونُ من خطابه دفعه الى ابن أبى خالد الأَحْوَل[1] وقال: هو صديقك فخُذْه اليك. فقال: وما تُغْنِى صداقتى عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه! أمَا إنّى و إن كنتُ له صديقًا لا أمتنع من قول الحقّ فيه. فقال له: قُلْ فإنّك غيرُ متّهم. قال وهو يُريد التّسلُّقَ على العفو عنه[2]: إن قتلتَه فقد قتلتِ الملوكُ قبلَك أقلَّ جُرْمًا منه، و إن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يُعْفَ قبلَكَ عن مثله. فسكت المأمونُ ساعةً ثم تمثّل: ٦١ / ٩

فلئن عفَوتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِى[3]

قَوْمِى هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أخى * فإذا رميتُ أصابَنى سَهْمِى

خُذْه يا أحمد اليك مُكَرّما، فآنصرف به. ثم كتب الى المأمون قصيدتَه العينيّة. فلمّا قرأها رقّ له وأمر بردّه الى منزله[4] وردّ ما قُبِض منه من أمواله وأملاكه. وفى خبر عمّى عن الحسن بن عُلَيْل قال: حدّثنى محمد بن إسحاق الأَشْعَرىّ عن أبى داود: أن المأمون تقدّم إلى محمد بن مزداد لمّا أطلَق إبراهيمَ أن يمنعه دارَىِ الخاصّة والعامّة، ويُوكِّل به رجلا من قِبَله يثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يتكلّم به. فكتب إليه الموكّل به أنّ إبراهيم لمّا بلغه منعُه من دارَىِ الخاصّة والعامّة تمثّل:

يا سَرْحةَ الماء قد سُدّت مَوارِدُهْ * أمَا إليك طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ[5]

---

(١) هو أحمد بن أبى خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبرى ق ٣ ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) فى الأصول: «قال وهو يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها فى الكلام. (٣) هذا شعر الحارث بن وعلة الذهلى. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزلته». (٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلى.

لِحَائِمٍ حامَ حتى لا حِيَامَ له * مُحَلَّإٍ عن طريق الماء مَطْرُودِ

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّمًا و إنزاله فى مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالركوب فركب. فلما دخل على المأمون قبَّل البساطَ ثم قال:

البِرُّ بى منك وَطَّا العُذْرَ عندك لى * دون آعتذارى فلم تَعْذُلْ ولم تَلُمِ

وقام علمُك بى فآحتجَّ عندك لى * مقامَ شاهدِ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ

رددتَ مالى ولم تَمْنُنْ علىَّ به * وقبل رَدِّك مالى قد حقنتَ دمى

تعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوتَ به * فلا عَدِمناك من عافٍ ومُنْتَقِمِ

فبؤتُ منك وقد كافأتها بيد * هى الحياتان من موت ومن عَدَمِ

فقال له: آجلس يا عمِّ آمِنًا مطمئنًّا، فلن ترى أبدًا منِّى ما تكره، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثًا أو تتغيَّر عن طاعة؛ وأرجو ألّا يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب فى حسن المحاضرة

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى آبن حمدون عن أبيه قال:

كنت أُحِبّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهدىّ وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلَبَتِه الناسَ جميعا بحِفْظه و بلاغته وأدبه فى كل مَحْضَر ومجلِس. فدخلتُ يوما على إبراهيم بن المهدىّ وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الجَزَرِىّ، فجعل إبراهيم يحدّثنا فيُضيف شيئًا إلى شىء، مرّةً يُضْحِكنا ومرّةً يَعِظُنا ومرّةً يُنْشِدنا ومرة يُذَكِّرنا، وأحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أُخاطب أحمد، فسبَقَنى إليه أبو العالية فقال:

٦٢/٩

مالكَ لا تَنْبَح يا كلب الدَّوْمْ * قد كنتَ نَبَّاحًا فما لك اليَوْمْ

فتبسّم إبراهيم ثم قال: لو رأيتنى فى يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَنى كما رَحِمتَ أحمدَ منّى.

أثنى عليه إسحاق

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال قال لى إسحاق: ليس فيمن يدّعى العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهدىّ وأبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلىّ. فقيل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُصْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغى لك أن تقول: وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربىّ إلّا مالا يفهمه!.

إقرار ابن بانة له ولإسحاق بالعلو فى فن الغناء

أخبرنى يحيى قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال:

رأيت إسحاق الموصلىّ يُناظر إبراهيم بن المهدىّ فى الغِناء، فتكلّما فيه بما فَهِماه ولم نفهم منه شيئا. فقلتِ لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء ما نحن منه فى قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق فى شعر للأخطل

أخبرنى عمّى عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون: أنّ المأمون قال لإسحاق: غنّنى لحنَك فى شعر الأخطل:

يا قَلّ خيرُ الغَوانِى كيف رُغْنَ به * فشِرْبُهُ وَشَلٌ منهنّ تَصْرِيدُ[1]

فغنّاه إيّاه فٱستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهدىّ: هل صنعتَ فى هذا الشعر شيئا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغنّاه فٱستحسنه المأمون وقدّمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاقُ ذلك.

علمه إسحاق لحنا فطرب له الأمين وقصة ذلك

أخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى الموصلىّ قال ذكر أبى عن جدّى عن عبد الله بن عيسى الماهانىّ قال:

دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجة، فرأيتُ عليه مُطْرَف خَزّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا فى أمر المِطْرف فقال: لقد كانت

(١) كذا فى ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م). وفى الأصول: «لشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والوشل هنا: القليل. والتصريد: السقى دون الرى. يريد بهذا الشطر أن حظه منهن قليل.

لكم أيّامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه . فقال : إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له : ما أقوِّمه إلّا نحوًا من مائة دينار. فقال إسحاق : اِسمع حديثَه : شرِبنا يومًا من الأيّام، فبتّ وأنا مُثْخَن، فآنتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علىّ فقال لى: يقول لك أمير المؤمنين عجِّلْ إلىّ — وكان بخيلا على الطعام فكنتُ آكُل قبل أن أذهب اليه — فقمتُ فتسوّكتُ وأصلحتُ أمرى، وأعْجَلنى الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدىّ جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّـة خزّ دَكْناء . فقال لى محمد : يا إسحاق تَغدَّيتَ ؟ فقلت : نعم يا سيِّدى . فقال : إنّك لَنَهِمٌ، أهذا وقت غَدَاء! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمَار، فكان ذلك ممّا حَدَانى(١) على الأكل . فقال لهم : كم شَرِبنا؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : آسقوه مثلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرِّقها علىّ ! فقال : تُسْقَى رِطلين ورِطلًا . فدُفِـع إلىّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسى تَسـيل معهما، ثم دُفِع إلىّ رطلٌ آخر فشربتُه فكأنّ شيئا آنجلى عنّى . فقال، غنِّنى :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا ✱ وأيْسَرَ جُرْمًا منـك ضُرِّج بالدّمِ

فغنّيتُه، فقال : أحسنتَ وطرِب، ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيرا، يدخل إلى النساء ويدَعُنا . فقمتُ فى أثر قيامه فدعوتُ غلامًا لى فقلت: آذهب إلى منزلى ٦٣/٩ وجئنى ببزْماوَرْدتَيْن(٢) ولُفَّهما فى منديل وآذهب رَكْضًا وعجِّل . فمضى الغلامُ فجاءنى بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدّابة آنقطع البِرْذَوْنُ فنفَق من شـدّة ما ركَضه، فأدخَل إلىّ الـبزْما وَرْدَتَيْن فأكلتُهما ورجَعتْ الىّ نفسى وعُدْتُ الى مجلسى. فقال

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « جرأنى » . (٢) البزماورد : طعام يسـمى « لقمة القاضى » و « فخذ الست » و « لقمة الخليفة » ، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ١٧٣ هامشة ٣) .

لى إبراهيم : إن لى إليـك حاجة أُحبّ أن تقضيها لى . فقلت : إنمـا أنا عبدُك وٱبن عبدك، قل ما شئتَ . قال : تَرُدّ علىّ :

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أ كثرَ ناصرًا *

وهذا المِطْرَفُ لك. فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرَفًا على هذا، ولكنّى أصير إليك إلى منزلك فأُلقيه على الجوارى وأردّه عليك مرارًا. فقال : أحبّ أن تردّه علىّ الساعةَ وأن تأخذَ هذا المطرفَ فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مرارًا حتى أخذه . ثم سمِعنا حركة محمـد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعـدنا ، فشرب وتحدّثنا . فغنّـاه إبراهيم :

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أ كثرَ ناصرًا *

فكأنّى والله لم أَسمعه قبـل ذلك حسنًا، وطرِب محمد طربًا عجيبًا وقال : أحسنتَ والله يا عمّ ! أَعْطِ ياغلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمّى الساعة، فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لى فيها شريكًا . قال : ومن هو؟ قال : إسحاق . قال : وكيف؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منـه لمـّا قمتَ . فقلت له : ولِمَ ! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشرِكك فيما تُعطَاه ! قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلمـا ٱنصرفنا من المجلس أعطانى ثلاثين ألفا وأعطانى هذا المطرف . فهذا أُخذ به مائة ألف درهم وهى قيمتُه .

حج مع الرشيد، وقصته مع جارية رآها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال لى إبراهيم بن المهدىّ :

حَجَجْتُ مع الرشيد ؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور فى عَرَصاتها، فٱنتهيت الى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقى منها، فقلت : يا جارية، ٱمْتَحِى لى دَلْوًا . فقالت : أنَا والله عنك فى شُغْل بضَرِيبة مَوَالىَّ علىّ . فنقَرتُ بسوطى على سَرْجى وغنّيتُ :

صــــوت

رام قلبى السُّلُوَّ عن أسماءِ * وتَعَزَّى وما به من عَزاءِ
سُخْنَةٌ فى الشتاء باردةُ الصيـ * ـف سِراجٌ فى الليلة الظلماء
كفِّنانى إن مُتُّ فى دِرْعِ أَرْوَى * وآمْتَحا لِى من بئر عُرْوةَ مائى

— الشّعر للأحوص . والغناء لمعبد رَمَلٌ مُطْلَق فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق —
وتمام هذه الأبيات :

إنّنى والذى تَحُجّ قريشٌ * بيتَه سالكين نَقْبَ كَدَاءِ(1)
لَمُلِمٌّ بها وإن أُبْتُ منها * صادرًا كالذى وَرَدْتُ بداءِ
ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقة خاخٍ(2) * ومَصيفٌ بالقصر قصرِ قُباءِ
قلبتْ لى ظهرَ المِجَنّ فأمستْ * قد أطاعت مقالةَ الأعداءِ

ولمعبد أيضا فى البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامىّ . ولابن سُرَيْج فى :

* ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقة خاخٍ *
و * كفِّنانى إن متّ فى درع أَرْوَى *

رَمَلٌ عن الهِشامىّ أيضا . ولإبراهيم فى : «رام قلبى» وما بعده ثانى ثقيلٍ عن حَبَش — قال إبراهيم بن المهدى فى الخبر : فرفعتِ الجاريةُ رأسَها إلىّ فقالت : أتعرفُ بئرَ عُرْوةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئرُ عُرْوة ، ثم سقَتْنى حتى رَوِيتُ ، وقالت : إنْ رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ ، فطربتْ وقالت : والله لأحملنّ قِرْبةً إلى رَحْلك ! . فقلت : آفعلى ، ففعلَتْ وجاءت معى تحملها . فلما رأتِ الجيشَ والخدمَ فزعتْ . فقلت

٦٤/٩

(1) كداء بأعلى مكة عند المحصب . (2) برقة خاخ : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها: لا بأس عليك! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندى، ثم صرت الى الرشيد فحدّثته حديثَها؛ فأمر بآبتياعها وعتقها؛ فما برحتُ حتى آشتُريتْ وأُعتقت، وأخذتُ لها منه صلةً وآفترقنا .

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا محمد ابن يزيد النّحوىّ قال حدّثنا الفضل بن مروان قال :

لمّا أُدخِل إبراهيم بن المهدىّ على المأمون وقد ظَفِر به، كلّمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلّم به معاوية بن أبى سفيان فى سَخْطةٍ سخِطها عليه وآستعطفه به . وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهاتَ يا إبراهيم! هذا كلامٌ سبقك به فَحْلُ بنى العاص بن أميّة وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أمير المؤمنين (١) ؟ ! وأنت أيضا إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بنى حَرْبٍ وقارِحُهم الى العفو؛ فلا تكن حالى عندك فى ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية، فإنّك أشرفُ منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد الى معاوية (٢)، وإن أعظم الهُجْنة أن تسبِق أميّةُ هاشمًا الى مَكْرُمة. فقال : صدقتَ يا عمّ، وقد عفوتُ عنك .

غضب عليه الأمين فاستعطفه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدىّ كلامٌ على النّبيذ، فوجَد عليه محمد . فلمّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألْطافٍ فلم يقبلها؛ فوجّه إليه وصيفةً مليحة مغنّية معها عود معمول من عود هندىّ، وقال هذه الأبيات وغنّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكمَتْها، ثم وجّه بها اليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمُّك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك — وآندفعتْ تغنّى بالشعر وهو — :

هتَكْتَ الضميرَ بردِّ اللَّطَف * وكشَّفتَ هجرَكَ لى فانْكَشَفْ

(١) فى ب، س : « فقال له ابراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها فى الكلام . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « عند » .

وإن كنتَ تُنكر شيئًا جرى * فَهَبْ للخلافة ما قــد سَلَفْ
وجُدْ لى بصفحك عن زَلّتى * فبالفضل يأخذ أهلُ الشرف

قال : فسُرَّ محمدٌ بها ، و بعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتَمَّم يومَه معه .

صالح جاريته صدوف

أخبرنى محمــد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنى سعيد بن صالح الأَسَدىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد الهاشمىّ قال حدّثنى بعض خدم إبراهيم بن المهدىّ قال :

كانت لإبراهيم بن المهدىّ جارية يقال لها صَدُوف ، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جوار يه على محلّها منه ، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها مايكره حتى غضب عليها وجفاها أياما ، ثم شقّ ذلك عليه واْغتمّ به ، ولم يطب نفسًا بمراجعتها وصُلْحها . فدخل عليه الأعرابىّ أخو مُعَلَّلة صاحبــة الفضل بن الربيع ، وكان حســنَ الشِّعْر حُلْوَ اللفظ فصــيحًا ، وكان إبراهيم يأنَس به ، فقال له : مالى أرى الأمير منكسرًا منذ أيّام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ فى أمره أبياتًا إن أذِن لى أنشدتُه إيّاها . فتبسّم وقال : هاتِ ، فأنشده :

٦٥/٩

أَعَتَبْتَ أم عتبتْ عليك صَدُوفُ * وعِتابُ مثــلِك مثلَها تشريفُ
لا تَقْعُــدنَّ تلوم نفسَــك دائبا * فيهــا وأنتَ بحبّهــا مشــغوف
إن الصَّريمــة لا يَنُوء بحَمْلِهــا * إلّا القوىّ بهــا وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمــائتى دينار ، و بعث إلى صَــدُوفَ فخرجتْ إليه ورضى عنها ، و بعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار .

قيل له تب واحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائى

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكبىّ قال حدّثنى أحمد بن علىّ بن حُمَيْــدة قال حدّثتنى رَيِّقُ قالت :

مَرِض إبراهيم بن المهدىّ مَرْضَةً أشرَف منها على الموت، فجعل يتذكّر شغفه بالغِناء وما سلَف له فيه ويتندّم عليه. فقال له بعض مَنْ حضر: تُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء. فحرّك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين! فهَبْنى أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها، ريْقى أَيْشٍ أعمَل بها؟ أأقتلُها وهى تحفَظ كلَّ شىء فى دفاتر الغناء!!.

رأى عليا فى النوم

أخبرنى جعفر بن قُدَامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبىّ قال حدّثنى المُبَرّد عن أحمد بن الرّبيع عن إبراهيم بن المهدىّ قال:

رأيتُ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثروا فيك وفى أبى بكر وعمر، فما عندك فى ذلك؟ فقال لى: إخْسَأ! ولم يَزِدْنى على ذلك. وأخبرنى الكَوْكَبىّ بهذا الخبر عن الفضل بن الرّبيع عن أبيه قال:

كان إبراهيم شديدَ الانحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ فحدّث المأمونَ يومًا أنه رأى عليًّا فى النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه علىّ بن أبى طالب، قال: فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدّمنى لعبورها؛ فأمسكتُه وقلت له: إنما أنت رجلٌ تدّعى هذا الأمر بامرأة ونحن أحقّ به منك! فما رأيتُ له فى الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه. فقال: وأىّ شىء قال لك؟ فقال: ما زادنى على أن قال سلامًا سلامًا. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغَ جواب. قال: وكيف؟ قال: عرَّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾. فخجِل إبراهيم وقال: ليتنى لم أحدّثك بهذا الحديث.

تمنى له الأمين طول العمر

أخبرنى الكَوْكَبىّ قال حدّثنى المفضَّل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال:

قلت للأمين يوما: يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك! فقال: بل جعلنى الله فداءَك؛ فأعظمتُ ذلك. فقال: يا عمّ لا تُعظِمْه فإنّ لى عمرًا لا يزيد ولا ينقُص؛

لحياتى مع الأحبّــة أطيبُ من تجوُّعى فقدَهم ، وليس يضرّنى عيش من عاش بعدى منهم .

غنى للأمين لحنا فطرب وطلب إليه أن يلقنــه إحدى جواريه ، وقصة ذلك

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى قال : كنت يومًا بين يدَىِ الأمين أغنّيه ، فغنّيته :

صــــوت

أَقْوَتْ منازلُ بالهِضابِ * من آل هند والرَّبابِ
خطّـــارة بزِمامهــا * وإذا وَنَتْ ذُلُلُ الرّكاب[1]
تَرْمِى الحصــا بمنَاسِمٍ * صُمٍّ صَلادِمَةٍ صِلاب

قال : فآستحسن اللّحنَ وسألنى عن صانعه ، فعرَّفته أن آبن جامع حدّثنى عن سِيَاط أنه لآبن عائشة ، فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه ، ثم آنصرفنا ليلتَنا تلك . ووافانى رسوله ٦٦/٩ حين آنتبهت من النوم وأنا أستاك ، فقال لى : يقول لك : بحياتى ياعمّ لا تَشتغِلْ بعد الصلاة بشىء غير الركوب الىّ . فصلّيتُ وتناولتُ طعامًا خفيفًا وأنا ألبس ثيابى خوفًا من رجوع رسوله ، ورَكِبتُ إليه . فلما رآنى من بعيد صاح بى : يا عمّ بحياتى :

* خطّـارة بزِمامهـا *

فلمّا دخلت المجلس آبتدأته وغنّيته ، فأمر باحضار صَبِيّة كان يتحظّاها ، فأخرِجَتْ إلىّ صبيّةٌ كأنها لؤلؤة فى يدها العود . فقال : بحياتى يا عمّ ألْقِه عليها ! فأعدتُه مرارًا وهو يشرب ، حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنّيه فغنّته ، فإذا هو قد آستوى لها إلّا فى موضع كان فيه وكان صعبًا جدًّا فجَهَدتُ جَهدى أن يقع لها طلبًا لمَسَرّته ، وكان حقيقًا منّى بذلك ، فلم يقع لها البتّةَ . ورأى جهدى فى أمرها وتعذُّرَه عليها ، فأقبل عليها

(١) ذلل : جمع ذلول وهو السهل المنقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نُفيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لى حُرّةٌ وعلىّ عهدُ الله لئن لم تأخُذيه في المرّة الثالثة لآمُرنّ بالقائك في دِجْلة ! قال : ودِجلةُ تطفَح وبيننا و بينها نحو ذراعين وذلك فى الربيع ، فتأملتُ القصّة ، فاذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لاتقوله كما أقوله أبدًا . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغّص عليه يومُه وأشْرَكُ في دمها ، فعدَلْتُ عمّا كنتُ أُغنّيه عليــه وتركتُ ما كنت أقــوله ، وغنّيته كما كانتْ هى تقوله ، وجعلتُ أُردّده حتى ٱنقضت ثلاثُ مرّات أُعيده فيها على ما كانت هى تقوله ، وأريتُه أنّى أجتهد . فلما ٱنقضت الثلاث المرّات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنّته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسَنَتْ يا أمير المؤمنين ، رردّدتُه معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسُه وسكَن ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم . قال جَحْظةُ : وقد لحقنى مثلُ هذا ، فإنّ طَرْخانَ[1] ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق ٱستحسن صوتًا غنّيته وهو :

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين

أعيانِيَ الشّادِنُ الرَّبيبُ * أكتُب أشكو فلا يُجيبُ
مَن أين أَبغِى شفاءَ دائى * وإنمــا دائىَ الطّبيبُ

ــ ولحنُــه رَمَلٌ ــ فقال : أُحبّ أن تطرَحه على زُهْرةَ جاريتى ، فمكثتُ أتردّد إليهــا شهرًا وأكثر وأُردّده عليها وهو يَصِــلُنى ويخلَع علىّ ويُعطينى كلَّ شىء حسن يكون فى مجلسه ، فلا تأخذه منّى ولا يقع لها . فلمّا كان بعد شهر قلت له : أيُّها الأمير قد والله استَحْييتُ من كثرة ما تُعطينى بسبب هذا الصوت ، وقد أعيانى أن تأخذه زُهْرةُ ؛ ثم حدّثته حديثَ إبراهيم بن المهدىّ وقلت له : لولا أنى آمَنُك عليها لقلتُه أنا كما تقوله هى حتى نتخلّص جميعا . وليس وحياتِك تأخذه أبدًا كما أقوله ولا فيه حيلة . فقال لى : فدَعْهُ إذًا .

(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه فى صلة تاريخ الطبرى ص ٦٣) .

غنى بحضرة المأمون لحنا وأراد ابن بسخنر أن يأخذه عنه فضلله

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

غنّى إبراهيم بن المهدىّ يومًا بحضرة المأمون :

صـــوت

يا صاح ياذ الضّـامرِ العَنْسِ * والرَّحْلِ ذى الأَنْساعِ والحِلْسِ
أمّا النَّهـارُ فأنت تقطعُــه * رَتْكًا وتُصبح مثـلَ ما تُمسى

— فى هذين البيتين لحن لمـالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن يونسَ والهشامىّ. قال: ولمعبد فيه ثقيل أوّل، وقد نسب قومٌ لحنَ كلٍّ واحد منهما الى الآخر. قال محمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر فى الخبر: واللحن لمالك بن أبى السَّمْح وهو من قِصاره، هكذا فى الخبر — قال: فآستحسنه المأمون، وذهبتُ آخذه، ففطِنَ لى إبراهيم فجعل يزيد فيه مرّةً وينقُص منه أخرى بزوائده التى كان يعمَلها فى الغناء، وعلِمتُ ما هو يصنع فتركتُه. فلمّا قام قلت للمأمون : يا سيّدى إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقِى علىّ :

* يا صاح ياذا الضّامرِ العَنْسِ *

٦٧/٩

قال : أفعَلُ . فلما عاد قال له : يا إبراهيم أَلْقِ على محمد :

* يا صاح ياذا الضّامرِ العَنْسِ *

فألقاه علىّ كما كان يغنّيه مُغَيَّرًا، ثم آنقضى المجلس وسكِرَ المأمون . فقال لى إبراهيم : قم الآن فأنت أحذقُ الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه الى منزله فقلت له : ما فى الأرض أعجبُ منك! أنت آبن الخليفــة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على ولىٍّ لك مثلى لا يُفاخرك بالغناء ولا يكاثرك بصوت!! فقال لى : يا محمد ما فى الدنيا أضعف عقلًا منـك! والله ما آستبقانى المأمون محبّةً لى ولا صِـلَةً لرَحِمى، ولكنه سمع من هذا الجِرْم شيئا فقَده مِنْ سواه فآستبقانى لذلك. فغاظنى فعلُه . فلما دخلت

على المأمون حدّثته بما قال لى . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ ! وأطرق مليًّا ثم قال لى : لا نكدّرُ على أبى إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدعْ هذا الصوتَ الذى ضَنَّ به عليك الى لعنة الله .

قال بيتا يكيد به لدعبل

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى محمد بن يزيد قال :

قلت لدِعْبِل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهلُ الكهف فى الكهف سبعةٌ * إذا حُسِبوا يوماً وثامنُهم كلبُ

فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مَنْ حشا الله قبره نارًا إبراهيمُ بن المهدىّ ، كافأنى بذلك عن هجائى إيّاه ليُشيط[1] بدمى .

خطأ مخارقا فى لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر قال :

لمّا رَضِى المأمون عن إبراهيم بن المهدىّ ونادمه ، دخل عليه متبذِّلًا فى ثياب المغنِّين وزيِّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمِّى ثيابَ الكِبْرِ عن مَنْكِبيه . فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن يُخْلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ . ثم ٱبتدأ مُخارق فغنَّى :

صوت

خليلىّ من كَعْبٍ أَلِمَّا هُدِيتُما * بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبدًا كعبُ
من اليوم زُورَاها فإنّ مَطِيَّنا * غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ[2]

فقال له إبراهيم : أسأتَ وأخطأتَ . فقال له المأمون : يا عمّ إن كان أساء وأخطأ فأحْسِنْ أنتَ . فغنّى إبراهيم الصوت . فلمّا فرغ منه قال لمخارق : أَعِدْه الآن ، فأعاده فأحْسَنَ . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه فى أوّل الأمر؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : مائلات ، واحدها أنكب ونكباء .

قال : ما أبْعَدَ ما بينهما ! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال : إنما مَثَلُك يا مُخارق مَثَل الثوب الوَشْيِ الفاخر، إذا تغافل عنه أهلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه ، فاذا نُفِضَ عاد الى جوهره .

ساله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسمجها فأجابه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة(١) قال حدّثتنى شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدى قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدى يحدّث قال :

٦٨/٩

كنتُ بين يَدَيِ الرشيد جالسًا على طَرَف حَرَّاقةٍ من حَرَّاقاته وهو يريد المَوْصِل وقد بلغنا الى السودقانية(٢)، والمَدَّادون يَمُدُّون السفن ، والشِّطْرَنْجُ بينى وبينه ، والدَّسْتُ متوجِّهٌ له ، إذ أطرق هُنَيْهةً ثم قال لى : يا بنَ أُمّ ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أيّ شيء بعده؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسمَجُ الأسماء؟ قلت : إبراهيم . فزجَرنى ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلتُ له : بشُؤْم هذا الاسم لَقِيَ من نُمْرُودَ ما لَقِيَ وطُرِح فى النار . قال : فإبراهيمُ ابن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ؟ قلت : لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله . قال : فإبراهيمُ الإمام؟ قلتُ بحرفة(٣) اسمه قتله مروان فى حَرّان(٤) . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بن الوليد خُلِع ، وإبراهيمُ بن عبد الله بن حسن قُتل، وعمُّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيتُ والله أحدًا يُسمَّى

(١) فى ب ، س : «جعفر بن محمد بن قدامة» . وقد تقدم هذا الاسم فى رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا فى الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح اذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) فى بعض الأصول هكذا : « فى جراب النورة » وفى بعضها : «فى حراب النورة» وكلاهما تحريف . والمذكور فى كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو فى سجنه بحران ، وقيل : إنه مات بالطاعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وحران مدينة عظيمة وهى قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على «حران») .

بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكب أو رأيتُه مضروبًا أو مقذوفًا أو مظلومًا . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت مَلَّاحًا يَصيح بآخر: مُدّ يا إبراهيم ياعاضّ بَظر أُمّه مُدّ . فقلت له : أَبَقِيَ لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا ٱسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحِك والله حتى أشفقتُ عليه .

غنى للمأمون لحنا عرض فيه بالحسن ابن سهل

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ عن أبيه قال :

دخل الحسن بن سَهْل على المأمون وهو يشرب؛ فقال له : بحياتى و بحقّى عليك يا أبا محمد إلّا شربتَ معى قَدَحًا، وصبَّ له من نبيذه قَدَحًا . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُحِبّ أن يغنّيك؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدىّ فقال له المأمون : غنِّه ياعمّ؛ فغنّاه :

* تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْواسًا إذا ٱنصرفتْ *

يعرِّض به لِمـا كان لحِقه من السوداء والاختلاط . فغضب المأمون حتى ظنّ إبراهيم أنّه سيُوقِع به، ثم قال له : أبَيْتَ إلّا كفرًا يا أكفرَ خلقِ الله لِنعَمه ! وٱلله ما حَقَن دمَك غيرُه ! ولقد أردتُ قتْلَك فقال لى : إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلًا لم يَسْبِقك إليه أحد، فعفوتُ وٱلله عنك لقوله . ألحقُّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدَك ولا دَغَلك! أو أَنِفتَ من إيمائه إليك بالغِناء ! . فوثب إبراهيم قائمًا وقال : يا أمير المؤمنين، لم أَذْهَبْ حيث ظننتَ، ولستُ بعائد؛ فأعرض عنه .

غنى للمعتصم لحنا وسمعه أحمد بن أبى دواد فقال للغناء بعد أن كان يتجنبه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبِىّ قال حدّثنى جرير بن أحمد بن أبى دُواد قال حدّثنى أخى عن أبى قال :

كنت أتجنّب الغناء وأطْعَن على أهله وأذمّ لَهَجهم به؛ فوجّه المعتصم إلىّ عند خروجه من مدينـة السلام : الحَقْ بى ؛ فلحِقتُ به بباب الشّمّاسيّة ومعى غلامى زنقطة، فوجدته قد ركب الزورق، وسمعت عنده صوتًا أذهلنى حتى سقط سوطى

من يدى ولم أشعر به، ثم ٱحتجتُ وقد أعْنَق بى بِرْذَوْنى أن أُكُفَّه بسوطى. فقلت لغلامى: هاتِ سوطَك؛ فقال: سقَط والله من يدى لمّا سمِعتُ هذا الغِناء. فغلَبنى الضَّحِكُ حتى بان فى وجهى. ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال. فلمّا رآنى قال لى: ما يُضحِكك يا أبا عبد الله؟ فحدّثته، فقال: أتتوب الآن من الطعن علينا فى السماع؟ فقلت له: قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيك؟ قال: عمّى إبراهيم، كان يُغَنِّينى:

إنّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * أَنْشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا

ثم قال: أعِدْه يا عمّ ليسمعه أبو عبد الله فإنى أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه. فقلت: بلى والله لأدَعَنَّه فى هذا ولا أُلْتك عليه. فقال: أمّا إذ[1] كانت توبتُه على يديك يا عمّ فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا.

٦٩/٩

فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلى وابن جامع

حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحىّ قال حدّثنى الحسين بن إبراهيم[2] قال:

كنت أسأل مُخارقًا: أىُّ النّاس أحسنُ غناءً؟ فيُجيبنى جوابًا مُجملًا حتى حفَفْتُ[3] عليه يومًا قال: كان إبراهيم الموصلىّ أحسنَ غناءً من ٱبن جامع بعَشْر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصلىّ بعشر طبقات، وإبراهيمُ بن المهدىّ أحسنُ غناءً منّى بعشر طبقات. قال ثم قال لى: أحسنُ الناس غناءً أحسنُهم صوتًا، وإبراهيم بن المهدىّ أحسنُ الجنّ والإنس والوحش والطير صوتًا، وحسبُك هذا.

سمع إسحاق الموصلى صوتا من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك

حدّثنى علىّ بن هارون المُنَجِّم قال حدّثنى محمد بن أحمد بن علىّ بن يحيى قال سمعت جدّى علىّ بن يحيى يقول حدّثنى محمد بن الفضل الجَرْجَرائى[4] قال:

---

(١) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول: «إذا» وهو تحريف. (٢) فى ب، س: «الحسين ابن ابراهيم بن رياح» وورد فى الأصول المخطوطة كما أثبتناه. (٣) يقال حفه القوم وبه وحواليه اذا أحدقوا به وأطافوا وعكفوا، فلعله يريد هنا حتى أحدقت به مضيقا عليه بالجواب. (٤) كذا فى الطبرى (ق ٣ ص ١٣٧٩، ١٤٠٧، ١٥١٤) وفى الأصول: «الجرجانى» وهو تحريف.

انتبهتُ يومًا مُغَلِّسًا، فدخل إلىّ الغلامُ فقال لى : إسحاق الموصلىّ بالباب قبل أن أصلّى الغداةَ . فقلت : يدخل، فى الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل فقال : حملنى الشوقُ اليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور، وقد حملتُ معى نبيذى وعملتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحبًا بك وأهلًا . ودعوت طبّاخى فسألته عمّا فى المطبخ، فذكر أشياء يَسيرةً، منها قطعةُ جَدْىٍ وطَبَاهِجُ(١) ودُرّاجٌ معلّق . فقال : ما أُريد غيرَ ذلك، هاته الساعةَ . فقلت للطبّاخ : عَجِّلْ بإحضاره، وعملتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ فى شأننا . فدخل حاجبى فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم(٢) بالباب، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجّه به الى محمد بن الفضل ليُحْضِرَه . قال فقال لى إسحاق : قم فى حفظ الله واجتهد فى أن تتعجّل . قال: فتقدّمت الى الخادم بإخراج الجوارى اليه ووَضْعِ النَّبيذ بين يديه، ولبِستُ ثيابى وخرجت وركبتُ . فلمّا سِرتُ قليلا قلت فى نفسى : أنا أخْسَرُ النّاس صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ فى منزلى ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبىّ، ولا أدرى ما يُريد منّى . فقلت لفُرانِقٍ : هل لك فى خير؟ قال : وما هو؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهما وتمضى فتقول : إنك وجدتنى شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعتُ اليه ثلاثين درهما، وختمتُ له خَتْمًا ورجعت . فقال لى إسحاق : أسرعتَ الكَرّةَ، فأخبرته بما صنعتُ، فقال وُفِّقتَ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا فى شأننا . وخرج الجوارى الينا فغنّين حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهدىّ فى شعره وهو :

جَدَّدَ الحبُّ بَلَايَا * أمرُها ليس يسيرا

---

(١) الطباهج : الكباب . (فارسى معرب) . والدراج : ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد فى أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من أرباب المكانة العالية فى الرواية والأدب ونقد الغناء . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٣١) .

— ولحنه من الثقيل الثانى — قال : فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طرب مثله قط، وعجب من إحسانه فى صنعته وجودة قسمته، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغنى غيره حتى شرب إسحاق قطر ميزه(١)، وفيه من المشمس(٢) الذى كان يشربه ثلاثة عشر رطلا، وكلما حضرت صلاة قام إسحاق يصلى بنا، فصلى بنا العتمة وقد فنى قطر ميزه فشرب من نبيذى رطلين على الصوت، قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسوق الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدى . وقد وزر محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

٧٠/٩

جدد الحب بلايا * أمرها ليس يسيرا
كبر الحب وقدما * كان إذ حل صغيرا
ذلل(٣) الحب رقاباً * كان أدناها عسيرا
ليس لى من حب إلفى * غير حرمانى السرورا

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدى ثانى ثقيل .

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعرا

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى محمد بن موسى بن حماد قال حدثنى عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال :

استتر إبراهيم بن المهدى عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت لها : إن أرادك لشىء فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توفيه حقه فى الخدمة والإعظام ولا تعلمه بما قالت لها، فجل مقدارها فى نفسه الى أن قبل يوما يدها، فقبلت الأرض بين يديه . فقال :

يا غزالا لى إليه * شافع من مقلتيه

(١) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج، فارسى معرب . (٢) كذا فى جـ ولعله يعنى به نبيذا من الأنبذة صنع فى الشمس . وفى أ، م : « المشمشى » . وفى ب، س : « المشمش » .
(٣) فى أ، م : « ملك » .

والذى أجللتُ خَدَّ * يْه فقبّلتُ يَــدَيْهِ
بأبى وجهُك ما أكـ * ـثر حُسّادى عليــهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضّـ * ـيف إحسانٌ إليــهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحنًا فى طريقة الهَزَج .

غنى للمأمون بشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غَنَّى إبراهيم بن المهدىّ يوما والمأمون مُصْطَبِحٌ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منِّى * هَوَى الدهرُ بى عنها وولّى بها عنّى

فــرَقّ له المأمون لمّـا سمعه، وقال له : والله لا تذهب نفسُــك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فَطِبْ نفسًا ؛ فإنّ الله قد أمّنك إلّا أن تُحْدِث حَدَثًا يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألّا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نســبة هــذا الصــوت

صـــــوت

ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّى * هوى الدّهرُ بى عنها وولّى بها عَنّى
فإن أَبْكِ نفسى أَبْكِ نفسًا نفيسةً * وإن أَحْتَسِبْها أَحْتَسِبها على ضَــنّ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهدىّ ثانى ثقيل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم ابن المهدىّ لمّـا أخرج الجُنْدُ عيسى[(١)] بن محمد ابن أخى خالد من الحبس، وله فى ذلك خبر طويل ، وقــد شَرَطْنا ألّا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء .

وفى هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القوّاد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهدى فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعته ثم غضب عليــه وأمر بضربه وحبســه لخيانة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطــبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ — ١٠٣٤) .

وأَفْلَتَنِي عيسى وكانت خديعةً * حَلَلْت بها مُلْكِي وفُلَّتْ بها سِنِّى

قال ٱبن أبى طاهر وحدّثنى أبو بكر بن الخصيب قال حدّثنى محمد بن إبراهيم قال: غنّى إبراهيم بن المهدىّ يومًا عند المأمون فأحسن، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكْنَى أبا زيد، فطرِب حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبّله. فنظر إليه المأمون مُنْكِرًا لفعله. فقال ما تنظر! أُقَبِّلُهُ والله ولو قُتِلتُ عليه! فتبسّم المأمون وقال: أبيْتَ إلّا ظَرْفًا.

١١/٩

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به

قال ٱبن أبى طاهر وحدّثنى علىّ بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول: اجتمع إبراهيم بن المهدىّ والحسن بن سَهْل عند المأمون؛ فأراد الحسنُ أن يَضَع[(1)] من إبراهيم فقال له: يا أبا إسحاق أىّ صوت تغنّيه العرب أحسنُ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّر إبراهيمَ بالغناء والعلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعشى:

* تَسْمَع للحَلْي وَسْواسًا اذا ٱنصرفتْ *

أى إنك مُوَسْوِس، وكان بالحَسَنِ شيءٌ من هذا.

غنت مغنية بحضرته فداعبها

أخبرنى عمّى عن جدّى عن علىّ بن يحيى المنجِّم قال: غنّت مُغَنِّية وإبراهيم بن المهدىّ حاضر:

* مَنْ رأى نُوقًا غدَتْ سَحَرا *

فقال إبراهيم: أنا رأيتُ هذا. قيل له: وأين رأيتَه أيها الأمير؟ قال: رأيتُ ولد علىّ بن رَيْطة يَمْضون فى السَّحَر الى الصيد.

سمعته رومية أعجمية فبكت تأثرا من صوته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال حدّثنى بعضُ الكتّاب عن رَيِّق قالت:

---

(1) فى ب، س: «يسمع» وهو تحريف.

خرجتُ يوما الى سيّدى (تعنى إبراهيم بن المهدىّ) وقد صنع لحنه فى :

و إذا تُباع كريمةٌ أو تُشْتَرى * فسواكَ بائعُها وأنت المُشْتَرِى
و إذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها * بيــدين ليس نَدَاهمــا بُمكَدَّرِ

وجاريةٌ لنا روميّــة أعجميّة لا تُفْصِح فى أقصى الدار تكنُس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجميّة تبكى أحرَّ بكاء سمعتُه قطّ ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر اليها حتى سكَتَ، فلما سكت قطَعتِ البكاء، فعلمتُ أنّ هذا من غَلَبته بحسن صوته لكّل طبعٍ فصيحٍ وأعْجِمِىٍّ .

غنى الأمين صوتا فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى وابن المكّىّ وابن أبى الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّى إبراهيم بن المهدىّ ليلةً محمّدا الأمين صوتًا لم أَرْضَه فى شعر لأبى نُوَاس وهو:

يا كثيرَ النَّوْح فى الدِّمَنِ * لا عليها بل على السَّكَنِ
سُــنّةُ العُشّاق واحدةٌ * فإذا أحببتَ فاستكِنِ
ظَنّ بى من قد كَلِفتُ به * فهو يجفونى على الظِّنَنِ
رَشأٌ لــولا ملاحتُــه * خَلَتِ الدُّنيا من الفِـتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم(١) . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتَنى الى هذه الغاية بعشرين ألف درهم(٢)، فقال : هل هى إلا خراج بعض الكُوَر! . هكذا ذكر إسحاق . وقد رَوى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال : لمّــا أردتُ الأنصراف قال : أَوْقِروا زورق عمّى دنانيرَ، فانصرفتُ بمال جليل .

كان يحسن الايقاع على الطبل والناى

أخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون قال ذكر لى أبو عبد الله الهِشامىّ عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدىّ - وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به - فقال إبراهيم :

(١) فى ب ، س : «دينار» . (٢) فى ب ، س : «بعشرين ألف ألف درهم هل هى الخ» .

هو من الآلات التى لا يجوز أن تُبْلَغ نهايتُها. فقيل له : وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك؟ فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدّ من أن يَلْحَق اليسارَ فيه نَقْصٌ عن اليمين، ودعا بالطَّبل ليُرِيَنا كيف ذلك فأوْقَع إيقاعًا لم نكن نظنّ أن مثلَه يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين فى بعض خَلَواته : ياعمّ أشتهى أن أراك تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين، ما وضعتُ على فمى نايًا قطّ ولا أَضَعُه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدىّ — حتى تَنْفُخ فى النّاى وأُمِرّ يدى عليه . فأُحْضِرتْ و وضَعَت النّاى على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مَرّ الهواء أَمَرّ أصابعَه ، فأجمع سائرُ من حضر على أنه لم يَسمع مثلَه قطّ . ٧٢/٩

حسن ترجيعه فى لحن

وأخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون أيضا قال حدّثنى أبى قال، حدّثنى عبيد الله ابن عبد الله وأبو عبد الله الهِشامىّ قالا :

كان إبراهيم بن المهدىّ إذا غنّى لحنه :

هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها * بأكفِّكم أو تَسْتُرون هلالَها

فبلغ الى قوله :

* جبريلُ بلّغها النبىَّ فقالَها *

هَزّ حَلْقه فيه ورجّعه ترجيعًا تتزلزل منه الأرضُ .

غنت متيم الهشامية لحنا فاختلس إيقاعه منها

أخبرنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى الهِشامىّ قال :

كانت متيّم الهشاميّة ذات يوم جالسة بين يدى المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدىّ حاضرٌ، فتغنّت متيّم فى الثقيل الأوّل :

* لزينبَ طيفٌ تَعْترينى طوارقُه *

فأشار اليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت متيّم للمعتصم : يا سيّدى إن ابراهيم يستعيدنى الصوتَ وأظنّه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرًا بمجلس المعتصم وكانت متيّمُ غائبةً عنه ، فانصرف ابراهيم بالليل إلى منزله ومتيّم فى منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهى فى مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهى تَطْرَح هذا الصوتَ على بعض جَوارى بنى هاشم ، فتقدّم الى المَنْظرة على دابّته وتطاوَل حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بمِقْرَعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِك .

نسبة هذا الصوت

لزينبَ طيفٌ تَعْتَرِينى طوارِقُهْ * هُدُوءًا اذا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ(١) لواحِقُهْ
سَيُبْكيك مِرْنانُ(٢) العَشِىّ يُجيبُه * لطيفُ بَنانِ الكفّ دُرْمٌ(٣) مَرافقُه
إذا ما بِساطُ اللَّهْوِ مُدّ وقُرِّبت * للذّاته أنْماطُه ونَمارِقُه(٤)

الشعر للنُّمَيْرىّ . والغناء لمعبد ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأول بالبنصر فى مجراها عن إسحاق . وفيه لمالك خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس والهشامىّ .

أخبرنى علىّ بن هارون قال حدّثنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء

كان محمد بن موسى المُنَجِّم يقول : حكَمْتُ أنّ إبراهيم بن المهدىّ أحسنُ الناس كلّهم غناءً ببرهان ، وذلك أنّى كنتُ أَراه بمجالس الخلفاء مثلِ المأمون والمعتصم يغنّى المغنون ويغنّى ، فإذا ابتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغلمان والمُتَصرِّفين فى الخِدْمة وأصحاب الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلّا تَرَك ما فى يده وقَرُب من أقرب موضع يمكنه أن يَسْمَعَه ، فلا يزال مُصْغِيًا إليه لاهيًا عمّا كان فيه ما دام يُغَنِّى ، حتى إذا أمسك وتَغَنَّى غيرُه رجَعوا الى التّشاغُل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا الى ما يسمعون .

(١) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، ويقال : سحابة مرنان وقوس مرنان ، أى كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه . (٤) نسب هذا البيت فى الكامل للمبرد ص ٧٠٨ طبع أوروبا لنصيب .

ولا برهانَ أقوى من هــذا فى مثل هــذا من شهادة الفِطَن له واتِّفاق الطَّبائع — مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقِها — على الميل إليه والانقياد له .

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها

٧٣ / ٩

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال: قلتُ للمعتصم : كانت لأبى أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . فقال : وما هى؟ قلت : شارية وزامِرَتُها مَعْمَعَةُ . فقال : أمّا شارية فعندنا ، فما فعلت الزّامرة؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقِيَتُه مَكْنونة ، ولم يُرَ أحسنُ وجهًا ولا ألْيَنُ ولا أظرفُ منها . قال : فما فَعَلَتْ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا؟ قلت : نخلةٌ كانت تحمِل رُطَبًا طولُ الرُّطَبةِ منها شبر . قال : فما فعلت؟ قلت : جَمَّرتُها[1] بعد وفاته . قال : وماذا؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضَاح . قال : وما فعــل ؟ قلت : الساعةَ واللهِ حَجَمنى فيــه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبَه لى ففعل ، ووجّهتُ به إلى منزلى فغُسِــلَ ونُظِّفَ وأُعِيد الى خِزانتى ، فرأيتُ أبى فيما يَرى النائمُ فى ليلتى تلك وهو يقول لى :

أيُتْرَعُ ضُحْضَاحِى دمًا بعد ما غَدَتْ * علىّ به مكنونةٌ مُــتْرَعًا خمــرا
فإن كنتَ منّى أو تحبّ مَسَرَّتى * فلا تُغْفِلَنْ قبــلَ الصَّباح له كَسْرا

فٱنتبهتُ فزِعاً وما فَرَقَ[2] الصبحُ حتى كسرتُه .

كتب اليه اسحاق الموصلى فأجابه

فأمّا المُمَــاظَّة[3] التى كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى فى خبر إسحاق منها طَرَفٌ . ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسنِ إبراهيم والقيامِ بحجّته إن كانت له ، وعذره[4] فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتابٍ أعطانيه أبو الفضل العبّاس بن أحمد بن ثَوَابة رحمه الله بخطّ إسحاق فى قِرْطاس — وأنا أعرف خطّه — وجوابٍ لإبراهيم بن المهدىّ فى ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنّه خطّه ؛ لأنه لو كان خطّ

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٤) فى الأصول : « وعذر » من غير هاء الضمير .

كاتبٍ[(١)] لكان أجود من ذلك الخطّ ، وقد ذهب أوّلُ الكتاب فذهب منه أوّلُ الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيّتَه ؛ فكان ما وجدتُه من ٱبتداء إسحاق :

وكنتَ — جُعِلتُ فداءك — كتبتَ فى كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك مولاى وسيدى[(٢)] . فمتى دفعتُ ذلك ! وهل لى فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ علىّ وعلى أبى رحمه الله من قبلى نعمةٌ سواكم ! . وأُحبُّ[(٣)] ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يبتَلِينى الله بذلك إن شاء الله . فأمّا ذِكْرُك — جُعِلْتُ فداءك — الصناعةَ فقد أجلّ الله قدرَك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأمّا أنا المسكينَ فأنت تعلم أنى لم أتّخذ ما نحن فيه صناعةً قطّ ، وأنى لم أُرِدْها إلّا لكم شكرًا لنعمتكم وحبًّا للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغى أن يَعيبنى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحدٍ أن يعيبنى به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعنى من عَلّويه ومُخارِق بحيث وضَعْتَنى إلّا لغضبٍ أحْوجَك إلى ذلك ، وإلّا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لى لآثرتُ تعجيلَ الرّاحة منهما بعتقهما أو تخليةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حمدٍ أكتسبه بثمنهما ، فكيف أظنّ أنى عندك مثلُهما ، أو أنك تَقْرِنُنى[(٤)] إليهما وتذكرنى معهما ! . أوَ تلومنى الآن على أن أَخْرَس فلا أنطق بحرف ، وأن أفِرَّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه ، وأمتعضَ منه ٱمتعاضَك ممن يُخفى عليك شيئًا من علومه ! . كيف تَرى — جُعِلْتُ فداءك — الآن سِبَابى وأنت ترى أنّ أحدًا لا يُحسن السَّبَّ[(٥)] غيرُك ! . قد أحدثتَ لى — جعلتُ فداءك — أدبًا وزِدْتَنى بصيرةً فيما أُحبُّ من تركه وتركِ الكلام فيه . فإن ظننتَ أنّ هذا فِرارٌ من الحجّة وتعريدٌ[(٦)] عن المناظرة ، كما قلتَ ، فقد ظفِرت وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلّا فانه لاينبغى للحرّ أن يتلهّى بما لا تقوم لذّتُه بمَعرّته ،

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : «كتابه» . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «مولى وسيد» . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : «ولا أحب ذلك أن يكون الخ» . (٤) فى الأصول : «تقربنى» وهو تحريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَده، ولعلّه لا يقلّب العينَ فيه حتى يلحقه ما يكره ٧٤/٩ منه. وأمّا ما قاله أبى — رحمه الله — من أنه لم يزل يتمنّى أن يَرى من سادته مَنْ يعرف قَدْرَه حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعةِ الغايةَ العظمى حتى رآك، فقد صدَق، ما زال يتمنّى ذلك وما زلتُ أتمنّاه. فهل رأيت — جُعِلْتُ فداءك — حظِّي(١) منه إلّا بأن ساويتَ به(٢) من لم يكن يساوى شِسْعَه، ولعلك لا ترضى فى بعض القوم حتى تفضّله عليه، لا تنفعه عندك معرفةٌ به، ولا رعايةٌ لطول الصُّحْبة والخِدْمة، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجّ بها. ثم ها أنا من بعده تَضَعُني بالموضع الذى تضعنى به، وتَنْسُبنى الى ما تنسبنى إليه؛ لأنى توخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ فى البَذْل والمناصحة، لا يدفعك عنّى حِفْظٌ لسَلَفٍ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ، ولا استدامةٌ لقديمٍ ما نعلم، ولا مصانعةٌ لما تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله(٣). فما أرى — جُعِلْتُ فداءك — من معرفتك بما فى أيدينا إلّا تجرُّعَ الحَسَرات، وتَطَلُّبَكَ لنا العَثَرات، واللهُ المستعان. كيف أصنع جُعِلْتُ فداءك! إن سكتُّ لم تقبل ذلك منى، وإن صَدَقتُ كذَّبتنى، وإن كَذَبتُ ظفِرتَ بى، وإن مَزَحتُ لأُطرِبك وأُضحكك وأَقْرُبَ من أُنْسك وآخُذَ بنصيبى من كرمك غضِبتَ وسَبَبتَ، ولو كنتُ قريباً منك لضَرَبْتَ! وليتك فعلتَ، فكان ذلك أيْسَرَ من غَضَبك. ثم من أعظم المصائب عندى أمرُك إيّاىَ أن أسأل محمد ابن واضح عن قولٍ قُلْتَه فىَّ عند عمرو بن بَانَة. فوالله — جُعِلْتُ فداءك — إنى لأَبْشَع(٤) بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذَكَّرَ له!. وإنى لأرثى لك من النَّظر إليه، وأَعْجَب من صبرك عليه، مع أنى — أعوذ بالله من ذلك — لو رغبتُ فى هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسى ذلك بأن أَكْسُوَه ثوبين، أو أَهَبَ له دينارين، أو أقول له أحسنت فى صوتين، حتى نبلغ أكثرَ مما أردت لى أو أريده لنفسى. فالحمدُ لله الذى جعل

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا فى ﺟ. وفى سائر الأصول: «فيه» وهو تحريف.
(٣) كذا فى الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

حظّى منك هذا! ومثلَه غيرَ مستَصْغِر لشأنك ولا مستَقِلٍّ لقليل حسن رأيك . واللهَ أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلَنى فداءك . قد طال الكتاب، وكثر العتاب . وجملة ما عنـدى من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن(١) لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التى لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة فى تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بمـا أحببتَ أن أُقرّ به، وسأُشهِد على ذلك محمـد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدّى الخـراج . ولكن لا بدّ من فائدة وإلّا آنكسر، فهات ـ جُعِلْتُ فداءك ـ وأوفِ وآستوفِ فانك واجدٌ صحةً وآستقامةً إن شاء الله . مدّ الله فى عمرك، وصبّرنى عليك، وقدّمنى قَبْلَكَ، وجعلنى من كل سوء فِداءك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

... وأيَّةُ سلامةٍ أقدِر لك عليها إلّا أسوقها إليك، أعطانى آلله ما أُحبُّ من ذلك لك . فأمّا أن أتكلّم من ورائك بشىء تستثقله متعمِّدًا، فما أنا إذًا بحُرٍّ ولا كريم، معاذَ الله من ذلك! . ولئن جمعنى وإيّاك وعليَّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك، ولم أكتب بها إليك، إجلالًا لقَدْرِ حالك عندى من آعتدادٍ بمثل ذلك منى، وأنت عنه غافل، وآلله به عليم . وأما الرِشْوة(٢) فأرجو أن تجيئك على ما تشتهى آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكرا . وأمّا الفوائدُ التى وعدتَ ورودَها علينا فإنّى لواثقٌ أنك لا تُفيدنى شيئا فأنظر فيه إلّا وجدتُنى فيه فَطِنًا أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما آستنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منـه، فأما غيرك فالهبـاءُ المنثور . ويا رأس المُشَنِّعين(٣) تقول إنى عيّرتُك بالصّناعة ثم تحتج بحِذْقك فى تحريف الأقوال وآكتساب الحجج، لتُفْحِم خَصْمَك، وتُعْـلِى حُجّتك، ٧٥ / ٩

(١) كذا فى الأصول ولعلها : « وجملة ما عندى الإعظام والإجلال اللذان الخ » .

(٢) لعل ابراهيم يشير بهذا ونحوه الى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسحاق .

(٣) كذا فى جـ وفى سائر الأصول « المغنين » .

فكيف أَعيبك بحاجتى إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكنى قلت لك : إنى لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقُل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يَسُرُّك ، أو كصاحبٍ لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأتَه، لا بالحَمِيَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحقّ بالباطل . هذا معنى قولى، وقد آستشهدتُ عليك فيه أبا جعفر، وجاءنى كتابُك وهو عندى يشهد لى. والكتابُ الذى هذا فيه يخطّى عنده[1] لم يَرُدَّه علىّ، فتَتَبَّعْ ما فيه وخُذْنى به . فلَعَمْرى لئن كنتُ قرنْتُك بمن ذكرتَ لأَعيبَك بالتشبيه لك بهم ماعِبتُ غيرَ رأيى ، ولا جهّلتُ غيرَ نفسى . ولستُ أعتذر من هذا لأنك تشهد لى بالحقّ فيه، وإنما تريد أن تَخْصِمَنِى[2] بلا حُجَّة، فيكفينى عِلْمُك بما عندى، وإلّا فأنت إذًا بى أجهلُ منّى بك . وقلتَ : «تذكرنى معهما»[3] فقد ذكَرَ اللهُ النارَ مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليسَ مع آدم ، فلم يهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكرِم فرعونُ وإبليس ، فأعفنى من المغالطة لى والتحريف لقولى، وآستمتعْ بى وأمْتِعْنى بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحدًا مستوحشًا ، ولم تَجِدْ ضيرى إن علم ما تعلم لم يَنْقُصْكَ، وإن علم أكثرَ منك لم يَشِنْك، وإن أفهمتَه كافاك ، وإن آستفهمتَه شفاك . لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك ، ولا أحسَبك ظننتَ فىّ غيرَ ذلك، لأنك لا تجهلنى فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هى لك دونى، ووالله ما كنت أبالى ألّا أسمع من مُخارق وعَلّويه شيئًا حتى أسمع بنعيهما، ولا أراهما حتى أراهما ميّتَين، وما فى هذا غيرُك والإعظامُ لك والإكرامُ. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيَّرتَهما نِدَّيْن تقول فيهما ويقولان فيك، وإنّما هما صَنيعتاكَ وخِرِّيجا

(١) فى ب ، س : «عندك لم تردّه على» . (٢) خصمه يخصمه (بكسر الصاد فى المضارع): غلبه فى الخصومة . وكسر عين الفعل فى المضارع هنا شاذ فى هذا الباب .

(٣) يريد مخارقا وعلويه ، كما سيأتى فى السياق .

تأديبك وإن كانا غيرَ طائل . فلو أعرضتَ عن ٱنتقاصهما ورفعتَ ما رفع الله من قَدْرِكَ عن الإفراط فى عيبهما ، لكان ذلك أشبهَ بك وأجملَ بمحلّك وخَطَرِكَ ومكانِك . وكذلك الذى تَرْثِى له منه وصاحبُه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك فى أدبك وفضلك ودينك ومحلّك أن تُشَهِّر نفسَك لهما بهذا ومِثْلِه ، وأن ينتهىَ إليهما ذلك عنك . أقول يعلم الله فى ذلك لا لهما (١) . وإنّ ذلك ، لو صرتَ إليه ، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك وإن كنت لَتَتَخَوَّلُهما به . ولو أردتَ ذلك ، وإن زَهِدتَ فيه ، لم تَضَعْ نفسَك ومحلَّك مع غِلْمانٍ أحداثٍ يبسُطون ألسنتَهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك ، ولو لم تفعل لكنتَ أعظمَ فى عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم . هذا رأيى لك بما هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلّك . ووالله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتُك عَشْواءَ ، فٱخترْ لنفسك ما رأيتَ . ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبدًا ولا بما قلتَه فىَّ إلا خَزِيًا حتى يموتا ، ولا أردتُ — يشهد الله — بهذا غيرَك . وأمّا مَنْ ذكرتَ أنّى أسوّيه بأبى إسحاق رحمه الله وهو لا يساوى شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ٱبنَ جامع . وأنت لا تدخل بينى وبين أبى إسحاق رضى الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حبًّا له منى ، ولا كان لك أشدّ حبًّا منه لى ، فقد تعلم كيف كان لى ، ولكن لا أظلم ٱبنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ ٧٦ / ٩
أن تُنْصِفَنى لأكلمنَّك فيه بما لا تدفعه ، ولكنّى لا أكلّمك فى شىء حتى أَثِقَ بهذه منك ، وإلَّا وَسِعنى من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذى لم أَرَ مثله والمكابرةِ التى لا يشبهها شىء ٱعتداؤُك علىَّ فى التجزئة (٢) حيث تقول :

حَيِّيَا أُمَّ يَعْمَــرَا ✽ قَبْل شَحْطٍ من النَّوى

(١) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لهما » .
(٢) فى جـ ، ب ، س : « حتى » .

يا أخى وحبيبَ نفسى فآنظرْ كم فى هذا من العيوب!! قولُك : «بِيا» ليكون مثل «شَحْطٍ» فى الوزن، أيكون مثل هذا فى الكلام! وقولك فى الجزء الثانى «حَىّ» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس فى «بِيا» المشدّدة أربع ياءات، وفى "حى" التى عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات، وإنّما هى ثلاث فى الأصل: الياء المشدّدة وياء الاثنين حيث تقول «حيبا»(١)! . والناس فى هـذا بينى وبينك بهائم، فمَنْ أَسْتعدِى عليك! ولو أنصفتَ لعلمتَ أنّه لا يمكن فى :

* حَيِّيَا أمَّ يَعْمَــرا *

غيرُ ما جزَّأتُ أنا إلّا بهـذا الغلَط الذى لا يحـول من تحريكِ ساكنٍ تجعـله اولَ الكلام فقـد زدتَ قبله حرفا ، أو تسـكينِ متحرّك فتزيد بعـده حرفا ؛ كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قَبْلَا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن السكوت على متحرّك لا يمكن. فأيّةُ حُجّةٍ هذه! أوْ مَنْ يصبر لك على هذا! وإنمـا أردتُ أنا ما يجوز بجَنْئى بتجزئةٍ واحدةٍ، لا أريد غيرَ ذلك منك. مالَك يا أخى تَنْفَس علىَّ الصوابَ فيما لا نَقيصةَ عليك فيه ولا عيب، ثم آتخذتَ تَجَنِّى تَحَدّى إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمدا عن(٢) قولى فيك بظهر الغيب، ذنبًـا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأنى أعلمتُك أن أحدًا تنقَّصَك فحَميتَ لذلك، ولم يكن غيرُ الردّ عليه . والله ما مثلى يَمُنّ بهذا، ولكنّى كنتُ إذا تحـدّثتُ مع محمد خاليًـا كلَّمتُه بمثل ما أكلِّمك به من الردّ والجدَل، فلما كان عندنا مَنْ يُحْتَشَم كان كلامى بمـا يجب(٣) أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لى : أىُّ شىء هذا الذى أرى؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأُنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنّى لا أريد بمـا أنازعك فيه شيئًا يَزِيغ عما تعرف منى، وأنى أذكُرك

(١) فى جـ، ب، س : «حتى» . (٢) فى الأصول : «من» . (٣) فى الأصول : «يحب» .

بمـا يُشبهك فى موضعه . فلو ٱتّقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لَمَا كنتَ تحرِّف هذا بشىء، وهو جميل أرضاه من نفسى، فتصيِّره قبيحًا تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخَراج والإشهاد، فهذا شىء لم أطلبه منك، إنمـا أنت طلبتَه منّى ظالمًا لى . وذلك لأنى لم أنازعك إلّا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فَحْصه وثاقبَ نظره .

وأمّا الرِّياسـةُ فقد جعلها الله لك على أهل هـذا العمل، ولا رياسة لى عليهم ولا لك علىّ؛ لأنى فى العلم مناظر وفى العمل متلذّذ . فلا تظلمنى ولا نفسَك لى .

ومن بعدُ فإنى أُحِبُّ أن تخبرنى كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتنى، لا غمَّك الله ولا غمَّنى بك . ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخى عُبيـد الله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عليم، وهو منـك قريب فى دار الرُّوم، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهَب الله لك العافيةَ ووهَبها لى فيك برحمته .

وإنّمـا ذكرتُ هـذا الابتداءَ وجوابَه على طولها، وهما قليـلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طَرَفًا من مقدارهما فى المنازعة والمجادلة، وأن إسحـاق كان يريد من إبراهيم التّواضُعَ له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليـه فى بعض الأوقات، 77/9 ويحو إبراهيم نحوَ ما فعله به؛ لأنّ نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما ٱستعمله، ويكونان فى طَرَفَيْن من الظُّلم يُبْعِدُ كلّ واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخبارًا فيما جرى بينهما — فوجدتُ كلامَهما مرصوفًا رَصْفَ إبراهيم بن المهدىّ ومنظومًا نَظْمَ مَنْطِقه — فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ، وحكاياتٌ يَنْسُبُ مَنْ نَقَلَها إلى جهلٍ بصناعته كان إسحاق بعيدًا من مثـله، فعلمتُ أن إبراهيم عمـل ذلك وألّفـه وأمرَ يوسفَ بنشره فى الناس ليدور فى أيديهم ذكرٌ له يفضُل به . وذلك بعيدٌ وقوعُه، ولن تُدْفَع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزِيل

الخطأُ الصوابَ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَنْ نضَح عن إسحاق بأن أغانى إبراهيم ابن المهدىّ لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُروَى منها إلّا اليسير، وأنّ كلامَه فى تجنيس الطرائق اُطّرِح، وعُمِل على مذهب إسحاق، وٱنقضى الصُّنْعُ لإبراهيم بذلك مع ٱنقضاء مدّته، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدَلْتُ عن ذكر تلك الأخبار، لا لأنّها لم تَقَعْ إلىّ، ولكنّها أخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق، وتتضمّن من السبِّ لإسحاق والشتمِ والتجهيلِ ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل[1] ، فٱستبردتُ ذلك وٱطّرَحْتُه، وٱعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مَجْرَى هذا الكتاب من خبرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجرى مَجْرَى التحامل؛ فقد مضى فى صدر الكتاب من أخبارهما و إغْضَاضِ إسحاق إيّاه بريقه وتجريعه أَمَرَّ من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره .



وممّن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنتُ المهدىّ، ولا أعلم أحدًا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدّمها . وكان يقال : ما ٱجتمع فى الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدىّ وعُلَيَّةَ أختِه . وأخبارُها تُذكر بعد هذا تاليةً لما أذكُره من غِنائها . فمن صنعتها :

صــــوت

تضحك عمّا لو سَقَتْ منه شَفَا * من أُقحوانٍ بَلَّهُ قَطْرُ النَّـدَى
أغَرَّ يجلو عن غِشَا العين العَشَا * حُـــلْوٍ بعَيْنَىْ كلِّ كَهْلٍ وفتَى
إنَّ فـــؤادى لا تسـلّيه الرُّقَى * لو كان عنهـا صاحيًا لقد صَحَا

الشعرُ لأبى النَّجْم العِجْلىّ . والغِناءُ لعُلَيَّةَ بنتِ المهدىّ رَمَلٌ بالوُسْطَى .

---

(١) فى هذه الجملة غموض . ولعلها تصح على هذا الوجه « ... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل » أو نحو ذلك .

أخبـار أبى النَّجْم ونسبُه

أصله ونسبه، وهو فى الطبقة الأولى من الرجاز

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : اسمه المُفَضَّل ، وقال ٱبن الأعرابىّ : ٱسمه الفضل ابن قُدَامة بن عُبَيد الله بن عبـد الله بن الحارث بن عَبدة بن الحارث بن إليـاس ابن عَوْف بن رَبيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجْلِ بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلةَ بن أَسَـد بن رَبيعـة ابن نِزار . وهو من رُجّاز الإسلام الفُحُول المقدَّمين وفى الطبقة الأولى منهم .

هو أبلغ فى النعت من العجاج

أخبرنى أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحِىّ إجازةً عن محمد بن سَلّام وذكر ذلك الأصمعىّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العَلَاء :

كان أبو النَّجْم أبلغَ فى النَّعْت من العَجّاج .

انتصف مع الرجاز من الشعراء

٧٨ / ٩

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدثنى الفَضْل ابن العبّاس الهاشمىّ عن أبى عُبَيدة قال :

ما زالت الشعراء تَغْلِبُ(١) حتى قال أبو النَّجم :

* الحمـد لله الوَهُـوبِ المُجْـزِلِ *

وقال العَجّاج :

* قـد جـبرَ الدينَ الإلهُ فجَـبَرْ *

وقال رُؤْبة :

* وقاتِم الأعماق خاوِى المُخْـتَرَقْ(٢) *

فٱنتصفوا منهم .

(١) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « تقصر بالرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : المر .

أعظمه رؤبة وقام له عن مكانه

«وجدتُ فى أخبار أبى النَّجْم عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ قال :

قال له فتيانٌ من عِجْل : هذا رؤبةُ بالمِرْبَد (١) يجلس فيُسمِع شعرَه ويُنْشِد الناسَ ويجتمع إليه فتيان من بنى تَميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوَتُحِبُّون هذا ؟ قالوا نعم . قال : فأْتونى بعُسٍّ (٢) من نبيذ فأتَوْه به ، فشَرِبه ثم نَهَض وقال :

إذا اصطبحتُ أربعًا عرَفْتَنى * ثم تجشمتُ الذى جشَّمتنى

فلما رآه رؤبة أعْظَمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّاز العرب - وسألوه أن يُنْشِدهم فأنشدهم :

* الحمد لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

وكان إذا أَنْشد أَزْبد ووَحَش بثيابه (أى رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشادًا . فلما فرَغ منها قال رؤبة : هذه أُمّ الرَّجَز. ثم قال : يا أبا النَّجْم ، قد قرّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وآبنه . يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال :

تبَقَّلَتْ (٣) من أوّل التَّبَقُّلِ * بين رِمَاحَىْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهْشَل بن مالك بن حَنْظَلة بن زيد مَنَاةَ بن تَميم . فقال له أبو النَّجْم : هيهاتَ ! الكَمَرُ (٤) تَشَابَهُ . أى إنى إنما أريد مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة بن عُكَابة ابن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمَّان (٥)

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) تبقلت : خرجت لطلب البقل . (٤) الكمر : جمع كمرة ، وهى رأس الذكر . يريد أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلا ، ولفظه «الكمر أشباه الكمر» . (٥) الصمان : أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخصبت ربعت العرب جميعا . وكانت الصمان فى قديم الدهر لبنى حنظلة ، والحزن لبنى يربوع ، والدهناء لجماعتهم ، والصمان متاخم للدهناء . والعرض : الوادى .

وعَرْض الدَّهْناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعنى بنى مالك ونهشل) أنّ دماءً كانت بين بنى دَارِم وبنى نَهْشَل وحروبًا فى بلادهم، فتحامَى جميعُهم الرَّعْىَ فيما بين فَلْجٍ[1] والصَّمّان مخافةَ أن يُعَرُّوا[2] بشرٍّ حتى عفا[3] كَلَؤه وطال ، فذكر أنّ بنى عِجْل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فَرَعَتْه ولم تَخَفْ من هذين الحَيَّيْنِ، ففخَر به أبو النَّجْم . قال : ويدُلّ على ذلك قول الفرزدق :

أَتَرْتَعِ بالأحياء سعدُ بن مالكٍ * وقد قتلوا مَثْنَى بِظِنَّةِ[4] واحد

فلم يَبْقَ بين الحىّ سعدِ بن مالكٍ * ولا نَهْشَلٍ إلا دماءُ الأساود[5]

ترتيب الرجاز فى رأى بعض الرواة

وقال الأصمعىّ : قيل لبعض رُواة العرب : مَنْ أرْجَزُ النّاس؟ قال : بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلبَ ثم العجّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة) .

كان يتسرع الى رؤبة فيكفه عنه المسمعى

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ :

كان رؤبةُ وأبو النَّجْم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النَّجْم يتسرّع الى رؤبةَ حتى أكفَّه عنه .

ناجز العجاج حتى هرب منه

ونسختُ من كتاب أبى عمرو الشَّيْبانىّ قال حدّثنى بعض البَصْريّين منهم أبو بَرْزَة المَرْثَدىّ — قال وكان عالمًا راويةً — قال :

خرج العَجّاج متحفِّلًا[6] عليه جُبّةُ خَزٍّ وعمامةُ خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحْلَها حتى وقف بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون، فأنشدهم قولَه :

* قد جبرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرْ *

(١) فلج : علم على عدّة مواضع . (٢) يعروا : يصابوا . وفى الأصول : «يغروا» بالغين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عفا : كثر . (٤) الظنة : التهمة .
(٥) الأساود : شخوص القتلى، وهو جمع الجمع للسواد؛ ومنه قول الأعشى :
تناهيتم عنا وقد كان فيكم * أساود صرعى لم يسوّد قتيلها
(٦) متحفلا : متزينا .

فذكر فيهـا رَبيعةَ وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبى النَّجْم وهو فى بيتـه فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا بالمِرْبَد قد ٱجتمع عليه الناس ! ! قال : صِفْ لى حالَه و زِيَّه الذى هو فيه ، فوصَف له . فقال : ٱبْغِنِى جَمَلًا طَحَّانًا قد أُكْثِر عليه من الهِنَاء[1] ، فجاء بالجمل إليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيهـا وٱتَّزَرَ بالأخرى وركب الجمـل ودفع خِطَامَه الى مَنْ يقوده ، فٱنطلق حتى أتى المِرْبَدَ . ٧٩/٩ فلمّا دنا من العَجّاج قال : ٱخلَعْ خِطَامَه فخلَعه ، وأنشد :

* تذَكَّرَ القلبُ وجَهْلًا مّا ذَكَرْ *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها و يتباعد عنه العَجّاج لئلا يُفسِـد ثيابَه ورَحْلَه بالقَطِران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانُه أُنثى وشيطانى ذَكَرْ *

تعلّق الناسُ هذا البيتَ وهرَب العَجّاجُ عنه .

غلب الشـعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليان ابن عبـد الملك وظفر منه بجارية

ونسختُ من كتاب أبى عمرو قال حدّثنى أبو الأزهر ٱبن بنت أبى النَّجْم عن أبى النجم أنّه كان عند عبد الملك بن مروان ــ و يقال عند سليان بن عبد الملك ــ يومًا وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النّجم فيهم والفرزدقُ ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليانَ أو عبـدِ الملك تَذُبّ عنه ، فقال : من صبحنى بقصيدة يفتخر فيها وصدَق فى نخره فله هذه الجاريةُ . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النَّجْم يَغْلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز) ، قال : فإنى لا أقول إلّا قصيدةً . فقال من ليلته قصيدتَه التى نخَـر فيهـا وهى :

* عَلِقَ الهوى بحبائل الشَّعْثَاء *

---

(١) الهناء : القطران .

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراءُ فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله :

مِنّا الذى رَبع الجيوشَ لظهره (١) * عشرون وهو يُعَـدّ فى الأَحياء

فقال له عبد الملك : قِفْ، إن كنتَ صدَقْتَ فى هـذا البيت فلا نُريد ما وراءه. فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن وَلَد وَلَده أربعة كلُّهم قد رَبَع. فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَد وَلَدِه هم وَلَدُه، ادفع إليه الجاريةَ يا غلام . قال : فغلَبهم يومئذ .

قال : و بلغنى من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة، ودفَع اليه الجارية، فقدِم بها الباديةَ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها.

وصف جارية لخالد بن عبد الله القسرى لساعته فوهبها له

وقال أبو عمرو :

بعث الجُنَيْدُ بن عبـد الرحمن المُـرِّىّ إلى خالد بن عبـد الله القَسْرىّ بسَبْيٍ من الهند بِيضٍ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرّجل من قريش ومن وجوه الناس، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهنّ جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابُ أَرْضِها فُوطتان. فقـال لأبى النَّجْم : هـل عندك فيهـا شىءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم أصلَحك الله! فقـال العُرْيان بن الهَيْثم النَّخَعِىّ : كذَب والله ما يقـدِر على ذلك. فقال أبو النَّجْم :

عَلِقتُ خَوْدًا من بنات الزُّطِّ (٢) * ذاتَ جَهازٍ (٣) مُضْـغَطٍ مُلَطِّ (٤)
رَابِى المَجَسِّ جَيِّـدِ المَحَطِّ * كأنّما قُـطّ على مِقَـطّ
إذا بدا منهـا الذِى تُغَطِّى * كأنّ تحت ثوبهـا المُنْعَطِّ (٥)

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظ الرئيس عنـد الغلبة، واسم هذا النصيب المرباع . (٢) الزط : جيل أسود من السند . (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة .
(٤) ملط : مستور، من ألط الشيء اذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشق .

شَـطًّا[١] رميتَ فوقه بشَـطّ * لم يَـنْزُ فى البطن ولم يَنْحَطّ
فيه شِـفاءٌ من أذى التَّمَطِّى * كهَامةِ الشيخِ اليَمانى الثَّطّ[٢]

وأَوْمأ بيده الى هامة العُريان بن الهَيْثَم . فضحك خالد وقال للعُرْيان : كيف ترى! أَحْتاجَ إلى أن يُرَوِّىَ[٣] فيها يا عُرْيان؟! قال : لا والله! ولكنّه ملعون ٱبن ملعون :

وقال أبو عمرو فى هذه الرواية وأخبرنى به علىّ بن سليمان الأَخْفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المُبَرّد قال حدّثنى محمد بن المُغيرة[٤] بن محمد عن الزُّبَير بن بكّار عن فُلَيْح ابن إسماعيل بن جعفر بن أبى كَثِير قال :

غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضى عنه

٨٠/٩ ورد أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لى إبلًا فقَطِّروها[٥] وأَوْرِدوها وأَصْدِروها حتى كأنّى أنظر اليها . فأنشدوه وأنشده أبو النَّجْم :

* الحمـدُ لله الوَهُوبِ المُجْـزِلِ *

حتى بلغ الى ذكر الشمس فقال «وهى على الأُفْق كعين...» وأراد أن يقول «الأَحولِ» ثم ذكر حَوْلةَ هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأُرْتِج عليـه . فقال هشام : أَجِزِ البيت . فقال « كعين الأحول » وأتمّ القصيدةَ . فأمر هشام فُوجِئَ[٦] عُنُقُـه وأُخْرِج من الرُّصَافة ، وقال لصاحب شُرْطته : يا رَبِيع إيّاك وأن أرى هذا! . فكلّم وجوهُ الناس صاحبَ الشُّرْطة أن يُقِرّه ففعل ، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس و يأوى الى المساجد . وقال الزُّبير فى خبره قال أبو النّجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصَافة يُضيف إلّا سُلَيم بن كَيْسان الكلبىّ وعمرو بن بِسْـطام التَّغْلَبىّ ، فكنتُ آتى سُلَيمًا فأتغدّى عنـده ، وآتى عمرا فأتعشّى عنده ، وآتى المسجد فأَبِيتُ فيه . قال : فاْهتمّ هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفْس

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الثط : الخفيف اللحية . (٣) يروى : يتروى و يفكر .
(٤) فى أ ، م : « المغيرة بن محمد » . (٥) قطر الابل : قرب بعضها من بعض على نسق .
(٦) فى ب ، س : « بوجء عنقه وإخراجه » . يقال وجأه باليد وبالسكين اذا ضربه .

وأراد محدِّثا يحدِّثه، فقال لخادم له: ابْغِنِي مُحَدِّثًا أعرابيًّا أهوجَ شاعرًا يَرْوِى الشعر. فخرج الخادم الى المسجد فإذا هو بأبى النَّجْم، فضرَبه برجله وقال له: قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين. قال: إنّى رجل أعرابىّ غريب. قال: إيّاكَ أَبْغِى، فهل تَرْوِى الشعر؟ قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلَق البابَ، قال: فأيْقَن بالشرّ، ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر(١). فلما دخل قال له هشام: أبو النَّجْم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك. قال: ٱجلس. فسأله وقال له: أين كنتَ تأْوِى ومن كان يُنْزِلك؟ فأخبَره الخبرَ. قال: وكيف ٱجتمعا لك؟ قال: كنتُ أتغدّى عند هذا وأتعشّى عند هذا. قال: وأين كنتَ تبيت؟ قال: فى المسجد حيث وجدنى رسولك. قال: وما لَكَ من الولَد والمـال؟ قال: أمّا المـالُ فلا مالَ لى، وأمّا الوَلَدُ فلى ثلاثُ بناتٍ وبُنَىٌّ يقال له شَيْبان. فقال: هل زَوَّجْتَ(٢) من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوّجتُ ٱثنتين، وبَقِيَتْ واحدة تَجْمِزُ(٣) فى أبياتنا كأنّها نعامة. قال: وما وصَّيْتَ به الأُولَى؟ — وكانت تسمّى «بَرَّةَ» بالراء — فقال:

أَوْصَيتُ من بَرَّةَ قلبًـا حُرًّا * بالكلب خيرًا والحَمَـاةِ شَرًّا
لا تَسْأَمِى ضَرْبًا لهـا وجَرًّا * حتى تَرَى حلوَ الحيـاة مُرًّا
وإن كسَـتْكِ ذهبًـا ودُرًّا * والحىَّ عُمِّيهِـم بشرٍّ طُـرًّا

فضحك هشام وقال: فما قلتَ للأُخرى؟ قال قلت:

سُبِّى الحَمَـاةَ وٱبْهَتِى(٤) عليهـا * وإن دَنَتْ فٱزْدَلِفِى إليهـا
وأَوْجِعى بالفِهْـر(٥) ركبَتَيْهـا * ومِرْفَقَيْها وٱضْرِبى جَنْبَيْهـا

---

(١) زهر السراج: تلألأ. (٢) فى حـ، ب، س: «أخرجت». (٣) جمز: عدا وأسرع. (٤) بهته: قذفه بالباطل. وهى هنا على تضمين ابهتى معنى افترى عليها فتتعدى بعلى.
(٥) الفهر: الحجر يملأ الكف.

وظاهِرى النُّـذْرَ لها عليها * لا تُخْبِرى الدَّهرَ به ٱبنتَيْهـا

قال : فضَحِك هشام حتى بدَتْ نواجِذُه وسقط على قَفاه . فقال : وَيْحَك ! ما هذه وصـيَّة يعقوب ولَدَه ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فمـا قلتَ للثالثة ؟ قال قلت :

أُوصِـيكِ يا بنتى فإنى ذاهِبُ * أُوْصِـيكِ أن تَحْمَـدكِ القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ السّاغبُ * لا يُرْجَع المسكينُ وهو خائبُ
ولا تَنِى أظفـارُكِ السَّلاهِبُ(١) * منهنّ فى وجـه الحَمـاة كاتبُ
* والزوجَ إنّ الزوج بئس الصاحبُ *

٨١/٩

قال : فكيف قلتَ لهـا هذا ولم تَتَزَوّج؟ وأىّ شىء قلتَ فى تأخير تزويجها؟ قال قلت فيها :

كأنّ ظَلّامةَ أختَ شَـيْبانْ * يَتيمـةٌ ووالداها حيّانْ
الرأسُ قَمْـلٌ كلُّه وصِئْبانْ(٢) * وليس فى الساقَيْن إلّا خَيْطانْ
* تلك التى يَفْزَع منهـا الشيطانْ *

قال : فضحِك هشام حتى ضحِك النساءُ لضَحِكه ، وقال للخَصِىّ : كم بَقِى من نفقتك؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : أَعْطِه إيّاها ليجعلها فى رِجْل ظَلّامةَ مكان الخيطين .

كان أسرع الناس بديهة

وقال الأصمعىّ أخبرنى عمّى وأخبرنى ببعض هذا الحديث ٱبنُ بنت أبى النَّجْم أنّ أبا النَّجْم قال :

* الحمـد لله الوَهُوبِ المُجْزِل *

فى قَدْر ما يَمشى الإنسان من مسجد الأَشْـياخ الى حاتِم الجزّار . ومقدار ما بينهما غَلْوةٌ(٣) أو نحوُها . قال : وكان أسرعَ الناس بَديهةً .

(١) السلاهب : الطويلة . (٢) الصئبان : جمع صؤابة وهى بيضة القمل .

(٣) الغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هى قدر ثلثمائة ذراع الى أربعمائة .

سئل الأصمعى أى الرجز أحسن وأجود فقال رجز أبى النجم

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أبو أيوب المَدينىّ قال حدّثنا أبو الأسود النوجشانى(١) قال :

مَرّ أبى بالأصمعى وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أىّ الرَّجَز أحسن وأجود؟ قال : رَجَزُ أبى النَّجْم .

سأله هشام بن عبد الملك عن رأيه فى النساء فأجابه

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

دخل أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيُك فى النساء ؟ قال : إنّى لأنظر إليهن شَزْراً(٢) وينظرن إلىّ خَزْرا . فوهب له جاريةً وقال له : اُغْدُ علىّ فأعلِمْنى ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتَ؟ فقال : ماصنعتُ شيئًا ولا قدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتًا . ثم أنشده :

نظرتْ فأعْجبَها الذى فى دِرْعها * من حُسْنه ونظرتُ فى سِرْباليا
فرأتْ لها كَفَلًا يَميل بخَصْرها * وَعْثًا(٣) روادفُه وأَجْثَم(٤) جاثيا
ورأيتُ مُنْتَشِرَ العجانِ(٥) مُقَلّصًا * رِخْوًا مفاصلُه وجِلْدًا باليا
أُدْنِى له الرَّكَبَ(٦) الحَلِيقَ كأنما * أُدْنِى إليه عقاربًا وأفاعيا
إنّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فاْعلَمَنْ * لو قد صَبَرْتُك للوَاسِى خاليا
ما بالُ رأسِك من ورائىَ طالعًا * أظننتَ أنّ حِرَ الفتاة ورائيا
فاْذهب فإنّك ميّتٌ لا تُرْتَجَى * أبدَ الأبيدِ ولو عَمَرتَ لياليا

(١) كذا فى الأصول . ولم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرفة عن « النوشجانى » نسبة الى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشزر : النظر بجانب العين فى إعراض . والخزر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه وتسكين الزاى فى الخزر لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .

(٥) العجان : القضيب الممدود من الخصية الى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أنتِ الغَـرُور إذا خُبِرتَ وربمـا * كانَ الغَرورُ لمن رجاه شافيا
لكنّ أَيْرِى لا يُرَجّى نفعُـه * حـتى أعود أخا فَتَـاءٍ ناشِـيا

فضحِك هشام وأمر له بجائزة أخرى .

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال ابن كُنَاسة :

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه

قال هشام بن عبد الملك لأبي النَّجْم : يا أبا النَّجْم حدِّثني . قال : عنّي أو عن غيري؟ قال : لا بل عنك . قال : إنّي لمّا كَبِرتُ عرَض لي البَوْلُ، فوضعتُ عند رجلي شيئًا أبول فيه . فقمتُ من الليل أبول، فخرج منّي صوتٌ فتشدّدت، ثم عُدْتُ فخرج منّي صوتٌ آخر، فأَوَيْتُ إلى فراشي، فقلت : يا أُمّ الخِيار هل سمِعْتِ شيئًا؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما! فضَحِك . قال : وأُمّ الخيار التي يَعْني بقوله :

٨٢/٩

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيـار تدّعى * عـليّ ذنبًا كلّه لم أَصْـنعِ

وهي أُرْجوزة طويلة .

ذكر فتاة في شعره فتزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْباني :

أتت مولاة لبني قَيْس بن ثَعْلَبةَ أبا النّجم فذكرتْ له أنّ بنتًا لها أدركتْ منـذ سنتين، وهي من أجمل النساء وأمدّهنّ قامةً ولم يخطُبها أحدٌ، فلو ذكرتَها في الشعر! فقال : أفعل، فما آسمها؟ قالت : نَفِيسة . فقال :

نَفِيسَ يا قتّـالةَ الأقْـوامِ * أقصدتِ قلبي منكِ بالسِّهامِ
وما يُصيب القلبَ إلّا رَامِ * لو يعـلَمَ العـلمَ أبو هشام
ساقَ إليهـا حاصِلَ الشآم * وجِزْيَةَ الأَهْـواز كلَّ عام
وما سَـقَ النِّيلُ من الطعام * إذ ضاق منها مَوْضِعُ الإدْغام[1]

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة يفسرها البيت التالي .

أَجْشَمُ جاثٍ مُسْتَديرٌ حامِ * يَعَضُّ فى كَيْنٍ(1) له تُؤَام
* عَضَّ النجاريّ(2) على اللِّجام *

فقالت : حَسْبُك حَسْبُك! ووفد إلى الشأم، فلما رجع سمع الزَّمْر والجَلَبة، فقال: ما هذا؟ فقالوا : نفيسة تزوّجت .

وصف فهود عبد الملك بن بشر ابن مروان

قال أبو عمرو وذكر علىّ بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعىّ قال أخبرنى بعض الرُّواة وحدّثنى ٱبن أخت أبى النَّجْم :

أنّ عبد الملك بن بِشْر بن مروان قال لأبى النَّجْم : صِفْ لى فُهُودى هذه . فقال :

إنا نَزَلْنا خيرَ مَنْزِلات * بين الحُمَيْرات المُبارَكاتِ
فى لَحْمِ وحْشٍ وحُبارَيَاتِ(3) * وإن أرَدنا الصيدَ ذا اللَّذّات
جاء مُطيعًا لمُطاوِعاتِ * عُلِّمن أو قد كنّ عالِماتِ
فسَكّن الطَّرْفَ بمُطْرِفاتِ * تُرِيك آماقًا مخطَّطاتِ

مدح الحجاج برجز وطلب اليه واديا فى بلاده

ونسختُ من كتاب الخرّاز عن المدائنىّ عن عثمان بن حَفْص أنّ أبا النَّجْم مدَح الحجّاجَ برَجَزٍ يقول فيه :

ويل آمّ دُورِ عِزّةٍ ومَجْدِ * دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نَجْدِ
* أهل الحصون والخيول الجُرْدِ *

فأعجبَ الحجّاجَ رَجَزُه وقال : ما حاجتك؟ قال تُقْطِعنى ذا الجبنين . فوجَم لها وسكت، ثم دعا كاتبَه فقال : أُنظر ذا الجبنين ما هو! فإن ذا الأعرابىّ سألنيه لعلّه نهر من أنهار العراق . فسألوا عنه فقيل: واد فى بلاد بنى عِجْل أعلاه حَشَفةٌ(4) وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عمّ له . فقال : ٱكتبوا له به . قال : فأهلُه به إلى اليوم .

(١) الكين : لحم باطن الفرج . (٢) لم نعثر على هذه النسبة فى مظانها . ولعله يريد به فرسا لرجل من بنى النجار . (٣) حباريات : مفردها حبارى وهو طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق .
(٤) الحشفة : صخرة رخوة فى سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات نز وملح .

أخطأ فى أشياء أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيُّوب المَدينىّ قال قال الأصمعىّ : أخطأ أبو النَّجْم فى أشياء أُخِذَتْ عليه، منها قوله :

وهى على عَذْبٍ رَوِىِّ المَنْهلِ * دَحْلِ أبى المِرْقَال خيرِ الأَدْحُلِ

* من نَحْت عادٍ فى الزمان الأوّل *

قال الأصمعىّ : الدَّحْل لا تُورَده الإبلُ إنمـا تُورَد الرَّكايا[(١)] . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله فى البيت الذى يَليه : إنّ هذا الدَّحْلَ من نحت عاد . قال: والدُّحلان لا تُحْفَر ولا تُنْحَت، إنما هى خروق وشِعاب فى الأرض والجبال لا تُصيبها الشمسُ، فتَبْقَى فيها المياه؛ وهى هُوّة فى الأرض يَضيق فَمُها ثم يتّسع فيدخلها ماء السماء .

٨٣/٩

قال الأصمعىّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه فى حَلْبة :

* تَسبحَ أُخْراهُ ويَطْفُو أوّلُهْ *

قال الأصمعىّ : أخطأ فى هـذا؛ لأنه إذا سـبَح أُخراه كان حِمـارُ الكُسَاح أسرعَ منـه . قال الأصمعىّ : وحدّثنى أبى أنّه رأى فرسه هذا فقوّمه بسبعين درهمـا . وإنّمـا يُوصف الجواد بأنه تَسْبَح أُولَاه وتَلْحَق رجلاه . قال : وخيرُ عَدْو الذكور أن تُشْرِف، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنبَسِط وتَصْغَى[(٢)] كعَدْوِ الذئب .

---

(١) الركايا : جميع ركية وهى البئر . (٢) تصغى : تميل .

أخبارُ عُلَيّةَ بنتِ المهدىّ ونَسَبُها ونُتَفٌ من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشتريت للمهدى فى حياة أبيه

عُلَيّة بنت المهدىّ أُمّها أُمّ ولد مُغَنِّيَةٌ يقال لها مَكْنونة، كانت من جوارى المَرْوانيّة المغنّية.

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات أن ٱبن القَدّاح(١) حدّثه قال:

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّة — وليست من آل مروان بن الحكم، هى زوجة الحسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس — مغنّيةً، وكانت أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهًا، وكانت رَسْحاء(٢)، وكان بعض من يمازحها يعبث بها فيصيح: طَسْت طَسْت(٣). وكانت حَسَنة الصدر والبطن، فكانت تُوضِح بهما وتقول: ولكن هذا(٤)! . فٱشْتُرِيَتْ للمهدىّ فى حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلَبتْ عليه، حتى كانت الخَيْزُران تقول: ما ملك ٱمرأةٌ أغْلَظَ علىَّ منها. وٱستتر أمرُها عن المنصور حتى مات، فولدتْ له عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ.

بعض صفاتها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن عمّه قال:

كانت عُلَيّةُ بنتُ المهدىّ من أحسن الناس وأظرفِهم تقول الشِّعرَ الجيِّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ، وكان بها عيب، كان فى جبينها فَضْلُ سَعَةٍ حتى تسمج(٥)، فٱتّخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستُرَ بها جبينَها، فأحدثتْ والله شيئًا ما رأيتُ فيما ٱبتَدَعَتْه النساء وأحدثَتْه أحسنَ منه.

---

(١) فى أ، م: «أبا القداح». (٢) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.
(٣) لعل المراد تشبيهها فى استواء عجزها مع ظهرها وفخذيها باستواء قعر الطست. (٤) فى ب، س: «ويكنى هذا». (٥) فى أ، م: «تسفّح» (بتشديد الفاء). وفى ح: «تسبح». وعبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية): «وكان فى جبهتها سعة تشين وجهها».

كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغنى إلا أيام حيضها

أخبرنى الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت عُلَيَّةُ حَسَـنةَ الدِّين، وكانت لا تغنِّى ولا تشرَب النَّبيـذ إلّا إذا كانت معتزلةَ الصلاةِ، فاذا طَهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذّ بشىءٍ غير قول الشعر فى الأحيان، إلّا أن يدعُوَها الخليفـةُ إلى شىءٍ فلا تَقْدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرّم الله شيئًا إلّا وقـد جعل فيما حَلّل منه عِوَضًا، فبأىّ شىءٍ يحتجّ عاصيه والمُنْتَهِكُ لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفَر الله لى فاحشةً آرتكبتُها قطّ، ولا أقول فى شعرى إلا عَبَثا .

لم يجتمع فى الاسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال سمعت عبد الله ابن العبّاس بن الفضل بن الربيع يقول :

ما اجتمع فى الإسـلام قطّ أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهـدىّ وأختِه عُلَيَّة، وكانت تُقَدَّم عليه .

كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلا فنعها الرشيد

أخبرنى محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنا سعيد بن إبراهيم قال :

كانت عليّة تحب أن تُرَاسِل بالأشعار مَنْ تختصّه ، فآختصّتْ خادمًا يقال له « طَلّ » من خَدَمِ الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أيّاما، فمَشَتْ على مِيزَابٍ وحدّثته وقالت فى ذلك :

٨٤ / ٩

قد كان ما كُلِّفْتُه زمنًا * يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفى
حتى أتيتـكَ زائرًا عَجِـلًا * أمشى على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلَف عليها الرشيد ألّا تكلّم طَلًّا ولا تسمِّيَه بآسمه، فضمِنَتْ له ذلك . وآستمع عليها يومًا وهى تَدْرُس (١) آخرَ سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى أ ، م : « تريد » وهى محرفة عن « تذير » بالذال بمعنى تقرأ .

وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ وأرادتْ أن تقول : "فَطَلٌّ" فقالت : فالذى نهانا عنه أميرُ المؤمنين. فدخل فقبَّل رأسَها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا، ولا أمنعكِ بعد هذا من شىء تريدينه . ولها فى طَلٍّ هذا عِدّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها :

صـــوت

يا ربِّ إنى قد غَرِضْتُ[1] بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا رَبّاهْ
مولاة سَوْءٍ تستهين بعبدها * نِعْمَ الغلامُ وبئستِ المولاهْ
"طَلٌّ" ولكنّى حُرِمْتُ نعيمَه * ووصالَه إن لم يُغِثْنى الله
يا ربِّ إن كانت حياتى هكذا * ضرًّا علىّ فما أريد حياه

الشعر والغِناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى . وقد ذكر ٱبن خُرْدَاذْبَه أن الشعر والغناء لُنَبْيهٍ الكوفىّ، وأنه هوِى جارية تُغَنِّى، فتعلّمَ الغِناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّمًا فى المغنِّين، وأنّ هذا الشعر له فيها والصنعة أيضا .

حجب عنها طل فقالت فيه شعرا وصحفت اسمه

أخبرنى أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدِىّ قال حدّثنى محمد بن صالح بن شيخ ابن عُمَيْر عن أبيه قال :

حُجِب طَلٌّ عن عُلَيّةَ فقالت وصحَّفتِ ٱسمَه فى أوّل بيت :

أيا سَرْوَةَ[2] البستان طال تشوّقى * فهل لى إلى ظِلٍّ لديك سبيلُ
متى يلتقى مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه * وليس لمن يَهْوَى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُرْبةٍ لنا * فَيَلْقَى ٱغتباطًا خُلّةٌ وخليلُ

(١) غرضت بهجرها أى ضجرت . وفى الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصحيف .
(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، وقد فسر به صاحب القاموس العرعر .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعليّة خفيفُ رَمَلٍ . كذا ذكر ميمون بن هارون ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى . وأوّل الصوت :

* متى يلتقِ مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه *

وذكر حَبَشٌ أنه للهُذَلىّ خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر .

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطَّالقانىّ قال حدّثنى أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامىّ قال :

قالت عُلَيَّةُ فى طَلٍّ وصحّفت ٱسْمَه فى هذا الشعر وغَنَّتْ فيه :

صــــوت

سَلِّمْ على ذاك الغــزالِ * الأغْيَدِ الحسنِ الدّلالِ
سَــلِّمْ عليــه وقُلْ له * يا غُلَّ ألبــابِ الرجال
خلَّيْتَ جسمى ضاحيًا * وسكنتَ فى ظِلِّ الحِجالِ (١)
وبلغتَ مِــنِّى غايةً * لم أدرِ فيهــا ما ٱحتيالى

الشعرُ والغناء لعُلَيَّةَ خفيفُ رَمَلٍ . وذكر غيره هذا أن الغناء لأحمد بن المكىّ فى هذه الطريقة .

كانت تقول الشعر فى خادمها رشأ وتكنى عنه بزينب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى ميمون بن هارون عن محمد بن علىّ بن عثمان الشَّطْرَنجىّ :

٨٥/٩ أن عُلَيّة كانت تقول الشعر فى خادم لها يقال له « رشأ » وتَكْنِى عنه ، فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب :

صــــوت

وجَد الفــؤادُ بزينبــا * وَجْدًا شديدًا مُتْعِبــا
أصبحتُ من كَلَفِى بها * أُدْعَى سَــقِيمًا (٢) مُنْصَبــا

(١) الحجال : جمع حجلة وهى ستر العروس فى جوف البيت . (٢) فى أ ، م : « شقيا » .

ولقد كَنَيْتُ عن آسمها * عمدًا لكى لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وكتمتُ أمرًا مُعْجِبا
قالت وقد عَزَّ الوصا * لُ ولم أجِدْ لى مذهبا
والله لا نلتَ المَو * دَّةَ أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايتُه فيه عن المعروف بالشِّطْرَنْجِىّ ولم يحصّل ما رواه . وهذا الصوت شعرُه لآبن رُهَيْمَةَ المَدَنىّ . والغِناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وهو من زَيانِبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أنّ عُلَيّة[1] غنّت فيه لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى، حكى ذلك آبن المكىّ عن أبيه، وأخبرنى به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز[2] قال حدّثنى عُبَيْد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ قال :

لمّا عَلِم منْ عُلَيّةَ أنها تَكْنِى عن رشأ بزينب قالت :

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْبِ * يا رَبِّ ما هذا من العيب
قد تَيَّمَتْ قلبى فلم أستطع * إلّا البكا يا عالِمَ الغيب
خبأْتُ فى شعرىَ إسمَ الذى * أردتُه كالخَبْءِ فى الجيب

قال : وغَنّت فيه لحنا من طريقة خفيفِ الرَّمَلِ الأوّل فصحَّفَتِ آسمَها فى ريب .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغانى من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم فى الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبى الجمان » وفى الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم « الحسين بن يحيى أبى الحمار » .

هجت طغيان حين وشت بها الى رشأ

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيانُ، فوشَتْ بعُلَيَّةَ إلى رَشأ وحكَتْ عنها ما لم تقل، فقالت عُلَيَّةُ :

لطُغْيانَ خُفٌّ مُـذْ ثلاثين حِجّةً * جديدٌ فلا يَبْـلَى ولا يتخرَّقُ

وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدَّهرَ كُلَّه * على قـدميها فى الهـواء مُعَلَّقُ

فما خرَقَتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرَبًا * وأمَّا سَرَاويلاتهـا فتُمَـزَّقُ

شعرها حين امتنع رشأ عن شرب النبيذ

قال : وحلَف رَشَأٌ ألّا يشرب النبيذَ سنةً، فقالت :

صـــوت

قد ثبت الخاتمُ فى خِنصِرى[(1)] * إذ جاءنى منـك تَجَنِّيـك

حَرَّمتُ شربَ الراح إذ عِفْتَها * فلستُ فى شىء أعاصِيك

فـلو تَطَوَّعتِ لعوَّضتِنى * منه رُضابَ الرِّيق من فيك

فيالهـا عنـدىَ من نعمـةٍ * لستُ بها ماعشتُ أَجْزِيك

يا زينبًا قـد أَرِقَتْ مُقْلتِى * أَمْتعـنِى الله بحُبِّيـك

غنَّتْ فيه علَيةُ هَزَجًا .

٨٦
—
٩

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن اسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه

أخبرنى جَحْظـة ومحمـد بن يحيى قالا حدّثنـا ميمون بن هارون قال حدّثنى الحسن[(2)] بن إبراهيم بن رَبَاح قال : قال لى محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى : كنت عنـد المعتصم وعنده مُخَارِق وعَلَّويه ومحمـد بن الحارث وعَقِيد، فتغنَّى عَقِيد وكنت أضرب عليه :

صـــوت

نام عُـــذّالى ولـــم أَنَـــمِ * وٱشتفى الواشون من سَقَمِى

وإذا ما قلتُ بى أَلَـــمٌ * شَـكَّ مَنْ أهـواه فى أَلَمِى

(١) الكناية هنا غير مفهومة و إن كان المعنى الإجمالى واضحا. (٢) فى ب، س : «الحسين» .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لِعُلَيَّة، فأعرض عنّى، فعرفت غَلَطى وأنّ القوم أمسكوا عمدًا، فقُطِع بى[1]. وتبيّن حالى، فقال: لا تُرَعْ يا محمد، فإنّ نصيبك فيها مِثْلُ نصيبى. الغناء لعُلَيَّة خفيفُ رَمَلٍ. وقد قال قوم: إنّ هذا اللحن للعبّاس بن أَشْرَس الطُّنْبورِىّ مولى خُزاعةَ، وإن الشعر لخالد الكاتب.

غنى بنان للمنتصر بلحن لها فى شعر الرشيد

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن يزيد قال حدّثنى أبى قال: كنّا عند المنتصر، فغنّاه بَنَانٌ لحنًا من الرمل الثانى وهو خفيف الرمل:

صـــوت

يارَبَّةَ المنزلِ بالبِرْكِ[2] * وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ
تَحَرَّجى بالله من قتلنا * لسنا من الدَّيْلَم والتُّرْكِ

فضحكتُ. فقال لى: مِمَّ ضحكتَ؟ قلت: من شَرَفِ قائلِ هذا الشعر، وشرفِ مَنْ عَمِل اللحنَ فيه، وشرفِ مُسْتَمِعِه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعرُ فيه للرشيد، والغناءُ لعُلَيَّةَ بنتِ المهدىّ، وأميرُ المؤمنين مستمعُه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.

أخذت من إسحاق لحنا وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه

حدّثنى إبراهيم بن محمد بن بَرَكَشة قال سمعت شيخًا يحدّث أبى وأنا غلام فحفظتُ عنه ما حدّثه به ولم أعرف آسمه، قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال: عَمِلتُ فى أيام الرَّشيد لحنًا وهو:

صـــوت

سَقْيًا لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهَنى * بعدَ الهدوِّ بها قَرْعُ النّواقيس
كأنّ سَوْسَنَها فى كلِّ شارقةٍ * على الميادين أذنابُ الطّواويس

(١) قطع بى: يريد سدّت علىّ مسالك القول. (٢) البرك: علم على عدّة مواضع.

قال : فأعجبنى وعَمِلتُ على أن أباكر به الرّشيدَ . فلقيَنى فى طريقى خادمٌ لعُلَيّة بنت المهدىّ ، فقــال : مولاتى تأمرك بدخـول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريهـا غناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّتْ فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفرِدت لى كأنها كانت مُعَدّة ، فجلستُ ، وقُدّم لى طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتى منهما ، ثم خرج إلىّ خادم فقال لى : تقول لك مولاتى : أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَثٍ ، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنيّة تتعجّلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشىء أوْ لاَ يقع الصوت منه بحيث توخَّيْتَ ، فيذهب سعيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنّيتُها إيّاه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتْ إلىّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوبًا ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم زل تستعيده مراراً . ثم قالت : اِسمعه منّى الآن ؛ ٨٧/٩
فغنّته غِناءً ما خرَق سمعى مِثْلُه . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أرَ مِثْلَه . قالت : يافلانة أعيدى له مِثْلَ ما أخذ ؛ فأحضرتْ لى عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوبًا . فقالت : هذا ثَمَنُه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أتغنّى به (١) ، وأُخْبِرُ أنّه من صنعتى . وأُعْطِى الله عهدًا لئن نطقتَ أنّ لك فيه صنعةً لأقتلنّك ! هذا إن نجوتَ منه إن علم بمَصيرك إلىّ . فخرجتُ من عندها ووالله إنّى لكالموقن (٢) بما أكره من جائزتهــا أسفًا على الصوت ، فمــا جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتنغّم به فى نفسى فضلاً عن أن أُظهِره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون فى أوّل مجلس جلســه للّهْو بعدَها ، فبــدأتُ به أوّل ما غَنَّيت . فتغيّر لونُ المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : ولِىَ الأمانُ على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدّثتُه الحديثَ . فقال : يا بغيض ! فما كان فى هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه مع ماقد أخذتَه من العوَض ! وهجّنى فيه هُجْنَةً وَددتُ معها أنّى لم أذكره . فآليتُ ألّا أغنّيه

(١) فى ب ، س : «ولن أبدأ بغناء غيره» . (٢) فى أ ، م : «ووالله إنى لأكاد أموت بما أكره الخ» .

بعدها أبدا . الشعرُ فى هذا الصوت لإسماعيلَ بن يَسار النِّسائى، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنُه من الثقيل الأوّل مُطْلَق فى مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهُذَلىّ، ولم يحصِّل ما قاله .

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعها من فى مجلس المأمون

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنزىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال قال لى يَنْشُو المغنّى حدّثنى أبو أحمد بن الرشيد قال :

كنت يوما عند المأمون و إلى جانبى منصور و إبراهيم عَمَّاى، فجاء ياسر دخلة فسارّ المأمونَ. فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فانهض، فنهض. فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع مما يلى دار الحُرَم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا أقلقنى. فنظر إلىّ المأمون وأنا أميل فقال لى: يا أبا أحمد مالك تميل ؟ فقلت : إنى سمعت شيئًا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عُلَيّة تطارح عمّك إبراهيم :

* مالى أرى الأبصارَ بى جافيه *

نسبة هذا الصوت

صوت

مالى أرى الابصارَ بى جافيهْ * لم تلتفتْ منّى إلى ناحيهْ
لا ينظر الناس إلى المُبْتَلَى * وإنّما الناس مع العافيهْ
صَحْبى سَلُوا ربَّكُمُ العافيه * فقد دهتنى بعدَكم داهيهْ
صارَمَنِى بعدَكُمُ سيِّدى * فالعينُ من هِجرانه باكيهْ

الشعر لأبى العتاهية، وذكر ابن المعتز أنّه لعليّة وأنّ اللحن لها خفيف رملٍ . وذُكر أنه لغيرها خفيفُ رمل مطلق، ولحن عُلَيّة مزمومٌ .

أرسلت إلى الرشيد ومنصور شرابا مع خلوب وغنتهما بلحن لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو العبّاس أن بِشْرًا المَرْثَدِىّ قال قالت لى رَيِّقٌ :

كنتُ يومًا بين يدى الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلتْ إليه خَلُوبُ[1] (جارية لعُلَيَّة) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان، ومع خادم يتبعها عودٌ، فغنّتهما قائمة والكأسان فى أيديهما والتحيتان بين أيديهما :

صـــوت

حيّـا كما الله خَليــلَيَّا ‌ * ‌ إنْ مَيّتًا كنتُ و إن حيّا

إن قلتما خيرًا نخــيرٌ لكم ‌ * ‌ أو قلتما غَــيًّا فلا غَيّـا

٨٨ / ٩

فشَرِبا . ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها : "صنعتْ يا سيّدىّ أُخْتُكما هذا اللّحْنَ اليوم، وألقتْه على الجوارى ، وأصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، و بعثتُ من شرابى إليكما ومن تحياتى وأَحْذَق جوارىّ لتغنّيكما. هنأكما الله وسرّكما وأطاب عيشَكما وعيشى بكما".

دعا إبراهيم بن المهدى إسحاق وأبا دلف وغنتهم جاريته لحنا لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى بنحوٍ من هذا أبو عبــد الله بن المَرْزُبان قال حدّثنى إبراهيم بن أبى دُلَف العِجْلِىّ قال :

كنّا مع المعتصم بالقاطول[2] وكان إبراهيم بن المهدىّ فى حَرّاقته بالجانب الغربىّ، وأبى و إسحــاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حراقتَيْهما بالجانب الشرقىّ . فدعاهما فى يوم جمعة ، فعبرا إليه فى زلال[3] وأنا معهما وأنا صغير، علىّ أَقْبِيَةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم فرآنا نَهَض ونهضتْ بنهوضه صبيّةٌ له يقال لها «غَضَّة» و إذا فى يديها كأسان وفى يده كأس . فلما صعِدا إليه آندفع فغنّى :

(١) فى أ ، م : « خلوى » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان فى موضع سامرا قبــل أن تعمر ، وكان الرّشيد أوّل من حفر هــذا النهر و بنى على فوهته قصرا .

(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هــذا الاسم فى كتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكى صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية فى قوله : « فعزمت على واسط لأن لى بها صديقا من الكتّاب فجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ، ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معــه غريبا ، فتزىّ بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش : «قوله زلالا كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام» اه وانظر الكلام عليه فى قاموس دوزى .

حيّاكما الله خليليّا * إن ميّتًا كنتُ وإن حيّا
إن قلتما خيرًا فأهْـلًا به (١) * أو قلتما غـيًّا فلا غيّا

ثم ناول كلّ واحدٍ منهما كأسًا، وأخذ هو الكأس الثالثَ (٢) الذى فى يد الجارية وقال: هلُمّ نشرب على رِيقنا قَدَحًا. ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووُضِع النبيذُ فشرِبنا، وغنّيناه وغناهما وضربا معه وضرب معهما، وغنّت الصبيّةُ، فطرِب أبى وقال لها: أحسنتِ أحسنت! . فقال له إبراهيم: إن كانت أحسنَتْ فخُذْها، فما أخرجتُها إلّا لك.

شكت اليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعرا وغنت به فرجع اليها

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا أبو هِفّان قال: أُهْدِيتْ إلى الرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال والكمال، فخلا معها يومًا وأخرج كلَّ قينة فى داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخَدَمة فى الشراب زُهاء ألفَىْ جاريةٍ فى أحسن زِىٍّ من كلِّ نوعٍ من أنواع الثياب والجوهر. واتّصل الخبر بأُمّ جعفر فغلُظ عليها ذلك، فأرسلت الى عُلَيّة تشكو إليها. فأرسلت إليها عُلَيّةُ: لا يَهُولَنّكِ هذا، فوالله لأردنّه إليكِ، قد عزمتُ أن أصنع شعرًا وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جوارىّ، فلا تبقِ عندكِ جاريةٌ إلّا بعثتِ بها إلىّ وألْبِسيهنّ ألوانَ الثياب ليأخذنَ الصوتَ مع جوارىّ، ففعلتْ أُمُّ جعفر ما أمرتْها به عُلَيّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يَشْعُرِ الرشيد إلّا وعُلَيّة قد خرجتْ عليه من حُجْرتها، وأُم جعفر من حجرتها معها زُهاء ألفى جاريةٍ من جواريها وسائر جوارى القصر، عليهنّ غرائب اللباس، وكلهنّ فى لحنٍ واحد هزَجٍ صنعتْه عُلَيّة:

صـــوت

منفصلٌ عــنّى وما * قلبىَ عنــه منفصِلْ
يا قاطعى اليـومَ لِمَنْ * نويتَ بعدى أن تَصِلْ

(١) كذا فى حـ. وفى أ، م: «فأهلا له». وفى ب، سـ: «فخير لكم».
(٢) كذا فى الأصول. ويلاحظ أن الكأس مؤنثة.

فطرِب الرّشيد وقام على رِجليه حتى ٱستقبل أُمَّ جعفر وعُلَيّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قطّ . يا مسرور لا تُبقِينّ فى بيت المال درهمًا إلا نثرتَه . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستةَ آلاف ألف درهم، وما سُمِع بمثل ذلك اليومِ قطّ .

٨٩/٩ أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد المبرّد قال :

كانت تحب لحن الرمل

كانت عُلَيّةُ تقول : من لم يُطْرِبْه الرمل لم يُطربه شىء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طَبَاهِجةٌ[1] باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله .

غنت هى وأخوها ابراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدى قال حدّثنى يوسف بن إبراهيم قال قالت لى عَرِيبُ :

أحسنُ يومٍ رأيتُه وأطيبُه يومٌ ٱجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدى عند أخته عُلَيّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذقَ الناس بالزَّمْر. فبدأت عُلَيّة فغنّتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها :

صوت

تَحَبَّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ ✽ وكم من بعيد الدّار مستوجبُ القرب

وغنّى إبراهيم فى صنعته وزمَر عليه يعقوب :

صوت

يا واحدَ الحُبِّ مالى منك إذ كَلِفتْ ✽ نفسى بحبِّك إلّا الهمُّ والحَزَنُ
لم يُنْسِنِيك سرورٌ لا ولا حَزَنٌ ✽ وكيف لا! كيف يُنْسَى وجهُك الحَسَنُ
ولا خلا منك قلبى لا ولا جَسَدِى ✽ كُلِّى بكلّك مشغولٌ ومُرْتَهَنُ
نورٌ تولّد من شمس ومن قمر ✽ حتى تكامل منه الرُّوح والبَدَنُ

فما سمعتُ مِثْلَ ما سمعتُه منهما قطّ، وأعلم أنى لا أسمع مِثْلَه أبدًا .

(١) الطباهجة : ضرب من اللحم المقلى .

تمارت خشف وعريب فى عدد أصواتها بحضرة المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعَرِيبَ :

رأيتُ فى النوم كأنّى سألت عُلَيّــةَ بنتَ المهدىّ عن أغانيها فقالت لى : هى نَيِّفٌ وخمسون صوتا . فقالت لى عَرِيب : هى كذلك . وقد أخبرنى بنحو هذا الخبر عبد الله بن الرّبيع الرّبيعىّ قال حدّثنى وسواسة وهو أحمــد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثتنى خِشْف الواضحيّة أنها تمارت هى وعَرِيب فى غناء عُلَيّة بحضرة المتوكّل أو غيره من الخلفاء، فقالت هى : هى ثلاثةٌ وسبعون صوتًا . فقالت عَرِيب : هى آثنان وســبعون صوتًا . فقال المتوكّل : غنِّيا غِناءها، فـلم تزالا تغنّيان غِناءها حتى مضى آثنان وسبعون صَوتا ، ولم تذكر خِشْف الثــالثَ والسبعينَ فقُطِع بها وآســتولت عَرِيب عليها وآنكسرتْ . قالت : فلمّا كان الليل رأيت عُلَيّة فيما يرى النائم فقالت : ياخِشْفُ خالفتْك عَرِيبُ فى غِنائى ! قلت : نعم ياسيّدتى . قالت : الصواب معكِ، أفتدرِين ما الصوتُ الذى أُنسِيتِه ؟ قلت : لا والله ! وَلَوددتُ أنى فدَيت ما جرى بكلّ ما أملك . قالت هو :

صــــوت

بُنِى الحُبُّ على الجَــوْرِ فَـلَوْ * أَنْصف المعشوقُ فيــه لسَمُجْ
ليس يُسْتحسَنُ فى حكم الهوى * عاشــقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَــجْ
لا تَعِيبنّ من محبٍّ ذِلّةً * ذلّةُ العــاشق مِفتــاحُ الفرج
وقليــلُ الحب صِرْفًا خالصًــا * لك خيرٌ من كثير قـــد مُزِجْ

وكأنّها قد آندفعت تغنّينى به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّتْه ، ولقد زادت لى فيه أشياء فى نومى لم أكن أعرفها . فآنتبهتُ وأنا لاأعقل فرحًا به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصّةَ . فقالت عَرِيب : هذا شىء صنعتِه أنتِ لِمَــا جرى بالأمس، وأمّا الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بمــا رضِى به أنّ القصة كما حَكَيْتُ . فقال : رؤياكِ والله

٩٠ / ٩

أعجب، ورَحِم الله عُلَيَّةَ! فما تركتْ ظَرْفَهَا حَيَّةً ومَيِّتَةً، وأجازنى جائزة سنيّة . ولعُلَيَّةَ فى هذا الصوت أغنى :

* بُنِى الحب على الجَوْر فلو *

لحنان : خفيفُ ثقيلٍ وهَزَج . وقيل إن الهَزَج لغيرها .

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتيها عند إبراهيم الموصلى فرجع إليها وسمعهما منها ومدحهما

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثنى أحمد بن محمد الفيرزان[(١)] قال حدّثنى بعضُ خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان[(١)]، وفيهما خلاف يذكر فى موضعه، قال :

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلىّ يومًا، فركب حمارًا يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعى بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسَّ به آستقبله وقبَّل رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا، ورأى عيدانًا كثيرةً، فقال : يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع . فقال : وَيْلَك ! أَصْدُقْنى . فقال : نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعُلَيَّةَ بنتِ المهدىّ بعثت بهما يطرَح عليهما . فقال الرشيد لإحداهما : غنّى، فغنّتْ — وهذا كله من رواية محمد بن طاهر — :

بُنِى الحُبُّ على الجَوْر فلو * أَنْصف المعشوقُ فيه لسَمُجْ
ليس يُستحسن فى حكم الهوى * عاشقٌ يُحسِن تأليفَ الحُجَجْ
لا تَعيبنْ من محبٍّ ذِلّةً * ذِلّةُ العاشق مِفتاحُ الفَرَجْ
وقليلُ الحب صرفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثير قد مُزِجْ

فأحسنتْ جدًّا . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال : لا عِلم لى . فقال للجارية، فقالت : لستّى . قال : ومَنْ سِتّك ؟ قالت : عُلَيَّةُ

(١) فى أ ، م : «الفيزران» .

أختُ أميرِ المؤمنين . قال : الشـعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه إلى الأخرى فقال : غنّى؛ فغنّتْ :

صـــوت

تَحَبَّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ * وكم من بعيد الدار مستوجبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإن حُدِّثتَ أنّ أخا هوى * نجا سالمًا فارجُ النَّجاةَ من الحب
إذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رِضًا * فأين حلاواتُ الرسائل والكُتْبِ

— الغِناء لعليَّة خفيفُ ثقيلٍ . وفى كتاب عَلّويه : الغِناء له — فسأل إبراهيمَ عن الغِناء والشعر؛ فقال : لا عِلمَ لى يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن؟ فقالت لستّى . قال : ومَنْ ستُّك؟ فقالت : عُلَيَّةُ أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومَضَى فركِب حِماره وانصرف إلى عُلَيَّةَ . هذا كله فى رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال فى خبره : إن الرشيد زار الموصلىّ هذه الزيارة ليلًا، وكان سببها[1] أنه انتبه فى نصف الليل فقال : هاتوا حمارى فأُتِىَ بحمارٍ كان له أسْوَدَ يركبه فى القصر قريبٍ من الأرض، فركبه وخرج فى دُرّاعةِ[2] وشيٍ متلثّمًا بعمامةِ وشيٍ مُلْتحِفا برداءِ وشيٍ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفرّاشين . وكان مسرور الفَرْغانى جريئًا عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين فى هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلىّ . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال : يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداءك، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقٌ طرَق بى . ثم نزل فجلس فى طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيّدى

٩١
٩

(١) فى الأصول : «سببه» . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب، أو هى جبة مشقوقة المقدم .

أتنشَط لشيء تأكله؟ قال: نعم، وماهو؟ قال: خاميزُ ظبي(١). فأُتِى به كأنّما كان مُعَدًّا له فأصاب منه شيئًا يسيرًا، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه. فقال له إبراهيم الموصلىّ: أؤغنّيك ياسيّدى أم يغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجوارى. فخرج جوارى إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه. فقال: أيَضرِبْنَ كلُّهن أم واحدةٌ واحدةٌ؟ فقال: بل تَضرِب ٱثنتان ٱثنتان وتغنِّى واحدةٌ واحدةٌ. ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرَّشيد يسمَع ولا يَنْشَط لشيءٍ من غِنائهنّ، إلى أن غنّتْ صبيّةٌ من حاشية الصَّفِّ:

صـوت

يامُورِىَ الزَّنْدِ قد أعيتْ قوادحُه * اِقْبِسْ إذا شئتَ من قلبى بمِقْباسِ
ما أقبحَ الناسَ فى عينى وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أُبْصِرْك فى الناسِ

فطرِب لغنائها وٱستعاد الصوتَ مرارًا وشَرِب أرطالًا، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فٱستدناها فتقاعستْ، فأمر بها فأُقيمتْ إليه، فأخبرتْه بشيءٍ أسرَّتْه إليه. فدعا بحماره فٱنصرف وٱلتفتَ إلى إبراهيم فقال: ما عليكَ ألّا تكون خليفةً! فكادت نفسُه تَخْرُج، حتى دعا به بعدُ وأدناه. هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن فى خبره. وقال محمد بن طاهر فى خبره: فقال للموصلىّ: ٱحتفظْ بالجاريتين، وركب من ساعته إلى عُلَيَّةَ فقال: قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ. فتقدّمتْ فيما تُصْلِحُه، وأخذا فى شأنهما. فلمّا أن كان فى آخر الوقت حمَل عليها بالنبيذ، ثم أخذ العودَ من حِجْر جارية فدفعه إليها، فأكبرتْ ذلك. فقال: وتُرْبةِ المهدىّ لَتُغَنِّنَّ! قالت: وما أُغَنِّى؟ قال: غَنِّى:

* بُنِىَ الحبّ على الجَوْر فلو *

---

(١) الخاميز: مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن. أعجمى معرب.

فعلمتْ أنه قد وقَف على القصة فغنّتْه . فلمّا أتت عليه قال لها غَنِّى :

* تَحَبَّبْ فإنّ الحبّ داعيةُ الحب *

فلَجْلَجَتْ ثم غنّته . فقام وقبّل رأسَها وقال : يا سيِّدتى هذا عندك ولا أعلم ! وتمّم يومَه معها .

عادها أخـوها ابراهيم وكرر السؤال عنها لخجل من جوابها

حدّثنى جَحْظَةُ قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حَمْدُون قال قال إبراهيم بن المهدىّ: ما خَجِلتُ قَطُّ خَجْلَتِى من عُلَيَّةَ أُختى . دخلتُ عليها يومًا عائدًا فقلت : كيف أنتِ يا أُخْتى جُعِلْتُ فِداءكِ وكيف حالُكِ وجسمُكِ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعتْ عينى على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتْنى وطال جلوسى ، ثم ٱستحْيَيْتُ من عُلَيَّةَ فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنتِ يا أُختى جُعِلْتُ فِداءكِ وكيف حالُكِ وجسمُكِ ؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرّة وأجبنا عنه ! فخجِلتُ خجلًا ما خَجِلتُ مثلَه قطُّ ، وقمتُ وٱنصرفتُ .

أمرها الرشيد بالغناء فغنتـه من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعىّ قال حدّثنى أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شَهِدتُ أبى جعفرًا وأنا صغيرٌ وهو يحدّث يحيى بن خالد جدّى فى بعض ما كان يخبره به من خَلَواته مع الرّشيد ، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدى أميرالمؤمنين ثم أقبل على حُجَرة يخترقها حتى ٱنتهى إلى حُجْرة مُغلقة فَفُتِحتْ له ، ثم رجَع مَنْ كان معنا من الخَدَم ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعا وأغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفى صدره مجلس مغلق فقعد على باب المجلس ، فنقر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حسا ، ثم أعاد النَّقْرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أنّ الله خلَق مِثْلَها فى حُسْن الغناء وجودة الضَّرب . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنّتْ أصواتًا : غَنِّى صوتى ، فغنّتْ صوتَه ، وهو :

صــــوت

ومُخَنَّثٍ شَهِد الزِّفافَ وقَبْلَه * غَنَّى الجوارىَ حاسرًا ومُنَقَّبا
لِبس الدَّلالَ وقام يَنْقُر دُفَّهُ * نَقْرًا أقرَّ به العيونَ وأطْرَبا
إنّ النساء رأينه فعشِقْنَه * فشكونَ شدّة مابهنّ فأكذبا

— فى هذا اللحن خفيفُ رَمَلٍ نَسَبه يحيى المكىّ إلى ابن سُرَيج ولم يَصِحّ له ، وفيه خفيفُ ثقيل فى كتاب عُلَيَّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات أنه لرِيّق . واللحن مأخوذٌ من :

* إنّ الرجالَ لهم إليك وسيلةٌ *

وهو خفيفُ ثقيــلٍ للهُذَلىّ ، ويقال إنه لابن سُرَيج ، وهو يأتى فى موضع آخر — قال : فطرِبتُ والله طربًا هممتُ معه أن أنطح برأسى الحائطَ . ثم قال غَنّى :

* طال تكذيبى وتصديقى *

فغنّت :

صــــوت

طال تكذيبى وتصديقى * لم أجِدْ عهــدًا لمخــلوق
إنّ ناسًا فى الهــوى غَدَرُوا[(١)] * أحــدثوا نَقْضَ المواثيــق
لا ترانى بعــدَهم أبــدًا * أشتكى عِشــقًا لمعشــوق

ــ لحنُ عُلَيَّة فى هذا الصوت هَزَجٌ . والشعرُ لأبى جعفر محمد بن حُمَيْد الطُّوسىّ وله فيه لحنٌ خفيفُ ثقيلٍ ، ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أوّل وخفيفُ ثقيلٍ آخر ــ قال : فرقَص الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بنا فإنّى أخاف أن يبدو منّا ماهو أكثر من هذا ، فمضَيْنا . فلما صرنا إلى الدّهليز قال وهو قابض على يدى : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإنى أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك

(١) فى ب ، س : «حـنوا» .

أنها عُلَيَّةُ بنتُ المهدىّ. ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَىْ أحدٍ و بلغنى لأقتلنّك. قال: فسمِعتُ جدّى يقول له: فقد والله لفظتَ به، ووالله ليقتلنَّك! فاْصنعْ ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذى أُخذ منه:

* ومُخَنَّثٍ شهِد الزِّفافَ وقَبْلَه *

صـــوت

إنّ الرجال لهم إليك وسيلةٌ * إن يأخذوكِ تَكَحَّلِى وتَخَضَّبِى
وأنا آمرؤٌ إن يأخذونى عَنْـوَةً * أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكاب وأُجْنَبِ
ويكون مركبُكِ القَعودَ وحِدْجَه[1] * وآبنُ النَّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبِى ٩٣ / ٩

الناس يَرْوُون هـذه الأبيات لعنترة بن شَدّاد العَبْسىّ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَز[2] بن لَوْذَان، وهو الصحيح. وخُزَزٌ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل آمرئ القيس. وقد آختُلِف فى معنى قوله «آبن النعامة» فقال أبو عُبَيْدة والأصمعىّ: النعامةُ فرسُه وآبنُها ظِلُّها. يقول: أُقاد فى الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلّى كالراكب لظلّها. وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ: ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلِى الأصابع. يقول: فلا يكون لى مركبٌ إلّا رِجلى. وقال خالد بن كُلْثوم: ابن النعامة الخشبة التى يُصْلَب عليها. يقول: أُقْتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبى. وآحتجّ مَنْ ذكر أنه يَعنى ظِلَّ فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

إذ ظَلّ يحسَب كلَّ شىءٍ فارسًا * ويرى نعـامةَ ظِـلّه فيَحُولُ

قال: وآبن النعامة: ظِـلُّ كلِّ شىء. وقـد مضَى هـذا الصوت مفردًا مع خبره فى موضع آخر.

(١) القعود: من الابل ما اتخـذه الراعى للركوب وحمل الزاد والمتاع. والحـدج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة. (٢) كذا فى القاموس (فى مادة «لوذ»). وفى الأصول: «حزن» وهو تحريف.

أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعرا وغنته به فطرب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلّبىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال :

زار الرّشيدُ عُلَيَّةَ فقال لها : بالله يا أُختى غَنِّينى . فقالت : وحياتِك لأعملنّ فيك شعرًا ولأعملنّ فيه لحنًا ، فقالت من وقتها :

صــــوت

تَفديك أُختُك قد حَبَوْتَ بنعمةٍ * لسنا نَعُدُّ لها الزمانَ عديلا

إلّا الخلودَ، وذاك قربُك سيّدى * لا زال قربُك والبقاءُ[1] طويلا

وحَمِدتُ ربّى فى إجابة دعوتى * فرأيتُ حمدى عند ذاك قليلا

وعَمِلتْ فيه لحنًا من وقتها فى طريقة خفيف الرَّمَل، فأطربَ الرّشيدَ وشرِب عليه بقيّةَ يومه.

طلب الرشيد أختها ولم يطلبها فقالت شعرا وبعثت من غناه له فأحضرها

قال : وقالت للرّشيد أيضًا وقد طلب أختها ولم يطلبها .

صــــوت

مالى نَسِيتُ وقد نُودِى بأصحابى * وكنتُ والذِّكْرُ عندى رائحٌ غادى

أنا التى لا أطيق الدّهرَ فُرقَتَكم * فَرِقَّ لى يا أخى من طول إبعادى

قال: وغَنَّتْ فيه لحنًا من الثقيل الثانى، وبعثت مَنْ غنّاه للرشيد، فبعث فأحضرها.

حجت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعرا وغنته فرضى عنها

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادى :

أنّ عُلَيَّةَ حجّتْ فى أيّام الرّشيد، فلمّا انصرفتْ أقامت بطيزَنَاباذَ[2] أيّامًا، فانتهى ذلك إلى الرّشيد فغضب . فقالت عُلَيَّةُ :

(١) فى أ ، م : « فى البقاء » . (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وطيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفوفا بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفى الأصول : « طير تاباذ » وهو تحريف .

صــــوت

أىُّ ذنبٍ أذنبتُه أىَّ ذنبِ * أىَّ ذنبٍ لولا رجائى لربِّى
بمُقامى بطِيزَناباذَ يومًا * بعدَه ليلةٌ على غير شُرْبِ
ثم باكرتُها عُقارًا شَمُولًا * تَفْتِنُ النّاسكَ الحليمَ وتُصْبى
قَرْقَفًا قهوةً تراها جَهُولًا * ذاتَ حِلْمٍ فرّاجةً كلَّ كَرْبِ

قال: وصنعتْ فى البيتين الأوّلين لحنًا من خفيف الثقيل، وفى البيتين الأخيرين لحنًا من الرَّمَل. فلمّا جاءت وسمع الشعر واللحنين رضى عنها.

٩٤/٩

اشتاقها الرشيد وهو بالرقة فطلبها بجاءته وقالت شعرا وعملت فيه لحنا

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال:

اشتاق الرّشيد الى عمّتى عُلَيَّة بالرَّقّة، فكتب الى خالها يزيدَ بنِ منصور فى إخراجها إليه فأخرجها. فقالت فى طريقها:

صــــوت

اِشْرَبْ وغَنِّ على صوت النَّواعيرِ * ما كنتُ أعرِفها لولا ابنُ منصورِ
لولا الرجاء لمن أمّلتُ رُؤْيَتَه * ما جُزْتُ بغدادَ فى خوف وتغرير

وعَمِلتْ فيه لحنًا فى طريقة الثقيل الأوّل.

كانت مع الرشيد فى الرى فحنت الى العراق بشعر فردها

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا الهِشامىّ أبو عبد الله قال:

لمّا خرج الرّشيد إلى الرَّىّ أخذ أُخْتَه عُلَيَّةَ معه. فلمّا صار بالمَرْج(١) عملتْ شعرًا وصاغت فيه لحنا فى طريقة الرمل وغنّتْ به، وهو:

(١) المرج: يريد به مرج القلعة، بينه وبين حلوان منزل الى جهة همذان. كذا ذكر ياقوت فى معجمه وذكر البيتين الواردين فى هذه القصة.

صــــوت

ومُغْـتَرِبٍ بالمَرْج يَبْـكى لِشَجْوِهِ * وقد غاب عنه المُسعِدون على الحبّ
إذا ما أتاه الرَّكْب من نحـو أرضه * تنشّق يَسْتشفِى برائحـة الرَّكْـبِ

فلمّا سمِـع الصّوتَ علِم أنها قد ٱشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردّها .

غنت الرشيد فى يوم فطـــر

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزّيّات حدّثنى بعضُ موالى أبى عيسى بن الرّشيد عن أبى عيسى: أنّ عُلَيَّة غنَّتِ الرّشيدَ فى يوم فِطر :

صــــوت

طالتْ علىّ ليالى الصَّومِ وٱتّصلتْ * حتى لقـد خِلْتُها زادتْ على الأَبَدِ
شـوقًا إلى مجلس يُزْهَى بصاحبه * أُعِيـذُه بجـلال الواحد الصَّمَدِ

الغِناء لعُلَيَّـة ثانى ثقيل لا يُشَكّ فيه، وذكر بعضُ الناس أنه للواثق، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العبّاس الرَّبِيعى . والصحيحُ أنه لعُلَيَّة . وفيه لعرِيب ثقيلٌ أوّل غنّته المُعْتَمِدَ يومَ فِطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

ضربت وكيلها سباعا وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعرا

وقال ميمون بن هارون حدّثنى أحمد بن يوسف أبو الجَهْم قال :

كان لعُلَيَّة وكيل يقال له سِباعٌ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته، فٱجتمع جيرانه إليها فعرّفوها جميلَ مذهبه وكثرةَ صِدْقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقّعتْ فيها:

ألَا أيُّهذَا الرّاكبُ العِيسَ بَلِّغَنْ * سِباعًا وقُلْ إن ضَمَّ(1) دارَكُم السَّفْرُ(2)
أتَسْـلُبُنى مالى وإن جاء سائلٌ * رَقَقْتَ له إن حطّه نحوَكَ الفقر
كشافيـةِ المَرْضَى بعائدة الزِّنَا * تؤمِّل أجرًا حيث ليس لها أجر

(١) كذا فى الأصول . والأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو « حل — أو جاز — داركم السفر» أو نحو ذلك .
(٢) السفر : القوم المسافرون .

تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال حدّثتنى عَلَمُ السَّمْراءُ جارية عبد الله بن موسى الهادى أنّها شَهِدتْ عُلَيَّة غنّت الأمينَ فى شعر لها ، وهو آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثانى . وكانت لمّا مات الرّشيد جَزِعتْ جَزَعًا شديدًا وتركت النّبيذَ والغناء . فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ . والشعر :

صــوت

أَطَلْتِ عاذلتى لَـوْمى وتفنيـدى * وأنتِ جاهـلةٌ شوقى وتَسْهيـدى
لا تَشْرَبِ الراحَ بين المُسْمِعاتِ وزُرْ * ظَبْيًا غَرِيرًا نَقِىَّ الخدّ والجِيد
قـد رنّحتْـه شَمُـولٌ فهو مُنْجَدِلٌ * يَحْكى بوجنتـه ماءَ العناقيـدِ
قام الأمينُ فأغْنَى النـاسَ كلَّهـمُ * فما فقـيرٌ على حال بموجود

٩٥ / ٩

لحنُ عُلَيَّةَ فى هذا الشعر ثانى ثقيل . ولعَرِيبَ فيـه هَزَجٌ ، وقيل إنّ الهزَجَ لإبراهيم ابن المهدىّ .

قالت شعرا فى لبانة بنت أخيها على بن المهدى وغنت فيه

وقال ميمون بن هارون حدّثنى محمد بن أبى عَوْن قال حدّثتنى عَرِيبُ أنّ عُلَيَّةَ قالت فى لُبانةَ بنتِ أخيها علىّ بن المهدىّ شعرًا وغنّتْ فيه من الثّقيل الأول :

صــوت

وحدّثنى عن مجلس كنتِ زَيْنَه * رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهودُ
فقلت له كُرَّ(١) الحديثَ الذى مَضَى * وذِكْرُكِ من ذاك الحديث(٢) أريد

وقد ذكر الهِشامىّ أنّ هذا اللحنَ لإسحاق غنّاه بالرَّقّة . وليس ذلك بصحيح .

---

(١) فى حـ : « فقلت لها كرى » . (٢) فى ب ، س : « من بين الحديث » .

سمعها إسماعيل ابن الهادى تغنى مستترة عند المأمون فأذهله غناؤها

أخبرنى محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبى أحمد بن الرّشيد؛ ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبى أحمد بن الرّشيد واللفظُ له قال:

دخل يومًا إسماعيل بن الهادى إلى المأمون، فسَمِع غناءً أذهله. فقال له المأمون: مالَكَ؟ قال: قد سَمِعتُ ما أذهلنى، وكنتُ أُكذِّب بأن الأُرْغُن الرُّومِىّ يقتُل طربًا، وقد صدّقتُ الآن بذلك. قال: أوَلا تَدْرِى ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عَمّتُك عُلَيّةُ تُلْقِى على عَمِّك إبراهيمَ صوتًا من غِنائها. إلى هاهنا رواية محمد ابن يحيى. وفى رواية محمد بن الحسن قال: هذه عَمّتُك تُلقِى على عَمِّك إبراهيم صوتًا آستحسنه من غِنائها. فأصغيتُ إليه فإذا هى تُلقِى عليه:

صـــوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسيرِ * ليس يُنْبِيك عنه مِثْلُ خبيرِ
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّرُ بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكيرِ

اللّحنُ فى هذا لعُلَيّةَ ثقيلٌ أوّل. وفيه لإبراهيم بن المهدىّ ثانى ثقيلٍ عن الهشامىّ.

توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها

أخبرنى جَحْظَةُ قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه: أنّ عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ وُلِدتْ سنة ستين ومائة، وتُوُفِّيَتْ سنةَ عشر ومائتين (1) ولها خمسون سنة. وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عبّاس. وأخبرنى محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حدّثنى محمد بن علىّ بن عثمان قال: ماتت عُلَيّةُ سنةَ تسع ومائتين، وصَلَّى عليها المأمون. وكان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمّها إليه وجعل يقبِّل رأسَها، وكان وجهُها مُغَطًّى، فشَرِقتْ من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعَقِب هذا أيّامًا يسيرةً وماتت.

(1) فى الأصول: «ست عشرة ومائتين» والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة.

وممّن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرّشيد

فمن صنعته :

صــــوت

قام بقلبي وقَعَدْ * ظبيٌ نَقِىّ عنّى الجَلَدْ
خلّفنى مُدَلَّهًا * أهيمُ فى كلّ بَلَدْ
أسْهَرنى ثم رَقَدْ * وما رثى لى من كَمَدْ
ظبيٌ إذا آزددتُ له * تذلُّلاً تاه وصَدّْ
واعَطَشَا إلى فَمٍ * يَمُجُّ خمرًا من بَرَدْ ٩٦/٩

عروضه من مجزوء الرَّجَز. والشعرُ والغِناء لأبى عيسى بن الرّشيد، ولحنُه فيه ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى من روايتى عبد الله بن المعتزّ والهِشامىّ . وذكر الهِشامىّ أنّ له أيضًا فيه لحنًا من ثقيل الرَّمَل ، وذكر حَبَشٌ أنّ الرَّمَلَ لحسين بن مُحْرِز . وفيه لأبى العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ ثقيلٍ .

أخبار أبي عيسى بن الرّشيد ونسبه

شيء من أوصافه

اسمه أحمد، وقيل بل ٱسمُه صالح بن الرشيد. وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح. وأُمُّه أُمُّ ولدٍ بَرْبَرِيَّة . وكان من أحسن النّاس وجهًا ومُجَالسةً وعِشْرةً ، وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدّهم عَبَثًا . وكان يقول شعرًا لَيِّنًا طَيِّبًا من مِثْلِه .

كان جميل الوجه

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفاف قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر ٱبن الحسين) يحدّث أنه سمع الرشيدَ يقول للمأمون : أنت تعلم أنك أحبّ الناس إليّ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت .

كان اذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد قال :

كان يقال : انتهى جَمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عزَم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوْه أكثر مما يجلسون للخلفاء .

مدحت عريب حسنه وغناءه

حدّثني محمد قال حدّثني يعقوب بن بَنَان قال حدّثني عليّ بن الحسين الإسكافيّ قال :

كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بنِ بُلْبُل وعنده عَرِيبُ، فسمِعتُها تقول : انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى النـاس مثلَهما ، وكان المعتزّ في طِرازهما . قال : وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غِناء[1] أبي عيسى ابن الرّشيد ! وما سمِعتُ قَطُّ غِناءً أحسنَ من غِنائه ، ولا رأيت وجهًا أحسن من وجهه .

(١) كذا في أ ، م . وفي حـ : « في غنائك من غناء أبي عيسى الخ » . وفي ب ، سـ : « في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى الخ » .

عجب الرشيد من جواب له فى صباه وقبله

أخبرنى محمد قال حدّثنى الغَلَابِىّ قال حدّثنا يعقوب بن جعفر قال :

قال الرّشيد لأبى عيسى آبنه وهو صبىّ : ليت جمالك لعبد الله (يعنى المأمون). فقال له : على أنّ حظّه منك لى . فعجِب من جوابه على صِباه وضمّه إليه وقبّله .

تسخط من رؤية هلال شهر رمضان

وأخبرنى الحسن بن علىّ وأحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :

حدّثنى مَنْ شَهِد المأمونَ ليلةً وهم يتراءَوْنَ هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه، فرأَوْه وجعلوا يَدْعُون. فقال أبو عيسى قولًا أُنكِر عليه فى ذلك المعنى . كأنه كان متسخِّطًا لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الحسين بن فَهْم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :

دهانىَ شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرِ * وما صُمْتُ شهرًا بعدَه آخِرَ الدّهرِ
فلو كان يُعْدِينى الإمامُ بقُدْرةٍ * على الشهر لاستعدَيْتُ جهدى على الشّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع فى اليوم مرّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهرا آخر .

مدح ابراهيم بن المهدى غناءه

٩٧
٩

وذكر علىّ بن الهشامىّ عن جدّه آبن حَمْدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدىّ : مَنْ أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : أبو عيسى بن الرّشيد . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : مُخارق .

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى آبن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله آبن طاهر قال حدّثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدىّ[1] قال :

كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغدّيان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِندَباءةً[2] فغمَسها فى الخلّ وضَرب بها عينَ طاهر الصحيحة . فغضب طاهرٌ

(١) هذه النسبة الى صعدة ، وهى من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفى طعمه مرارة . (انظر مفردات ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

وشَقّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَىَّ ذاهبةٌ ، والأخرى على يَدَىْ عَدْل، يُفْعَل هذا بى بين يدَيْكَ ! ! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَعْبَث بى أكثر من هذا العَبَث[١] .

عرّض بيعقوب بن المهدىّ فضحك المأمون ونهاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله ابن طاهر قال حدّثنى أبو عيسى بن علىّ بن عيسى بن ماهان قال :

بينا المأمون يخطُب يومَ الجمعة على المنبر بالرُّصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهه فى المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدىّ وكان أفْسَى الناس، معروفًا بذلك. فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمَّه على أنفه، وفَهِم المأمون ما أراد فكاد أن يضحَك . فلمّا انصرف بَعَث إلى أبى عيسى فأحضره وقال له : والله لَهَمَمْتُ أن أبطحَك فأضربك مائةَ دِرّة! ويْلَكَ ! أردتَ أن تفضَحنى بين أيدى الناس يوم جمعة وأنا على المنبر ! إيّاك أن تعود لمثل هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدىّ لايقدر أن يُمْسك الفُساء إذا جاءه ، فاتخذت له دايةٌ مُتَكَّأةً مثلَّثةً وطيّبتْها وتنوّقتْ فيها . فلمّا وضعتْها تحته فَسا، فقال: هذه ليست بطيّبة . فقالت له الداية : فديتُك! هذه قد كانت طيّبة وهى مثلثة، فلما ربّعتَها فسدتْ . قال : وكان يعقوب هذا مُحَمَّقًا، كان يخطُر بباله الشىءُ فيشتهيه فيُثْبِتُه فى إحصاء خزائنه . فضَجّ خازنُه من ذلك، فكان يُثْبِتُ الشىءَ ثم يُثْبِتُ تحته أنه ليس عنده، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملكه . فوُجِد فى دفتر له فيه[٢] ثَبَتُ ثيابٍ : "ثَبَتُ ما فى الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانيّة والهشاميّة، لاشىء — أستغفر الله — بل عندنا منها زرحيّة[٣] كانت للمهدىّ . الفصوص الياقوت الأحمر التى من حالها كذا وكذا لا شىء — أستغفر الله — بل عندنا منها دُرْجٌ كان فيه

(١) فى حـ ، ب ، سـ : «معى» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «...دفتر عنده له فيه» . (٣) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب ، ولم نعثر عليها فيما عرفناه من مظانّ .

للمهدىّ خاتَمُ هذه صفتُه ». فحُمِل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لمّا قرأه حتى فَحَص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قطّ .

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلى الأمر بعده

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا سليمان بن داود المهلَّبىّ قال حدّثنى الهَيْثَم ابن محمد بن عَبّاد عن أبيه قال :

كان المأمون أشدّ الناس حبًّا لأبى عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعدَه ، وتذاكرنا ذلك كثيرا . وسمِعته يقول يومًا : إنه ليَسْهُل علىّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلْك ، وما يسهل شىء منهما على أحد ، وذلك لمحبّتى أن يَلِىَ أبو عيسى الأمرَ من بعدى لشدّة حُبِّى إيّاه .

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته ، وكان ذلك سبب موته

أخبرنى محمد بن علىّ قال حدّثنى عبد الله بن المُعْتَزّ قال :

كان سبب موت أبى عيسى بن الرّشيد أنه كان يحب صَيْدَ الخنازير ، فوقع عن دابّته فلم يَسْلَم دماغُه ، فكان يتخبّط فى اليوم مرّاتٍ إلى أن مات .

عزاء محمد بن عباد المأمون فيه

حدّثنى محمد قال حدّثنا أبو العَيْناء قال حدّثنا محمد بن عَبّاد المهلَّبىّ قال : لمّا مات أبو عيسى بن الرّشيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتى علىّ ، فخلعت عِمامتى ونبذتُها وراءَ ظهرى — والخلفاءُ لا تُعَزَّى فى العمائم — ودنوتُ . فقال لى : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مصيبةٍ أخطأتْك تهون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .

٩٨
٩

مات سنة تسع ومائتين

أخبرنا محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال سمعت هِبَة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرّشيد سنةَ تسع ومائتين ، وصلّى عليه المأمون ونزل فى قبره ، وامتنع من الطعام أيامًا حتى خاف أن يَضُرّ ذلك به .

وجد عليه المأمون وجدا شديدا

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى أبو العَيْناء قال سمعت محمد ابن عَبّاد يقول :

لمّا تُوفِّيَ أبو عيسى بن الرّشيد وجَد المأمونُ عليه وَجْدًا شديدًا، وكان له مُحِبًّا وإليه مائلًا . فركب الى داره حتى حضر أمرَه وصلَّى عليه، وحضره الناس، وكنتُ فيمن حضَر، فما رأيتُ مُصَاباً حزينا قطّ أجمل أمرًا فى مُصيبةٍ ولا أَحْرَقَ وجدًا منه من رجل صامت تجرى دموعُه على خدّيه من غير كلح(١) ولا آستِنْثَارٍ .

بكاء المأمون وتمثل شعرا وعزاه فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعده وناحت عليه عريب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن أبى سعد الورّاق قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثنى أبى قال قال أحمد بن أبى دُوَاد :

دخلتُ على المأمون فى أوّل صحبتى إيّاه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محبًّا وهو يَبكى ويَمْسَحُ عينيه بمنديل، فقَعدتُ إلى جنبِ عمرو بن مَسْعَدَةَ وتمثّلتُ قولَ الشاعر :

نَقْصٌ من الدّنيا وأسبابها * نقصُ المنايا من بنى هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكى، ثم مسح عينيه وتمثّل :

سأبكيك مافاضتْ دموعى فإن تَغِضْ * فحسبُكَ منّى ما تُجِنُّ الجوانح
كأنْ لم يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ ولم تَنُحْ * على أحدٍ إلّا عليكَ النوائح

ثم التفت إلىّ فقال : هِيه يا أحمد ! فتمثّلتُ قولَ عَبْدَةَ بن الطَّبِيب :

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ما شاء أن يترحَّمَا
تحيّةَ مَنْ أَوْلَيْتَه منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سلَّمَا
وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدّما

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مَسْعَدَة فقال: هِيه يا عمرو! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بَكَّوا حُذَيْفَةَ لم تُبَكُّوا مِثْلَه * حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتب اللغة : كلح وجه الرجل كلوحا وكلاحا (كغراب) : تكشر فى عبوس أو عبَس فأفرط فى تعبسه . والاستنثار : إخراج ما فى الأنف من أذى .

فإذا عَرِيبُ وجَوارٍ معها يَسْمَعْنَ ما يدور بيننا، فقلن : اِجعلوا لنا معكم في القول نصيبًا . فقال لها المأمون : قُولى، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير . فقالت :

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ (١) * وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُــذْرُ

كأنَّ بنى العبّاس يــومَ وفاته * نجــومُ سمــاءٍ خَرَّ من بينها البــدر

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون: نُوحِى، فناحت وردّ عليها الجوارى . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتْ نفسُه، وبَكَيْنا معه أحرَّ بكاء، ثم أمسكتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعِى فيــه لحنًا وغَنِّى به . فصنعتْ فيه لحنــا على مذهب النَّوْح وغنَّتْه إيّاه على العُود . فوالذى لا يُحْلَفُ بأجَلّ منه لقد بَكَيْنا عليه غناءً أكثرَ ممّا بَكَيْنا عليه نَوْحًا .

طلب المأمون من أبى العتاهيــة أن يسليه عنه

٩٩ / ٩

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الطَّبيب (٢) بن محمد الباهلىّ قال حدّثنى موسى ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

لمّــا مات أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْدًا شديدًا حتى امتنع من النَّوْم ولم يَطْعَم شيئًا . فدخل عليه أبو العَتَاهِيَة ، فقال له المأمون : حدِّثنى يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان فى مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أَطْيَبَ طِيبه وركِب أَفْرَهَ خَيْلِه وتقدّم إلى جميع مَنْ معه أن يركب فى مِثْلِ زِيّه وأكمل سلاحه، ونظر فى مرآته فأعجبتْه هيئتُه وحسنُه، فقــال : أنا الملك الشابّ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت :

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقَى * غــيرَ أنْ لا بقاءَ للإنســان

أنت خِلْوٌ من العيوب وممّــا * يكره النــاسُ غــيرَ أنّك فانى

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى، وقد قتل هذا الأمير فى حرب كانت بينه و بين أصحاب بابك الخرمى سنة ٢١٤ هجرية . والمروى هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية، فتأمل هذا . وأصل الشعر « كأن بنى نبهان » فغير وجعل « كأن بنى العباس » .

(٢) فى ب، س : « الطيب » .

فأعرض بوجهه، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو فى قبره. قال: فبكى المأمون والناس، فما رأيت باكيًا أكثرَ من ذلك اليوم. قال: وهذان البيتان لموسى شهوات.

بعض أصواته

ومن غناء أبى عيسى وجيِّد صنعته، والشعرُ له، وطريقتُه من الثقيل الثانى مطلق فى مجرى البنصر. وذكر حَبَشٌ أن فيه لحُسَين بن مُحْرِز أيضًا صنعةً من خفيف الرَّمَل:

صـــوت

رَقَدَتْ عنك سلْوتى * والهوى ليس يَرْقُدُ
وأطار السُّهادُ نو * مى فنومى مُشَرَّدُ
أنت بالحُسْن منك يا * حَسَنَ الوجه تَشْهَدُ
وفؤادى بحُسْنِ وجـ * ـهِك يَشْقَى ويَكْمَدُ

ومن غنائه أيضا وهو من صدور صنعته فى شعر الأخطل — ولحنه من الثقيل الأوّل —:

صـــوت

إذا ما زيادٌ علَّنِى ثم علَّنِى * ثلاثَ زُجاجاتٍ لهنَّ هَدِيرُ
خرجتُ أجُرُّ الذيلَ حتى كأننى * عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

ولإسحاق فى هذا الشعر رَمَلٌ بالبِنصر عن عمرو.

*
* *

ومِمّن عُرِفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادى

فمن صنعته:

صوته فى شعر له

صـــوت

تقاضاك دهرُك ما أسْلَفا * وكدَّر عيشَك بعد الصَّفا
فلا تجْزَعنّ فإنّ الزمانَ * رهينٌ بتشتيت ما ألَّفا
وما زال قلبُك مأوى السرور * كثيرَ الهوى ناعمًا مُتْرَفا
ألحَّ عليك بروْعاته * وأقبل يَرْميك مُسْتَهدِفا

الشعر والغِناء لعبد الله بن موسى. ولحنه ماخُورِىّ وهو خفيفُ الثقيل الثانى بالوسطى.

اختلف مع ثقيف الخادم فى صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فلم عليه، وكان معربدا

١٠٠ / ٩

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى أبو حشيشة قال :

كان عبد الله بن موسى الهادى أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً . وكان له غلام أسود يقال له قلمّ، فعلّمه الصوت وحذّقه . فاشترته منه أمّ جعفر بثلثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدّثنى دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضارب مولاى عبدَ الله بنَ موسى وقد أخذ النّبيذُ من الجماعة . فضرب عبدُ الله وثقيفٌ صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذتُه من منصور زلزل . وقال ثقيفٌ : كذا أخذتُه منه ، وطال تشاجُرهما فيه . وكان ثقيف مُعربِدًا يذهَب عقلُه من أدنى شيءٍ يشربه ، وكان عبد الله أيضًا معربِدًا . فغضب ثقيف ورفَع العودَ وهو لا يعقِل ، فضرَب به رأسَ عبدِ الله ابنِ موسى فطوّقه إيّاه . وابتدر خَدَمُ عبدِ الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُق فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْق الله عَرْبَدةً أيضا ، فرُزِق فى ذلك اليوم حِلمًا لم يُرَ مثلُه ، وقال لخَدَمه : إن قتلتُه قتلتُ كلبًا وتحدّث الناس بذلك ، ولكن آخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخلْ منزلى أبدا .

دعا الحفصى فآثر عليه أخاه اسماعيل

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرنى الحَفصىّ المِعْزَفىّ قال :

دعانى عبد الله بن موسى يوما ودعانى أخوه إسماعيل؛ فآثرت إسماعيل لِما كان فى عبد الله من العَرْبدة . فلم نشعُر إلّا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلِّدًا سيفًا وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا فى الحُجَر ، فنزَل عن دابّته وجلس . وجئنا إسماعيل بين يديه إجلالًا له ، وقال له : ياسيّدى قد سَرَرْتَنى بتفضّلك ومَصيرك إلىّ . قال : دَعْنى من هذا ، مَنْ عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعدّ جماعةَ مَنْ كان عنده . قال له : هاتِهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعًا . فأقبل علىّ من بينهم فقال لى : يا حَفْصىّ ! أبعثُ إليك ثلاثةَ أيامٍ تباعًا فتَدّعى وتجىء إلى إسماعيل ! وضرَب بيده إلى سيفه ،

فقام إسماعيل بينى و بينه وقال : نَعَمْ! يَجِيئنى ويَدَعُك؛ لأنه لا يَنْصرفُ من عندك إلّا بِشَجَّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حرمان، ولا ينصرف من عندى إلّا ببِرٍّ مع خِلْعةٍ ووعدٍ مُحَصَّل، أفَتلومُه على ذلك! . فكَفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وآنصرف .

قال شعرا فى خادم لصالح بن الرشيد

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود — وكان يكتب لأبى جعفر — قال :

كنتُ جالسا مع عبد الله بن موسى الهادى، فمرّ به خادمٌ لصالح بن الرّشيد. فقال له : ما آسمك؟ فقال له : اسمى "لاتَسَلْ". فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنْطقه فقال لى : قُمْ بنا حتى نُسَرّ اليوم بذكر هذا البدر، فقمت معه . فأنشدنى فى ذلك اليوم :

وشادنٍ مرّ بنا * يجرح باللّحظ المُقَلْ
مظلوم خَصْرٍ ظالمٍ * منه إذا يمشى الكَفَلْ
اعتدلتْ قامتُه * واللحظُ منه ما عَدَلْ
بدرٌ تراه أبدًا * طالعَ سعدٍ ما أفَلْ
سألتُه عن آسمه * فقال لى آسمى "لا تَسَلْ"
وأُطْلِعَتْ فى وجنتيـ * ـه وَرْدتان من خَجَلْ
فقلتُ ما أخطأ مَنْ * سمَّاك بل قال المَثَلْ
لا تسألنْ عن شادنٍ * فاق جَمالًا وكَمَلْ

١٠١ / ٩

قال : وقال فيه — وقد قيل إنه من هذه الأبيات — :

عزّ الذى نَهْوَى وذَلّْ * صَبُّ الفؤادِ مُخْتَبَلْ
لَجَّ به الهجرُ وذا الـ * ـهجرُ اذا لَجّ قَتَلْ
من شادنٍ مُنْتَطِقٍ * فاق جَمالاً وكَمَلْ
تناصف الحُسْنُ به * فلا تَسَلْ عن "لاتَسَلْ"

كان له ابن جيد الضرب وطلب الى المكى أن يقومه موهما أنه مملوك

وقال حدّثنى محمد بن أحمد المكىّ عن أبيه قال :

دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتُقَوِّم غلامًا ضاربًا مُغَنِّيًا قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشترِى ؟ فقلت نعم . فأخرج الىّ آبنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه ، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر، فأخذ عودًا فضرب ، فأكبَبْتُ على يديه أقبّلهما . فقال لى عبد الله : أتُقَبِّلُ يدَ غلامٍ مملوك ! ! قلت : بأبى وأُمّى هو من مملوك ! وقبّلتُ رجلَه أيضا . فقال : أمّا إذ عرفتَه فأُحِبُّ أن تضارِبَه ، ففعلت ، فلمّا رأى الغلامُ زيادتى عليه فى الضَّرْب آغتمّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ . فضحِكتُ وقلت : هو ذاك يا سيّدى . وعجِبت من حِدّة جوابه معتذرًا على صِغَر سِنِّه .

كان كريما ممدحا

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال :

كان عبد الله بن موسى جوادًا كريمًا ممدَّحًا ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه لحن من خفيف الثّقيل الأول بالبِنْصر — :

صــــوت

أعبدَ الله أنت لنا أمــيرٌ * وأنت من الزمان لنا مُجِيرُ
حكَيْتَ أباك موسى فى العَطَايا * إمامُ النّاس والملكُ الكبيرُ

غنى بشعر لعمر بن أبى ربيعة

قال محمد بن يحيى والعَتّابىّ : ولعبد الله بن موسى غِناءٌ فى قول عمر بن أبى ربيعة :

صــــوت

إنّ أسماء أرسلتْ * وأخو الشوق مُرْسِلُ
أرسلتْ تَسْتَزِيرُنى * وتُفَــدِّى وتعــذُلُ

ولحنُه فيه رَمَلٌ . قال : وفيه لآبن سُرَيْج والغَرِيض ومالكٍ ألحانٌ .

عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش فى كتاب المُغتالين قال حدّثنى أبو سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبيبَ قال :

كان عبد الله بن موسى الهادى مُعَرْبِدًا ، وكان قد أحْفَظَ(١) المأمونَ مما يُعَرْبِدُ عليه إذا شرِب معه . فأمر بأن يُحْبَس فى منزله فلا يخرجَ منه ؛ وأقْعد على بابه حَرَسًا . ثم تذمَّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه ، ثم نادمه فعَرْبَد عليه أيضًا وكلَّمه بكلام أحفظه . وكانَ عبد الله مُغْرَمًا بالصَّيد ، فأمر المأمونُ خادمًا من خواصّ خدمه يقال له "حسين" فسَمَّه فى دُرَّاجٍ وهو بِرسى أباد(٢) ، فدعا عبدَ الله بالعَشاء ، فأتاه حسين بذلك الدُّرّاج فأكله . فلما أحَسَّ بالسمّ ركب فى الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماترونى . قال : وأكل معه من الدُّرّاج خادمان ، فأمّا أحدهما فمات من وقته ، وأمّا الآخر فبقى مدّة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

⁂

١٠٢ / ٩

وممّن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته :

أَلَا يا دَيْرَ حَنْظَلةَ المُفَدَّى(٣) * لقد أورثتَنى سَقَمًا وكَدّا
أَزُفُّ من العُقار إليك دَنًّا(٤) * وأجعل تحته الوَرَقَ المُنَدَّى

الشعر والغِناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرنى بذلك محمد بن يحيى الصُّولىّ عن عبد الله بن المعتزّ وله فيه لحنان خفيفُ رَمَلٍ وخفيفُ ثقيل . وفيه لعبد الله بن موسى الهادى رَمَلٌ . وفيه ثانى ثقيل ، وذكر حَبَش — وهو ممن لا يُحَصَّل قولُهُ — أنه لحُنَين ، ولم يَصِحّ عندنا مَنْ صانعُه .

(١) فى حـ : « وكان قد أعضل بالمأمون » أى أعياه أمره وضاقت به الحيل فيه .
(٢) لم نقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الدير فى ص ٢٠٠ — ٢٠١ من هذا الجزء . (٤) فى أ ، م ، حـ : « زفا » بالفاء وهى مصحفة عن « زقا » بالقاف .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

نسبه

عبدُ الله بن محمد الأمين بن هارون الرَّشيد بن محمد المهدىّ بن عبد الله المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب . وأُمُّ عبدِ الله بن محمد أُمُّ وَلَد . وكان ظريفًا غَزِلًا يقول شعرًا لَيِّنًا ويصنع صنعةً صالحةً . وأُمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبٌ غلَب عليها، وٱسْمُها أَمَةُ العزيز . وكان المنصور يُرَقِّصُها وهى صغيرة — وكانت سمينةً حسنةَ البدن — فيقول لها : يا زُبيدة يا زبيدة، فغلَب عليها ذلك .

كان صديقا لأبى نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعرا فأخذها له منه

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال :

كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبى نَهْشَل بن حُمَيْد مودّة . فاعترض عبدُ الله جاريةً مغنّيةً لبعض نساء بنى هاشم وأَعْطَى بها مالًا عظيمًا . فعرَفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه فى السَّوْم، فتركها ليكسرهم . فجاء أخ لأبى نَهْشَل بن حُمَيْد فٱشتراها وزاد . فتبِعتْها نفسُ عبدِ الله، فسأل أبا نَهْشَلٍ أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبى نهشل :

يآ بنَ حُمَيْدٍ يا أبا نهشلٍ * مِفْتاحَ بابِ الحَدَثِ المُقْفَلِ
يا أكرمَ الناس وِدادًا وأر * عاهم لحقٍّ ضائعٍ مُهْمَلِ
أحسنتَ فى ودّى وأجملتَ بل * جُزْتَ فِعالَ المُحْسِنِ المُجْمِلِ
بيتُك فى ذى يَمَنٍ شامخٌ * تَقْصُر عنه قُنَنَا يَذْبُلِ(١)
خَلَفْتَ فينا حاتمًا ذا النَّدَى * وجُدْتَ جَوْدَ العارضِ المُسْبِلِ
أَىُّ أخٍ أنتَ لِذِى وَحْدَةٍ * تركتَه بالعزِّ فى جَحْفَلِ

(١) يذبل : جبل مشهور الذكر بنجد .

نجومُ حَظّى منــك مَسْعودةٌ * فيا أرَجِّى لَسْنَ بالأُفَّــلِ
فصَــدِّقِ الظنَّ بمــا قلتَــه * وسَهِّــلِ الأمرَ به يَسْهُــلِ
لا تَحْــرِمَنِّى ولَدَيْكَ المُــنَى * باللهِ صَيْدَ الرَّشأ الأكْحَــلِ
رُميتُ منــه بسِهام الهــوى * وما دَرَى بالرَّمْى[1] فى مَقْتَــلى
أدنَيْتَنى بالوعــد فى صَــيْده * إدْناءَ عَطْشانٍ من المَنْهَــلِ
ثم تناسيتَ وأسْــلَمتَنى * إلى مِطَــالٍ مُوحِش المَــنْزِلِ
تركتَنى فى لُجَّــةٍ عائمًــا * لا أعرف المُدْبِرَ من مُقْبِلِ
صَــرِّحْ بأمرٍ واضحٍ بَيِّنٍ * لا خيرَ فى ذى لَبْس[2] مُشْــكِلِ

١٠٣ / ٩

قال : فلم يزل أبو نَهْشَلٍ بأخيه حتى نَزَل له عنها .

خرج الى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر

وأخبرنى الصُّولىّ أيضا بغير إسناد، ووجدتُ هــذا الخبرَ فى كتابٍ لمحمــد ابن الحَسن الكاتب يَرْويه عن أبى حَسَّان الفَزَارىّ قال :

كان أبو نَهْشَل بن حُمَيْد صديقًا لعبد الله بن محمد الأمين ونديمًا له وكانت لعبد الله ضَيْعة بالسَّواد تُعْرَف بالعَمْرِيَّة ، فخرج إليها وأقام بها أيامًا . فكتب إليه أبو نهشل :

سَــقَى اللهُ بالعَمْرِيّة الغيثَ مَــنْزِلًا * حَلَلْتَ به يا مــؤنِسى وأمــيرى
فأنت الذى لا يَخْلُق الدهرَ ذكرُه * وأنت أخى حقًّــا وأنت سرورى

فأجابه عبد الله :

لئن كنتُ بالعَمْرِيّة اليومَ لاهيًــا * فإنّ هواكم حيث كنتُ ضميرى
فــلا تحسبنِّى فى هواكم مُقَصِّرًا * وكن شافعى من سُخْطكم ومُجِــيرى

قال محمد بن الحسن فى خبره : وصنع عبد الله فى هذه الأبيات الأربعة لحنا، وصنع فيها[3] سُلَيْم بن سَلّام لحنًا آخر .

(١) فى حـ : «ما الرمى» . (٢) حرّك لضرورة الشعر . (٣) فى الأصول : «فيه» .

نادم الواثق والخلفاء من بعده الى المعتمد، وشعر له فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثنا عبد الله بن المعتز قال :

كان عبد الله بن محمد الأمين ينادِم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمِد.

قال : وأنشدنى له فى المعتمد :

رأيتُ الهـلالَ على وجهكا * فما زِلتُ أدعـو إلٰهى لكا
فـلا زلتَ تحيا وأحيا معًا * وآمننى الله من فَقْـدِكا

قال : ومن شعره — وله فيه لحنٌ من الرَّمَل الثانى وهو خفيف الرمل — :

صـــوت

يا مَنْ به كلُّ خَلْقٍ * تراه صَبًّا مُتَيَّمْ
ومَنْ تَجَالَلَ تيهًا * فما تراه يُكَلِّمْ
لا شيءَ أعجبُ عندى * ممن يراك فيَسْلَمْ

فأمّا دَيْرُ حَنْظَلةَ الذى ذكره فى شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته مُتَقَدِّما، فإنه دَيْرٌ بالجزيرة. أخبرنى بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزَاعِىّ قال حدّثنا الرِّياشِىّ قال أنشدنى أبو المُحَلِّم لحنظلة بن أبى عفراء أحد بنى حيّة الطائيّين وهم رَهْطُ أبى زُبَيد[(١)] ورهط إياس بن قَبِيصَةَ[(٢)] :

ومهما يكن رَيْبُ الزمان فإننى * أرى قمرَ الليل المُغَرِّبَ كالفتى
يَهُلُّ صغيرًا ثم يعظُم ضَوْءُه * وصورتُه حتى إذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضَوْءُه وشُعَاعُه * ويَمْصَحُ[(٣)] حتى يَسْتَسِرَّ فلا يُرَى

(١) هو حرملة بن المنذر بن معديكرب الطائى، كان نصرانيا وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام. (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق). (٢) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد قتله النعمان بن المنذر. (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩). (٣) مصح : ذهب وانقطع.

كذلك زَيْدُ المــرءِ ثم ٱنتقاصُــه * وتَكْرارُه فى دهره(١) بعــد ما مضى
تُصَبِّح أهــلَ الدّارِ والدّارُ زِينــةٌ(٢) * وتأتى الجبــالَ من شَمَاريخها العُلَا
فلا ذا غِنًى(٣) يرجِئْنَ عن فضل ماله * وإن قال أَخِّرْنى وخُذْ رِشــوةً أبَى
ولا عن فقــيرٍ يأتَجِرْنَ لفقــره * فتنفعَه الشــكوى إليهنّ إن شكا

قال : وكان حَنْظَلةُ هذا قد تعبّد فى الجاهليّة وتفكّر فى أمر الآخرة وتنصّر وبَنَى دَيْرًا ١٠٤ / ٩ بالجزيرة؛ فهو الآن يُعرَف به يقال له دَيْر حَنْظَلة . وفيه يقول الشاعر

يا دَيْرَ حَنْظَلةَ المهيِّج لِى الهَــوَى * قــد تستطيع دواءَ عشقِ العاشــقِ



وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكّل

كان عبدُ الله بن المتوكّل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيّد الصنعة ومنها المتوسط، قد سمعنا كثيرًا منها؛ إلّا أنى أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتّصِل به حَسَبَ ما شرَطْناه فى هذا الكتاب وضمّنّاه إيّاه من الأخبار، ثم أذكر أخبارَ أبى عيسى بعد ذلك

قال ٱبن المعتز حدّثنى النُّمَيْرِىّ قال سمعت أبا عيسى بن المتوكّل يقول: إذا أتممتُ صنعةَ ثلثمائة صوت وستين صوتًا عَدَدَ أيّام السنة تركتُ الصنعة، فلمّا صنعها ترك الصنعةَ . فمنها — وهو لَعَمْرِى من جيّــد الغِناء وفاخرِ الصنعة، ولو لم يصنع غيرَه لكفاه — فى شعر أبى العتاهية :

(١) فى معجم البلــدان : « فى إثره » .   (٢) فى الأصول : « ربــة » والتصويب عن معجم البلدان .   (٣) يلاحظ أن الضمائر فى هذا البيت والذى بعده متتابعة ، والمراد بها واحد هو الموت، فاذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا .

صـــوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا * حرَّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ

ولحنُه من الثَّقيل الأوّل . والشعرُ لأبى العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قدّمتُ ذكره بجودة صَنْعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغانى الأوائل .

ومنهـا :

صـــوت

هى النّفْسُ ما حَمّلتَها تتَحَمَّـــلُ * وللدّهرِ أيّامٌ تجـــورُ وتَعْـــدِلُ

وعاقِبـــةُ الصَّبرِ الجميلِ جميـــلةٌ * وأفضـلُ أخلاقِ الرجال التَّجَمُّلُ

الشعرُ لعلىّ بن الجَهْم . والغناء لأبى عيسى بن المتوكّل، ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

أخبار علىّ بن الجَهْم ونسبه

نسبه ونسب قبيلته بنى سامة

هو علىّ بن الجَهْم بن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرَّاز بن كعب ابن مالك(١) بن عيينة(٢) بن جابر بن الحارث(٣) بن عبد البيت بن الحارث بن سَامَةَ بن لُؤَىّ ابن غالب . هكذا يدّعون ، وقريش تدفعهم عن النَّسب وتسمّيهم بنى ناجيةَ ، يُنْسَبون إلى أمّهم ناجية ، وهى آمرأة سامةَ بن لُؤَىّ . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج الى ناحية البَحْرَيْن مغاضِباً لأخيه كعب بن لؤىّ فى مُمَاظّة(٤) كانت بينهما ، فطأطأتْ ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العُشْب ، فعلِق بمِشْفَرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكّتْه به ، فدبّ الأفعى على القَتَب حتى نهش ساقَ سَامَةَ فقتله . فقال أخوه يَرْثيه(٥) :

عينُ جُودِى لسامَةَ بنِ لُؤَىٍّ ✽ عَلِقتْ ساقَ سَامَةَ العَلَاقَهْ(٦)
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَها آبنَ لُؤَىّ ✽ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَهْ

وقال مَنْ لم يدفع بنى سَامَةَ من نَسَّابى قريش : وكانت معه آمرأته ناجية . فلمّا مات تزوّجتْ رجلًا من أهل البحرَيْن فولَدَت منه الحارثَ ، ومات أبوه وهو صغير . فلمّا تَرَعْرَع طمِعتْ أُمّه فى أن تُلْحقه بقريش ، فأخبرته أنه آبن سَامَةَ بن لُؤَىّ . فرحل

(١) فى ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) فى ابن خلكان : «عتبة» .
(٣) فى ابن خلكان : « ...ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك ابن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ» . (٤) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٥) ورد فى لسان العرب (فى مادّة «فوق») أن امرأة رجل من الأزد هى التى قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها ضيفا . فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت اليه زوجة الأزدى فأعجبها . فلما رمى سواكه أخذتها فمصتها . فنظر اليها زوجها ، فحلب ناقة وجعل فى حلابها سما وقدمه الى سامة ، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير . فبينا كان فى موضع يقال له جوف الخميلة نهشه أفعى ، كما جاء فى الأصل . وانظر بقية هذا الشعر فى لسان العرب . (٦) العلاقة : فى الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

١٠٥/٩ من البحرين إلى عمّه كَعْب وأخبره أنه آبن أخيه سامةَ. فعرَف كعب أُمَّه وظنّه صادقًا فى دعواه. ومكث عنده مدّةً، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البَحْرَيْن، فرأَوُا الحارثَ فسلّموا عليه وحادثوه ساعةً. فسألهم عنه كعب بن لُؤَىّ ومن أين يعرفونه، فقالوا له : هذا آبن رجلٍ من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبرَه. فنفاه كعبٌ ونَفَى أُمَّه، فرجَعا إلى البحرَيْن فكانا هناك، وتزوّج الحارثُ وأَعْقَب هذا العَقِبَ. ورُوِىَ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "عَمِّى سَامَةُ لم يُعْقِبْ". وكان بنو ناجيةَ آرتدّوا عن الإسلام. ولما وَلِىَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام، فأَسْلَمَ بعضُهم وأقام الباقون على الرِّدّة فسَبَاهم وآسترقّهم؛ فاشتراهم مَصْقَلَةُ[(٢)] ابن هُبَيْرة منه وأدّى ثُلُثَ ثَمَنِهم وأشهد بالباقى على نفسه، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليله إلى معاوية، فصاروا أحرارا، ولزِمَه الثمنُ، فشعّث[(٣)] علىٌّ بن أبى طالب شيئًا من داره، وقيل بل هدَمها. فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفةَ حتى قُتِل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

وزعم آبن الكلبىّ: أنّ سَامَةَ بن لؤىّ وَلَدَ غالبَ بن سَامَةَ وأُمُّه ناجيةُ، ثم هلك سَامَةُ فخلَف عليها آبنه الحارث بن سَامَةَ، ثم هلك آبنا سامة ولم يُعْقِبا[(٤)]، وأنّ قومًا من بنى ناجيةَ بنت جَرْم بن رَبَّان[(٥)] عِلاَف[(٦)] آدَّعَوْا أنهم بنو سَامَةَ بن لؤىّ، وأنّ أمّهم ناجية

(١) فى الأصول : « من أهل البحرين » . (٢) انظر هذه القصة مفصلة فى الطبرى ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢) . (٣) يريد أنه نقض بعضا منها .
(٤) فى أ ، م : «ثم هلك ابن سامة ولم يعقب» . (٥) فى الأصول هنا : «ابن جرم» .
(٦) ربان علاف : بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشدّدة ، وليس فى العرب غيره ، ومن سواه فبالزاى المعجمة . وقد ورد هذا الاسم فى الأصول محرفا بصور شتى ، وفى أكثرها زيادة "ابن" بين ربان وعلاف ، وهما لشخص واحد ، كما ذكر ذلك المؤلف فى الصفحة التالية . (راجع القاموس وشرحه فى مادتى ربن وعلف) .

هذه ونَسَبوها هذا النسبَ، وٱنْتَمَوْا الى الحارث بن سَامَةَ وهم الذين باعهم علىّ بن أبى طالب إلى مَصْقَلةَ . قال : ودليلُ ذلك وأنّ هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم قولُ علقمةَ الخَصِىّ التَّيمِىّ أحدِ بنى رَبِيعة بن مالك :

زعمـتم أنّ ناجِىَ بنتَ جَرْم * عجوزٌ بعــد ما بَلِىَ السَّنَامُ
فإن كانت كذاك فألبِسوها * فإنّ الحَلْىَ للأُنثى تمــامُ

وهذا أيضًا قولُ الهَيْثَم بن عدِىّ. فأمّا الزُّبير بن بَكّار فإنّه أدخلهم فى قريش وقال: هم قريشُ العازِبةُ. وإنما سُمُّوا العازِبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أُمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبّان وهو عِلَاف، وهو أوّل من ٱتخذ الرِّحالَ العِلافيَّةَ فنُسِبَتْ إليه. وٱسم ناجية ليلى؛ وإنما سُمِّيَتْ ناجيةَ لأنها سارتْ فى مَفَازةٍ معه فعطِشَتْ فٱستسقته ماء، فقال لها : المــاءُ بيرس يديك، وهو يريها السَّرابَ، حتى جاءت المــاءَ فشربت وسُمِّيَتْ ناجيةَ . وللزُّبَيْرِ فى إدخالهم فى قريش مذهبٌ وهو مُخَالَفةُ فِعْلِ أميرِ المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضِه رضى الله عنه، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبَيْرِ فى ذلك .

كان شاعرا فصيحا اختص بالمتوكل وهجا عليا وشيعته

وكان علىّ بن الجَهْــم شاعرا فصيحًا مطبوعًا، وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلَسائه، ثم أبغضه لأنه كان كثيرَ السِّعاية إليــه بنُدَمائه والذِّكْرِ لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتنقّصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبَسه مدّة . وأخبارُه تُذْكَر على شرحٍ بعد هذا . وكان ينحو نحوَ مروان بنِ أبى حَفْصةَ فى هجاء آل أبى طالب وذمّهم والإغراء بهم وهجاءِ الشِّيعة، وهو القائل :

ورافضةٍ تقول بشِعْبِ رَضْوَى * إمامٌ، خاب ذلك من إمامِ
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفًــا * من الأتراك مُشْرَعَةُ السِّهام

وفيه يقول البُحْتُرِىّ : ١٠٦ / ٩

إذا ما حُصِّلتْ عُلْيا قُرَيْشٍ * فلا فى العِـيرِ أنتَ ولا النَّفِيرِ
وما رُغَثاؤك الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ (١) * من الأقمار ثَمَّ ولا البـدورِ
ولو أعطاك ربُّك ما تَمَنَّى * لزاد الخلقَ فى عِظَمِ الأيـورِ (٢)
عَلامَ هَجَوْتَ مجتهِدًا عليًّا * بما لَفَّقتَ من كَذِبٍ وزُورِ
أمالَكَ فى ٱستِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ * يَكُفُّكَ عن أذى أهلِ القبـورِ

وسمِعه أبو العَيْناء يومًا يطعُن على علىّ بن أبى طالب رضىَ الله عنه، فقال له : أنا أدرى لِمَ تطعن على علىّ أميرِ المؤمنين . فقال له : أتعنى قصّة بَيْعه أهلى من مَصْقَلةَ بن هُبَيْرة ؟ قال : لا! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعولَ به، وأنت أسْفَلُهما .

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنى محمد بن سعد الهشامىّ قال :

كان علىّ بن الجهم قد هجا بَخْتَيَشُوع (٣)، فسبَّه عند المتوكّل فحَبَسه المتوكّل . فقال علىّ بن الجَهْم فى حَبْسه عِدّةَ قصائد كتب بها الى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك الى خُراسان . فقال أوّلَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها الى أخيه، أوّلها قوله :

توكّلْنا على رَبِّ السماءِ * وسلَّمْنا لأسبابِ القضاءِ
ووطَّنّا على غِيَرِ اللّيالى * نفوسًا سامحتْ بعدَ الإباءِ
وأَفْنِيةُ الملوكِ محجَّباتٌ * وبابُ الله مبذولُ الفِناءِ

(١) الرغثاء : أصلها عصب أو عرق فى الثدى يدر اللبن . واستعملها البحترى هنا فى الأب .

(٢) فى ديوان البحترى طبع مطبعة الجوائب :

ولو أعطاك ربك ما تمنى * عليه لزاد فى غلظ الأيور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٦٦٧، ١٤٣٧، ١٤٤٧، ١٧٩٠) .

هى الأيّامُ تَكْلُمُنا وتأسُو * وتأتى بالسعادة والشقاءِ
وما يُجْدِى الثَّراءُ على غَنِيٍّ * إذا ما كان محظورَ العطاء
حَلَبْنا الدّهرَ أشْطُرَه ومرّتْ * بنا عُقَبُ(١) الشّدائد والرَّخاءِ
وجرَّبْنا وجرَّب أوّلُونا * فلا شيءٌ أعزّ من الوفاء
ولم نَدَعِ الحياءَ لمسّ ضرّ * وبعضُ الضرّ يذهب بالحياء
ولم نَحْزَنْ على دنيا تولّتْ * ولم نُسْبَق إلى حُسْن العَزاء
تَوَقَّ النّاسَ يابْنَ أبى وأُمّى * فهم تَبَعُ المخافة والرَّجاء
ولا يَغْرُرْكَ من وَغْدٍ إخاءٌ * لأمرٍ مّا غدا حَسَنَ الإخاء
أَلَمْ تَرَ مُظْهِرين علىّ عَيْبًا(٢) * وهم بالأمس إخوانُ الصَّفاءِ
فلمّا أن بُلِيتُ غَدَوْا وراحُوا * علىّ أشدَّ أسبابِ البَلاء
أبَتْ أخطارُهم أن ينْصُرونى * بمالٍ أو بجاه أو ثَراءِ
وخافُوا أن يقالَ لهم خَذَلتم * صديقًا فادّعَوْا قِدَمَ الجفَاء
تضافرتِ الرّوافضُ والنّصارى * وأهلُ الاعتزال على هِجائى

— يعنى بأهل الاعتزال علىّ بن يحيى المنجّم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وعابونى وما ذنبى إليهم * سوى عِلْمى بأولاد الزِّناء
فبَخْتَيَشُوعُ يشهد لابن عمرو * وعَزُّونٌ لهارون المرائى ١٠٧/٩
وما الجذْماءُ بنتُ أبى سُمَيْرٍ * بجذماءِ اللّسان عن الخَناءِ
إذا ما عُدّ مثلُكُمُ رجالًا * فما فضلُ الرجال على النساء
عليكم لعنةُ الله ٱبتداءً * وعَوْدًا فى الصّباح وفى المَساء

(١) العقب : جمع عقبة وهى النوبة .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عتبا » وهو تصحيف .

إذا سُمِّيتُمُ للنّاس قالوا * أُولئك شَرُّ مَنْ تحت السّماء

أنا المتوكِّلىّ هوًى ورأيًا * وما بالواثقيَّة من خَفَاء

وما حَبْسُ الخليفةِ لى بعارٍ * وليس بمُؤْيِسى منه التنائى

قال أبو الشبل شعره فى الحبس كشعر عدى بن زيد

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد قال قال لى أبو الشِّبْل البُرْجُمِىّ : ما شِعر علىّ ابن الجهم فى الحبس بدون شعر عَدِىّ بن زيد (١) .

حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه الى خراسان فعذبه طاهر بن عبد الله فقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد قال :

كان سببُ حَبْس المتوكِّل علىَّ بنَ الجَهْم أنّ جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمِّشُ (٢) الخَدَم ويَغْمِزهم ، وإنّه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراءِ على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خُرَاسان وكتب بأن يُصْلَب إذا وَرَدَها يومًا الى الليل . فلما وصل الى الشاذِياخ (٣) حَبَسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرج فصُلِب يومًا الى الليل مجرّدا ثم أُنزِل . فقال فى ذلك :

لم يَنْصِبوا بالشّاذِياخ عَشِيَّةَ الإثنين مسبوقًا ولا مجهولا

نصَبوا بحمد الله مِلْءَ قلوبهم * شرَفًا ومِلْءَ صدورهم تَبْجيلا

ما ازداد إلا رفعةً بنُكُوله (٤) * وازدادت الأعداءُ عنه نُكُولا

هل كان إلّا الليثَ فارق غِيلَه * فرأيتَه فى مَحْمِل محمولا

(١) عدى بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر فى حبسه . (انظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٩٧ وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعبهم ويقرصهم . (٣) الشاذياخ : من ضواحى نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقا مدينة نيسابور ، فبنى فيه دارا له ، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التنكيل به ، وبالثانية الفرار عنه والاحجام . ويلاحظ فى الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلا ونكل به مخفف والاسم النكال بالفتح .

لا يأمَن الأعداءُ من شَدّاته * شدًّا يفصِّل هامَهم تفصيلا
ما عابه أن بُزَّ عنه لباسُه * فالسيفُ أهوَلُ ما يُرَى مسلولا
إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْرِى به * أن كان ليلةَ تِمِّه مبذولا
أو يَسْلُبوه المالَ يُحزِنْ فقدُه * ضيفًا ألمَّ وطارقًا ونَزيلا
أو يَحْبِسوه فليس يُحْبَس سائرٌ * من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا
إنّ المصائب ما تعدّت دينَه * نِعَمٌ وإن صَعُبَتْ عليه قليلا
واللهُ ليس بغافلٍ عن أمره * وكَفَى بربِّك ناصرًا ووكيلا
ولَتَعْلَمَنَّ(١) إذا القلوبُ تكشَّفَتْ * عنها الأَكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سبيلا

كتب المتوكل لطاهر باطلاقه فأطلقه فقال شعرا

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكّل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علىّ بن الجَهْم . فلمّا أطلقه قال :

أطاهرُ إنّى عن خُرَاسَانَ راحلُ * ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ
أأَصْدُق أم أَكْنِى عن الصِّدق(٢) إنّما * تخَيّرتَ أدْنَتْه إليك المحافلُ
وسارت به الرُّكْبَانُ وٱصْطَفَقَتْ به * أَكُفُّ قِيانٍ وٱجْتَنَبتْه القبائلُ
وإنّى بغالى الحمدِ والذّمّ عالمٌ * بما فيهما نامى الرَّمِيَّةِ(٣) ناضلُ

١٠٨
٩

وحقًّا أقولُ الصِّدقَ إنّى لمائلٌ * إليكَ وإن لم يَحْظَ بالودّ مائلُ
ألَا حُرْمَةٌ تُرْعَى ألَا عَقْدُ ذمّةٍ * لجارٍ ألَا فِعْلٌ لقولٍ مُشاكِلُ
ألَا مُنْصِفٌ إن لم نجد متفضِّلًا * علينا ألَا قاضٍ من الناس عادلُ

---

(١) فى أ، م : «وليعلمن» بالياء المثناة من تحت . (٢) فى أ، م : «عن الحق» . (٣) الرمية النامية : التى أصيبت ثم غابت عن الرامى وماتت؛ يقال أنمى فلان الصيد فنمى؛ قال امرؤ القيس يهجو :

فهو لا تنمى رميته * ماله لا عدّ من نفره

يريد على بن الجهم أنه يصيب مرماه . وناضل : وصف من نضله إذا سبقه أو غلبه فى المناضلة وهى المباراة فى الرمى .

فلا تَقْطَعَنْ غيظًا علىّ أنامِلًا * فقبلك ما عُضّت علىّ الأنامِلُ
أطاهِرُ إن تُحْسِنْ فإنّىَ مُحْسِنٌ * إليك وإن تَبْخَلْ فإنّىَ باخلُ

فقال له طاهر: لا تقل إلّا خيرا فإنى لا أفعل بك إلّا ما تحبّ؛ فوصله وحمله وكساه.

جمش جارية فباعدته فقال شعرا فأجابته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد قال:

كان علىّ بن الجَهْم فى مجلس فيه قَيْنةٌ، فعابثها وجمّشها، فباعدته وأعرضت عنه، فقال فيها:

خَفِى اللهَ فيمن قد تَبَلْتِ فؤادَه * وغادرته نِضْوًا كأنّ به وَقْرَا[(١)]
دعِى البخل لا أسمع به منك إنّما * سألتُك أمرًا ليس يُعْرِى لكم ظَهْرا

فقالت له: صَدَقْتَ يا أبا الحسن، ليس يُعْرِى لنا ظَهْرًا، ولكنّه يملأ بطنا!!

كان يتشاءم من الحارثى فرآه فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنا علىّ بن الجَهْم قال

كان الحارثىّ يجىء إلى حُلْوانَ[(٢)] وأنا أتولّاها — وكان علىّ بن الجَهْم على مظالمها — فإذا وردها وقع الإرجافُ[(٣)]، فلم يَزَلْ متّصلًا حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف. فأتانى مرّةً وظهر كوكب الذَّنَب فى تلك الليلة، فقلت:

لمّا بدا أيقنتُ بالعَطَبِ * فسألتُ ربّى خيرَ مُنْقَلَبِ
لم يَطْلُعا إلّا لآبِدةٍ[(٤)] * الحارثىُّ وكوكبُ الذَّنَبِ

(١) كذا فى الأصول بإثبات الياء فى «خفى» فى هذا البيت، وفى «دعى» فى البيت بعده. ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب لمذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام. لا فبعيد أن يقع مثل علىّ بن الجهم فى هذا الخطأ اللغوى؛ إذ الأمر من «خاف» للخاطبة «خافى».
(٢) حلوان: مدينة بالعراق. (٣) الإرجاف هنا: الزلزلة؛ يقال رجفت الأرض وأرجفت. (٤) الآبدة: الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش.

قال آبن المدبّر: وكان الحارثىّ أعور مُقَبَّح الوجه، وفيه يقول أبو علىّ البصير:

يا مَعْشَرَ البُصَرَاءِ لا تَتَطرَّفُوا(١) * جيشى ولا تتعرّضوا لنكيرى
رُدُّوا عــلىَّ الحــارِثىَّ فإنّه * أعْمَى يُدَلِّس نفسَه فى العُور(٢)

انحل شعرا لإبراهيم ابن العباس

أخبرنى الحسن قال حدّثنا آبن مَهْرويه قال أنشدنى إبراهيم بن المدبّر لعلىّ آبن الجَهْم وذكر أن عليًّا أنشده إيّاه لنفسه:

أَمِيلُ مع الذِّمام على آبن أُمِّى * وآخُذ للصَّـديق من الشَّقِيق
وإن ألْفَيْتَنى حُرًّا مُطَـاعًا * فإنّك واجِدِى عَبْـدَ الصديق
أُفَـرِّق بيـن معروفى ومَنِّى * وأَجْمَـعُ بين مالى والحقـوق

فقال إبراهيم: كَذَب والله علىُّ بن الجَهْم وأَثِم. والله لَهٰذا الشعرُ أشهرُ(٣) بإبراهيم بن العبّاس من إبراهيم بالعباس أبيه.

قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له

أخبرنى الحسن قال حدّثنى آبن مَهْرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال قال المتوكّل

علىّ بن الجَهْم أكْذَبُ خَلْقِ الله. حَفِظْتُ عليه أنّه أخبرنى أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى وأُنْسِىَ ما أخبرنى به، فأخبرنى أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى وأُنْسِىَ الحكايتين جميعا، فأخبرنى أنه أقام بالجبل

١٠٩/٩

ثلاثين سـنة، ثم مَضَتْ مدّةٌ أخرى فأخبرنى أنه أقام بمصر والشأم ثلاثين سـنة، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة(٤)، وإنما يُزَاهِى سنُّه الخمسين سنةً. فليت شعرى أىُّ فائدة له فى هذا الكذب وما معناه فيه!!

(١) تطرّف الشىء: تحيفه وأخذ من أطرافه. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ «بالعور». (٣) فى ب، سـ: «أشبه». (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التى ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين.

عربد عليه بعض ولد على بن هشام فهجاهم

أخبرنى محمد بن إبراهيم قال حدّثنا عبدالله بن المُعْتزّ، وحدّثنى عمّى قال: حدّثنا محمد بن سعد قال:

اجتمع علىّ بن الجهم مع قوم من ولد علىّ بن هشام فى مجلس، فعَرْبَد عليه بعضهم، فغضب وخرج من المجلس، واتّصل الشرّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

بَنِى مُتَيَّمٍ هل تَدْرون ما الخبرُ * وكيف يُسْتَرُ أمرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتُكم: مَنْ أبوكم يابنى عُصَبٍ * شَتَّى ولكنَّما للعاهر الحَجَرُ
قد كان شيخُكُمُ شيئًا له خَطَرٌ * لكنّ أُمّكمُ فى أمرها نَظَرُ
ولم تكن أُمّكم ـ والله يكلؤها ـ * محجوبةً دونَها الحُرّاسُ والسُّتُرُ
كانت مغنيةَ الفِتْيان إن شَرِبوا * وغير ممنوعةٍ منهم إذا سَكِروا
وكان إخوانُه غُرًّا غطارفةً * لا يُمْكِن الشيخَ أن يَعْصِى إذا أَمَروا
قومٌ أَعِفّاءُ إلّا فى بيوتكمُ * فإنّ فى مثلها قد تُخْلَع العُذُرُ
فأصبحتْ كُمَراح الشَّوْل(١) حافلةً * من كلّ لاقحةٍ فى بطنها دِرَرُ
جئتم عُصَبًا من كلّ ناحيةٍ * نوعا مخانيث(٢) فى أعناقها الكَبَرُ(٣)
فواحدٌ كِسْرَوِىٌّ فى قراطقه(٤) * وآخَرُ قُرَشِىٌّ حين يُخْتَبَرُ
ما عِلْمُ أُمِّكُمُ مَنْ حَلَّ مِئْزَرَها * ومَنْ رماها بكم يأيُّها القَذَرُ

---

(١) فى الأصول: «كريح» والمراح: مأوى الإبل. والشول من النوق: التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية، فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن أى بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوّله وسكون ثانيه) نتاجها. واحدتها شائلة، وهو جمع على غير قياس. وأما الناقة الشائل (بغير ـ) فهى اللاقح التى تشول بذنبها للفحل أى ترفعه، فذلك آية لقاحها، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأنفها، وهى حينئذ شامذ، وجمعها شوّل وشمذ. والمراد من البيت ظاهر.

(٢) كذا فى الأصل أى وهما نوعا مخانيث ... الخ، فسرهما فى البيت الثانى، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك.

(٣) الكبر: الطبل. معرب. (٤) القراطق: جمع قرطق وهو القباء.

ـ ـوم إذا نُسِبوا فالأُمّ واحــدةٌ * والله أعــلم بالآباء إذ كَثُرُوا

لم تَعرِفـوا الطَّعْنَ إلّا فى أسافلكم * وأنتمُ فى المخـازى فِتيـةٌ صُـبُرُ

أَحببتُ إعلامَكـم إنّى بأمرِكُمُ * وأَمرِ غيركـمُ من أهلـكم خَبِرُ

تَفَكَّهـون بأعراض الـكرام وما * أنتم وذِكْرُكُمُ السـاداتِ يا عُرُرُ(١)

هـذا الهجاء الذى تَبْقَى ميـاسِمُه(٢) * على جبـاهكمُ ما أَوْرق الشَّجَرُ

سعى عند المتوكل بندمائه وبلغه انه هجاه فحبسه ، وأحسن شعره فى الحبس

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى إبراهيم بن المدبِّر قال: كتب صاحب الخبر إلى المتوكّل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات . فقال علىّ بن الجَهْم : قد بلغنى أنّ العامل قتله وصانع صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكّل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه أنه هجاه فحبَسه . وأحسنُ شعرٍ قاله فى الحبس قصيدتُه التى أوّلها :

قالت حُبِسْتَ(٣) فقلتُ ليس بضائرى * حَبْسى وأىُّ مُهنَّـدٍ لا يُغمَـدُ

أَوَما رَأيتِ اللَّيْثَ يألَفُ غِيـلَه * كِبرًا وأوباشُ السِّبـاع تَردَّدُ

والشمسُ لولا أنّهـا محجـوبةٌ * عن ناظرَيْك لمـا أضاء الفَرْقَدُ

والبــدرُ يُدْرِكه السِّرارُ(٤) فتنجلِى * أيّامُــه وكأنّه مُتجـدِّدُ

110/9

والغيثُ يَحْصُره الغَمامُ فمـا يُرَى * إلّا وريِّقُــه يَروعُ(٥) ويُرعِـدُ

والزاعِبيّـةُ(٦) لا يُقيم كُعوبَهـا * إلّا الثِّقـافُ(٧) وجَـذْوةٌ تتـوقّدُ

والنـارُ فى أحجـارها مخبـوءةٌ * لا تُصطَلَى إن لم تُثِرْها الأَزْنُدُ

---

(١) العرر : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم؛ يقال : فلان عرة أهله .

(٢) المياسم : جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم، ومياسم على اللفظ . (٣) فى ب، سـ : «قالوا» . (٤) السرار : (بالفتح والكسر) آخر أيام الشهر . (٥) فى الأصول : « يراع » . (٦) الزاعبية : رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة . (٧) الثقاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح

والحبس ما لم تغشَه لدنِيَّةٍ * شنعاءَ نِعمَ المنزلُ المُتورَّدُ(1)
بيتٌ يجدِّدُ للكريم كرامةً * ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحمَدُ
لو لم يكن فى الحبس إلّا أنّه * لا يستذِلُّك بالحجاب الأعبُدُ
كم من عليل قد تخطّاه الرّدَى * فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبى دُوادٍ إنّما * تُدْعَى لكلِّ عظيمة يا أحمدُ
أبلِغْ أميرَ المؤمنين فدونَه * خَوْضُ الرّدَى ومخاوفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمّ النبىّ محمّدٍ * أولى بما شَرَع النبىُّ محمّدُ
ما كان من كرَمٍ فأنتم أهلُه * كَرُمَتْ مغارِسُكم وطاب المَحْتِدُ
مِنَ السَّوِيّةِ يابنَ عمّ محمّدٍ * خَصْمٌ تقرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إنّ الذين سعَوْا إليك بباطل * حُسّادُ نعمتِك التى لا تُجْحَدُ
شهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّموا * فينا وليس كغائب مَنْ يَشْهَدُ
لو يجمع الخُصماءَ عندك مجلسٌ * يومًا لبان لك الطريقُ الأقصَدُ
فبأىّ جُرْمٍ أصبحتْ أعراضُنا * نَهْبًا تقَسَّمها اللئيمُ الأوغَدُ

دخل على المتوكل والطبيب يفحص علته وكانت جاريته قبيحة أغضبته فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو فى ذلك شعرا

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال قال لى أبو الفضل الرّبعىّ(2) قال قال لى علىّ بن الجَهْم :

دخلت على المتوكّل وقد بَلَغنى أنّه كلّم قَبِيحةَ جاريتَه فأجابته بشىء أغضبه، فرماها بمِخَدّةٍ فأصابتْ عينَها فأثّرتْ فيها، فتأوّهَتْ وبكَتْ وبكى المعتزّ لبكائها، فخرج المتوكّل وقد حُمَّ من الغمّ والغضب. فلما بَصُر بى دعانى وإذا الفتح(3) يُرِى بَخْتِيَشوعَ القارورةَ ويشاوره فيها. فقال لى : قل يا علىّ فى عِلّتى هذه شيئا وصِفْ أنّ الطبيب ليس يَدْرى ما بى؛ فقلت :

(1) المتورد : الذى يورد ويزار مثل المورود. وفى ب، س : "المتودد" وهو تحريف.
(2) فى أ، م : «الربيعى». (3) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه.

تنكّر حالَ عِلّتِيَ الطّبيبُ * وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ
جَسَسْتُ العِرْقَ منك فدلّ جَسّى * على أَلَمٍ له خَبَرٌ عجيبُ
فما هذا الذى بك هاتِ قُلْ لى * فكان جوابَه مِنّى النَّحيبُ
وقلت أيا طبيبُ الهجرُ دائى * وقلبى يا طبيبُ هو الكئيبُ
فحرّك رأسَه عَجَباً لقولى * وقال الحب ليس له طبيبُ
فأعجبنى الذى قد قال جِدًّا * وقلتُ بَلَى إذا رضِى الحبيبُ
فقال هو الشفاءُ فلا تُقَصِّرْ * فقلت أجَلْ ولكن لا يُجيبُ
ألَا هل مُسْعِدٌ يبكى اشْجوى * فإنّى هائم فَرْدٌ غريبُ

فقال: أحسنتَ وحَياتى! يا غلام اسقِنى قَدَحًا، فجاءه بقَدَح فشَرِب وسُقِيَت الجماعة مثلَه. وخرجتْ إليه فَضْلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قَبِيحةُ أن تقولها عنها، فقرأها فاذا هى:

١١١/٩

لأكْتُمنّ الذى فى القلب من حُرَقٍ * حتى أموت ولم يَعْلَم به الناسُ
ولا يقالُ شَكَا مَنْ كان يَعْشَقُه * إنّ الشَّكاة لمن تَهْوَى هى الياسُ
ولا أبوح بشىءٍ كنتُ أكتُمه * عند الجلوس إذا ما دارت الكاسُ

فقال المتوكّل: أحسنتِ يا فَضْلُ. وأمر لها ولى بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قَبِيحةَ فترضّاها.

خرج مع جماعة الى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق ففر أصحابه وثبت هو وقال شعرا

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى محمد بن سعد قال:

خرج علىٌّ بن الجهم الى الشام فى قافلة، فخرجتْ عليهم الأعراب فى خُسَاف[1] فهرَب من كان فى القافلة من المُقَاتِلة، وثبت علىّ بن الجَهْم فقاتلهم قتالًا شديدًا، وثاب الناسُ إليه فدفعهم ولم يحظَوا بشىء. فقال فى ذلك:

(١) فى الأصول «حساف» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وخساف: برية بين بالس وحلب. (معجم البلدان لياقوت).

صبرتُ ومثلى صبرُه ليس يُنكَرُ * وليس على تَرْك التَّقحُّمِ يُعْذَرُ
غريزةُ حرٍّ لا ٱختلاقُ تكلُّفٍ * إذا خامَ[1] فى يوم الوغى المُتَصَبِّرُ
ولمّا رأيتُ الموت تَهْفو بُنودُه * وبانتْ علاماتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلّ جانبٍ * وثار عَجاجٌ أسودُ اللَّون أكدرُ
بكلّ مُشيحٍ[2] مُستميتٍ مُشَمِّرٍ * يَجُول به طِرفٌ[3] أقبُّ مُشَمَّرُ
بأرضِ خُسافٍ حين لم يكُ دافعٌ * ولا مانعٌ إلّا الصَّفيحُ[4] المُذَكَّرُ
فقلَّل فى عَيْنَيَّ عُظْمَ جموعِهم * عزيمةُ قلبٍ فيه ما جلَّ يَصْغُرُ
بُمعْتَرَكٍ فيه المنايا حواسرٌ * ونارُ الوغى بالمَشْرَفيّة تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهى عن ظُباتِ سُيوفِهم * ولا ٱنحَزْتُ عنهم والقنا تتكسّرُ
ولم أكُ فى حرّ الكريهة مُحْجِمًا * إذا لم يكن فى الحرب للوِرْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعَدَ الطِّرْفُ الفتى وجنانُه * وأسمرُ خَطِّىٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ[5]
فذاك، وإن كان الكريمُ بنفسه، * إذا ٱصطكّتِ الأبطالُ فى النَّقْعِ عَسْكَرُ
مَنَعْتُهمُ من أن ينالوا قُلامةً * وكنتُ شَجاهم والأسنّةُ تقطُرُ
وتلك سجايانا قديمًا وحادثًا * بها عُرِفَ الماضى وعزّ المؤخَّرُ
أبَتْ لى قُرومٌ أنجبتْنِىَ أن أُرَى * وإنْ جَلَّ خَطْبٌ خاشعًا أتضجّرُ
أولئك آلُ الله فِهْرُ بن مالكٍ * بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسيرُ ويُكْسَرُ
هم المَنْكِبُ العالى على كلّ مَنْكِبٍ * سيوفُهمُ تُفْنِى وتُغْنِى وتُفْقِرُ

(١) خام: نكص وجبن. (٢) المشيح: المجد. (٣) الطرف: الكريم من الخيل. والأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن. (٤) الصفيح هنا: السيف العريض.

(٥) المعروف فى كتب اللغة أن يقال سيف باتر و بتار (بتشديد التاء) و بتار (وزان غراب) و بتور؛ ولكن علىّ بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة؛ فرجحنا هذا الضبط؛ اذ المستعمل فى القطع من هذه المادة انما هو «بتر» الثلاثى، واسم الآلة منه مبتر.

قال إن أباه حبسه فى الكتّاب وهو صبى فكتب الى أمه شعرا فكذبه ابراهيم بن المدبر

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق والحسن بن عليّ قالا جميعا حدّثنا محمد ابن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدّثني عليّ بن الجَهْم قال:

حبسني أبي في الكُتّاب، فكتبت إلى أمي:

يا أُمَّتا أَفْديكِ من أُمّ * أشكو إليكِ فَظاظةَ الجَهْمِ
قد سُرِّح الصِّبيانُ كلُّهمُ * وبَقِيتُ محصوراً بلا جُرْمِ

قال: وهو أوّل شعر قلته وبعثت به إلى أُمِّي؛ فأرسلتْ إلى أبي: والله لئن لم تُطلِقه لَأَخْرُجنّ حاسرةً حتى أُطْلِقَه. قال عيسى فحدّثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبّر فقال: عليٌّ بن الجهم كذّاب، وما يمنعه من أن يكون وَلَّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر ولَه ستون سنة، ثم حدّثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه!. ١١٢/٩

مدح أحمد بن أبي دواد وكان منحرفا عنه ليشفع له فى حبسه فقعد عنه فهجاه وشمت به بعد أن نقاه المتوكل

أخبرني عَمِّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان أحمد بن أبي دُوَاد منحرفًا عن عليّ بن الجَهْم لاعتقاده مذهب الحَشْويّة[(١)]. فلما حُبِس عليٌّ بن الجَهْم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدّة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه، فلم يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ إنّما * تُدْعَى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أَبْلِغْ أميرَ المؤمنين ودونَه * خَوْضُ الرَّدَى ومَخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمّ النبيّ محمدٍ * أَوْلَى بما شَرَع النبيُّ محمّدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها:

* قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري *

---

(١) الحشوية: طائفة يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد، وعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. وهم فرقة من المرجئة. (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية).

فلمّا نَفَى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبى دُواد شَمِتَ به علىّ بن الجَهْم وهجاه فقال :

يا أحمَـدُ بنَ أبى دُوادٍ دعـوةً * بعثتْ إليـكَ جنادِلًا وحديدا
ما هـذه البِـدَعُ التى سمّيتَهـا * بالجهل منك العدلَ والتوحيدا
أفسدتَ أمرَ الدِّين حين وَلِيتَه * ورميتَــه بأبى الوليـدِ[1] وليـدا
لا مُحكَمًا جَزْلًا[2]، ولا مُستطرَفًا[3] * كَهلًا، ولا مُستحدَثًا مَعمودا[4]
شَرِهًا، إذا ذُكِر المكارمُ والعُلا * ذَكَرَ القَـلَايَا[5] مُبـدِئًا ومُعيـدا
ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ ربيعةُ كلُّها * وبنـو إيادٍ صَحْفَــةً وثَريـدا
وإذا تربَّع فى المجـالس خِلْتَـه * ضَبُعًا وخِلتَ بنى أبيـه قرودا
وإذا تبسَّــمَ ضاحكًا شبَّهتَه * شَرِقًا تعجَّلَ شُــرْبَه مَزْدودا
لا أصبحتْ بالخير عينٌ أبصرتْ * تلك المَناخِرَ والثَّنايا السُّــودا

كتب من حبسه شعرا لطاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد قال :

كتب علىّ بن الجَهْم الى طاهر من الحبس[6] :

إنْ كان لى ذنبٌ فلى حُرْمةٌ * والحقُّ لا يدفعـه الباطلُ
وحُرْمتى أعظـمُ من زَلَّـتى * لو نالـنى من عَدْلِكم نائلُ
ولى حقوقٌ غـيرُ مجهـولةٍ * يعرِفها العـاقل والجاهـلُ
وكلُّ إنسـانٍ له مـذهبٌ * وأهـلُ ما يفعـله الفاعلُ
وسـيرةُ الأمـلاك منقولةٌ * لا جائرٌ يَخْـفَى ولا عادلُ
وقـد تعجَّلتَ الذى خِفتُه * منـك ولم يأتِ الذى آمُلُ

---

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبى دواد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ.
(٢) الجزل هنا : الجيد الرأى أصيله. (٣) لعلها «مستظرفا» بالظاء المعجمة أى معدودا ظريفا.
(٤) لعلها : «محمودا». (٥) القلايا : المقليات، مفرده قلية. (٦) بعد هذه الكلمة وقبل الشعر كلمة «صوت» فى ح، ب، س، ولم يذكر فيه ألحانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع.

شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد قال :

كان عليّ بن الجَهْم يعاشر جماعةً من فتيان بغداد لمّا أُطلق من حبسه وردّ من النفي، وكانوا يتقاينون(١) ببغداد، و يلزمون منزل مُقَيِّنٍ بالكَرْخ يقال له المُفَضَّل. فقال فيه عليّ بن الجَهْم :

نزلنا بباب الكَرْخ أطيَبَ منزلِ * على مُحْسِناتٍ من قِيانِ المُفَضَّلِ
فلابنِ سُرَيْجٍ والغَرِيضِ ومَعْبَدٍ * بدائعُ في أسماعنا لم تُبَدَّلِ ١١٣/٩
أوانسُ ما للضَّيف منهنّ حِشمةٌ * ولا رَبُّهنّ بالجليلِ المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا ما الضَّيْفُ قلَّ حياؤُه * ويَغْفُلُ عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكْثِرُ من ذمِّ الوقارِ وأهلِه * إذا الضَّيفُ لم يَأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يدفع الأيدي المُرِيبةَ غَيْرةً * إذا نال حَظًّا من لَبُوسٍ ومأكَلِ
ويُطْرِقُ إطراقَ الشُّجاعِ مَهابةً * لِيُطْلِقَ طَرْفَ الناظرِ المتأمِّلِ
أشِرْ بيدٍ واغْمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ * رَقيبًا إذا ما كنتَ غيرَ مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المصباحِ والْهَجْ بمثلِه * فإنْ تَخمُدِ المصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ * ونَمْ غيرَ مذْعورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامت هَدَاياك جَمَّةً * وكنتَ مليًّا بالنَّبِيذِ المُعَسَّلِ
فبادِرْ بأيّامِ الشَّبابِ فإنّها * تَقَضَّى وتَفْنَى والغَوايةُ تَنْجَلي
ودَعْ عنك قولَ الناسِ أَتْلَفَ مالَه * فلانٌ وأضحى مُدْبِرًا غيرَ مُقْبِلِ
هلِ الدهرُ إلّا ليلةٌ طَرَحَتْ بنا * أواخرُها في يومِ لَهْوٍ مُعَجَّلِ

(١) ظاهر أن معناه : يجالسون القيان، وأن معنى مقين صاحب قيان.

سقى الله بابَ الكَرْخ من مُتَنَزَّه * إلى قَصْرِ وَضّاحٍ فبِرْكة زَلْزَلِ (١) (٢)
مَسَاحِبُ أذيال القيان ومَسْرَح الـ * ـحِسان ومَثْوَى كلِّ خِرْقٍ مُعَذَّلِ (٣)
لوَ انّ امرأَ القيس بن حُجْرٍ يَحُلُّها * لأقْصَرَ عن ذِكْر الدَّخُول وحَوْمَلِ (٤)
إذًا لرأى أن يَمْنَحَ الوُدَّ شادنًا * مقصِّرَ أذيالِ القَبا غيرَ مُسْبِلِ (٥)
إذا الليلُ أدنى مَضْجَعى منه لم يَقُلْ * عَقَرتَ بَعيرِى يا امرأَ القيس فانْزِلِ (٦)

أنشد ابراهيم بن المدبر شعرا لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لابراهيم بن العباس

حدّثنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال أنشدنى علىّ بن الجَهْم لنفسه :

و إذا جَزَى الله امرأً بفِعاله * فجَزَى أخًا لى ماجِدًا سَمْحَا
ناديتُه عن كُرْبةٍ فكأنّما * أطلعتُ عن ليلٍ به صُبْحَا

فقلت له : وَيْلَك ! هذا لإبراهيم بن العبّاس يقوله فى محمد بن عبد الملك الزيّات ! فجَحَدَنى وكابر . فدخل يوماً علىّ بن الجَهْم إلى إبراهيم بن العبّاس وأنا عنده . فلمّا رآنى قال: اجتمعَ الإبراهيمان . فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس : إنّ هذا يزعُم أنّ هذين البيتين له . فقال : كَذَب ، هذان لى فى محمد

(١) قصر وضاح : قصر بنى المهدى قرب رصافة بغداد ، وقد تولى النفقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له وضاح فنسب اليه . وقيل وضاح من موالى المنصور. وقال الخطيب : لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك رجلا يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذى يقال له قصر الوضاح . (معجم البلدان لياقوت) . (٢) بركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والصراة (بفتح أوله) و باب المحول (بتشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبى الورد تنسب الى زلزل الضارب . (معجم البلدان لياقوت) . (٣) الخرق من الرجال : الكريم الذى يتخرق فى كرمه أى يتسع فيه . والمعذل : الذى يكثر الناس عذله ولومه على إسرافه فى الكرم . (٤) رواية معجم البلدان :

منازل لا يستتبع الغيث أهلها * ولا أوجه اللذات عنها بمعزل
منازل لو أن امرأ القيس حلها * لأقصر عن ذكر الدخول فحومل

(٥) فى ياقوت :

اذا لرآنى أمنح الود شادنا * مقلص ... ...

(٦) فى الأصول : «لم أقل» . والتصويب من معجم البلدان لياقوت عند الكلام على قصر وضاح .

آبن عبد الملك الزيّات . فقال له علىّ بن الجهم بِقِحَةٍ : ألم أَنْهَكَ أن تَنْتَحِل شعرى ! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سَوْءةً عليك سَوْءةً لك ! ما أوقحك ! وهو لا يُنْكِر (١) فى ذلك ولا يَخْجَل . ثم التقينا بعد مدّة فقال : أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيمَ آبن العباس ! ! لجعلت أَتَعَجَّبُ من صَلَابة وجهه .

شعر له فى الفراق

حدّثنى عَمّى (٢) قال أنشدنا محمد بن سَعْد لعلىّ بن الجَهْم وفيه غِناء :

إِعْلَمِى يا أحبَّ شىءٍ إليّا * أنّ شوقى إليك قاضٍ عليّا
إن قضى اللهُ لى رجوعًا إليكم * لا ذكرتُ الفِراقَ ما دمتُ حيّا
إنّ حَرَّ الفِراق أنحَلَ جسمى * وكوى القلبَ منك بالشّوق كيّا

١١٤ / ٩

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عنه ويسبعه عند الخليفة فهجاه

حدّثنى عَمّى (٢) قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

كان محمد بن عبد الملك الزيّات مُنْحَرِفًا عن علىّ بن الجَهْم وكان يَسْبَعُه (٣) عند الخليفة ويَعِيبُه ويذكُره بكلّ قبيح . فقال فيه علىّ بن الجَهْم :

لَعَائِنُ الله مُتَتابِعاتِ * مُصَبِّحاتٍ ومُهَجِّراتِ
على آبن عبد الملك الزيّات * عَرَّضَ شَمْلَ المُلْك للشَّتات
وأنفذَ الأحكامَ جائراتٍ * على كتاب الله ذارياتِ (٤)
وعن عقول الناس خارجاتِ * يرمى الدواوينَ بتوقيعاتِ
مُعَقَّدَاتٍ كَرُقَى الحيّاتِ * سبحانَ مَنْ جَلّ عن الصِّفاتِ
بعد ركوب الطُّوف (٥) فى الفُرات * وبعدَ بيعِ الزَّيت بالحَبّات

(١) فى حـ ، ب ، سـ : « لا يفكر » . (٢) فى ب ، سـ ، حـ : « قال حدّثنى الخ » وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سبعه (من باب ضرب ومنع) شتمه ووقع فيه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصول ، ففى ب ، سـ : « يسبه » وفى أ ، م : « يبشعه » وفى حـ : « يسيعه » .

(٤) كذا فى الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه : فرقته وأطارته . يريد أنها تعفى كتاب الله . ويحتمل أن يكون زاريات بالزاى أى عائبات .

(٥) الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيرًا شامخَ الثَّبَاتِ(١) * هارونُ(٢) يابنَ سَيِّدِ السَّاداتِ
أَمَا ترى الأمورَ مُهْمَلاتِ * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فعاجِلِ العِلْجَ بمُرْهَفَاتِ * مِنْ بعدِ أَلْفٍ(٣) صُخَّبِ الأصواتِ
بمُثْمِراتٍ(٤) غيرِ مُورِقاتِ * تُرَى بمَتْنَيْهِ مُرَضَّضَاتِ
* تَرَصُّفَ الأسنانِ فى اللِّثاتِ *

استرفد عمر بن الفرج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت به وقال شعرا

أخبرنى عمى قال حدّثنى محمد بن سعد قال :

كان علىّ بن الجَهْم سأل عمرَ بن الفَرَجِ الرُّخَّجىَّ(٥) معاونتَه، واسْتَرْفَده فى نكبته فلم يُعَاوِنه ولم يَرْفِدْه، ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجَاح(٦) ليصادره . فقال علىّ بن الجهم له :

أَبْلِغْ نَجَاحًا فتى الفتيانِ مألُكَةً(٧) * تَمْضِى بها الرِّيحُ إصْدَارًا وإيرادا
لن يخرج المالُ عفوًا من يَدَىْ عُمَرٍ * أو يُغْمَدَ السَّيفُ فى فَوْدَيه إغمادا
الرُّخَّجِيُّون لا يُوفُون ما وَعَدوا * والرُّخَّجِيَّاتُ لا يُخْلِفْنَ مِيعَادا

قال وقال فى عمر بن الفَرَج أيضا :

جمعتَ أمرين ضاع الحزمُ بينهما * تِيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليك

(١) كذا فى الأصول والنفس غير مرتاحة لها (؟) .

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسى . (٣) يريد ألفا من السياط .

(٤) مثمرات : لها ثمر . والثمرة من السوط : عقدة فى طرفه تشبيها بالثمر فى الهيئة والتدلى عنه كتدلى الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتّاب فى أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل؛ لأن الواثق وكله به حين أغضب عليه يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولى الخلافة نكبه فى شهر رمضان سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبرى ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) .

(٦) هو نجاح بن سلمة أبو الفضل، كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال فى عهد المتوكل، ثم نكبه عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥ هـ، وكان متمكنا من المتوكل وإليه الوزارة وعامة أعماله . (راجع الطبرى ق ٣ ص ١٤٤٠ — ١٤٤٧) . (٧) المألكة : الرسالة .

أبدتَ شكرًا بلا برٍّ ومرزئةٍ[1] * لقد سلكتَ طريقًا غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُرمَى بقارعةٍ * وما أراكَ على حالٍ بمتروكِ

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب وكان عربد عليه واستعطفه فرضى عنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :

كان لسليمان بن وهبٍ[2] نديمٌ يأنَسُ به ويألَفه ، فعَرْبَدَ عليه ليلةً من الليالى عَرْبَدَةً قبيحةً ، فاطّرحه وجفاه وقطعه ، فوقف له على الطريق . فلما مرَّ به وثب اليه فقال له : أيها الوزير، ألَا تكون فى أمرى كما قال علىّ بن الجهم[3] :

القومُ إخوةُ صدقٍ بينهم نَسَبٌ * من المودّة لم يُعْدَلْ بها نَسَبُ
تراضَعوا دِرّةَ الصَّهباء بينهمُ * فأوجبوا لرضيع الكأس ما يَجِبُ
لا يَحْفَظَنَّ على السكران زلّتَه * ولا تَرِيبَنْكَ من أخلاقه رِيَبُ

115/9

فقال له سليمان : قد رَضِيتُ عنك رضًا صحيحًا، فعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتى.

وأوّل هذه الأبيات :

الوَرْدُ يضحك والأوتار تصطخبُ * والنّاى يَنْدُبُ أشجانًا ويَنْتَحِبُ
والرّاحُ تُعرَضُ فى نور الرّبيع كما * تُجلَى العروسُ عليها الدُّرّ والذّهبُ
واللّهو يُلحِق مغبوقًا بمُصْطَبِحٍ[4] * والدور سيّان محثوثٌ ومُنْتَخَبُ
وكلّما انسكبتْ فى الكأس آونةً * أقسمتُ أنّ شُعاعَ الشّمس ينْسكِبُ

(١) يقال : رزأه ماله من باب قطع وعلم رزءا ومرزئة اذا أصاب منه خيرا .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس ، ثم ولى الوزارة للمهتدى بالله ثم للمعتمد على الله ، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبى تمام والبحترى . وتنقل سليمان المذكور فى الدواوين الكبار والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفى مقبوضا عليه فى منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

(٣) فى ب ، س : « عليه » . (٤) كذا فى الأصول .

أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان مغتما فسرى عنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنى أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

دخل علىّ بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر فى غدوة من غدوات الرّبيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجىء قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته حظيّة له ، فتنغّص عليه عزمه وفتر . فخبّر علىّ بن الجهم بالخبر وقيل له : قل فى هذا المعنى شيئا ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله * صحو وغيم وإبراق وإرعاد
كأنّه أنت يا من لا شبيه له * وصل وهجر وتقريب وإبعاد
فباكر الرّاح واشربها معتّقة * لم يدّخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الرّوض إذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنّما يومنا فعل الحبيب بنا * بذل وبخل وإيعاد وميعاد
وليس يذهب عنّى كلّ فعلكم * غىّ ورشد وإصلاح وإفساد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه ، وأمر بأن يغنّى فى الأبيات . الغناء لبذل الطّاهريّة ، خفيف رمل . وفيه لغيرها هزج .

جلس فى المقابر بعد خروجه من السجن وقال شعرا

حدّثنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سعد قال حدّثنى رجل من أهل خراسان قال :

رأيت علىّ بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالسا فى المقابر ؛ فقلت له : ويحك ! ما يجلسك هاهنا ؟ ! فقال :

يشتاق كلّ غريب عند غربته * ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لى وطن أمسيت أذكره * إلّا المقابر إذ صارت لهم وطنا

حدّثنى عمّى قال أنشدنا أحمد بن عُبيد ومحمد بن سعد لعلىّ بن الجهم وفيه غناء: شعر له وفيه غناء

صوت

لو تنصّلتَ إلينا * لوَهبْنا لك ذنبَكْ
بأبِى ما أبغضَ العيـ * ـشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ
ليتنى أملكُ قلبى * مثلَ ما تملِكُ قلبَكْ
أيُّها الوا * ثقُ بالله لقد ناصحتَ ربَّكْ
ما رأى النّاسُ إماماً * أنهبَ الأموالَ نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجّتُك العُلْـ * ـيا وحزبُ الله حزبَكْ

الغناءُ لعَريبَ رَمَلٌ، وفيه لغيرها هَزَجٌ.

حدّثنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال: مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فهجاه

كان علىّ بن الجَهْم قد مدح أبا أحمد بن الرَّشيد فلم يُعْطِه شيئاً، فقال يهجوه: ١١٦/٩

يا أبا أحمدَ لا يُنْـ * ـجِى من الشِّعرِ الفِرارُ
لبنى العبّاس أحلا * مٌ عِظامٌ ووقارُ
ولهم فى الحرب إقدا * مٌ ورأىٌ واصطبارُ
ولهم ألسنةٌ تبْـ * ـرِى كما تَبْرِى الشِّفارُ
ووجوهٌ كنجوم الـ * ـلّيل تَهْدِى من يَحارُ
ونَسيمٌ كنسيم الـ * ـرَّوض جادتْه القِطارُ
ولِعطْفَيْك عن الجِـ * ـدِ شِماسٌ وازْوِرارُ
إن تكن منهم بلا شكـ * ـكٍّ فللعُودِ قُتارُ(1)

(١) القتار: ريح العود المحرق.

رثى عبد الله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزيه

حدّثنى جَحْظة وعمّى قالا حدّثنا عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر قال دخل إلينا علىّ بن الجَهْم بعقِب موت أبى والمجلسُ حافلٌ بالمعزّين، فمثَل قائما وأنشدَنا يرثيه :

أىُّ ركن وَهَى من الإسلامِ * أىُّ يومٍ أخْنَى على الأيّامِ
جَلَّ رُزْءُ الأمير عن كلِّ رُزْءٍ * أن تكتبه خواطرُ الأوهام
سَلَبَتْنا الأيامُ ظلًّا ظَليلاً * وأباحتْ حِمًى عزيزَ المَرام
يا بَنِى مُصْعَبٍ حَلَلْتم من النا * س مَحَلَّ الأرواح فى الأجسام
فإذا رابكم من الدّهر رَيْبٌ * عَمّ ما خَصّكم جميعَ الأنام
أُنظروا هل تَرَوْنَ إلّا دموعًا * شاهداتٍ على قلوبٍ دوامى
مَنْ يُداوى الدُّنيا ومَنْ يكلأ المُلْـ * ـكَ لدى فادح الخطوبِ العِظام
نحن مُتْنا بموته وأجلُّ الـ * ـخطبِ موتُ السّاداتِ والأعلام
لم يَمُتْ والأميرُ طاهرُ[(1)] حَىٌّ دائمُ الإنتقام والإنْعام
وهو من بعده نظامُ المعالى * وقِوامُ الدُّنيا وسيفُ الإمام

قال : فما أذكر أنى بكيت أو رأيتُ فى دُورِنا باكيًا أكثر من يومئذٍ .

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب وفرّق مالا

حدّثنى عمّى قال حدّثنا أبو الدِّهْقانة النّديمُ قال :

دخلنا يومًا إلى المعتزّ وهو مُصْطَبِحٌ على صوتٍ اختاره واقترحه على عَرِيبَ، وأظُنُّ الصنعةَ لها، فلم يزل يشرَبُ عليه بقيّةَ يومِه، فلمّا سكِر أمر لها بثلاثين ألف درهم، وفرّق على الجلساء كلِّهم الجوائزَ والطِّيبَ والخِلَعَ . والصوتُ :

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

اليعينُ بعـدَك لم تنظر إلى حَسَـنٍ * والنَّفسُ بعدَك لم تسكُن إلى سَكَنِ
كأنّ نفسى إذا ما غبتَ غائبـةٌ * حتى إذا عُدْتَ لى عادت إلى بَدَنِى

والشعرُ لعلىّ بن الجَهْم .

خرج مع عبد الله ابن طاهر للصيد وشربوا فقال شعرا يصف ذلك

حدّثنى جَحْظَةُ ومحمد بن خَلَف وَكِيعٌ وعَمِّى قالوا جميعاً حدّثنا عُبَيْدالله بن عبد الله بن طاهر قال :

لمّا أطلَق أبى طاهرٌ علىَّ بن الجَهْم من الحبس أقام معه بالشّاذِياخ مدةً ، فخرجوا يوماً إلى الصَّيْد ، واتّفق لهم مَرْجٌ كثيرُ الطير والوحش ، وكانت أيّامُ الزَّعْفَران ، فاصطادوا صَيْدًا كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزَّعْفران . فقال علىّ بن الجَهْم يصف ذلك :

وَطِئنا رياضَ الزَّعْفران وأمسَكَتْ * علينا البزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرَارِج (٢)
ولم تَحْمِهـا الأدغالُ منّا وإنّمـا * أَبَحْنا حِمَاها بالكلاب النوابِج (٣)
بمُسْتَرْوِحاتٍ (٤) سابحاتٍ بطونُهـا * على الأرض أمثالَ السهام الزَّوَالِج (٥)
ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَوَادى (٦) كأنّهـا * وما عَقَفتْ منهـا رءوسُ الصَّوَالِج
ومِن دالِعاتٍ ألسُنـاً فكأنّها * لِحَىً من رجالٍ خاضِعين كَوَاسِج (٧)

١١٧
٩

(١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدرارج : جمع درّاج وهو طير جميل المنظر ملوّن الريش . وفى الأصول : «التدارج» وهو تحريف . (٣) نباج الكلب : نباحه . وفى ا ، ء ، م : « النوابح » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفى ب ، سـ : « البوارج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تشممه . وسابحات : سريعات .

(٥) الزوالج : هنا بمعنى السريعة . يقال سهم زالج أى يزلج على وجه الأرض ثم يمضى .

(٦) الهوادى هنا : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت .

(٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكوسج : الذى لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْنا بهـا الغيطانَ فَلْيًا كأنّها * أناملُ إحدى الغانيـات الحوالِج (١)
فقُلْ لبُغاةِ الصَّيـد هل من مُفَاخرٍ * بصَيْدٍ وهل من واصِفٍ أو مُخَارِج (٢)
قَـرَنَّا بُزَاةً بالصُّـقورِ وحوَّمَتْ * شواهينُنا من بعد صَيْدِ الزَّمَامِج (٣)

كتب من حبسه الى المتوكل شعرا

حدّثنى عَمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

كتب علىّ بن الجَهْم إلى المتوكِّل وهو محبوس :

صـــوت

أَقِلْــنى أَقالَكَ مَنْ لم يَزَلْ * يَقيكَ ويَصْرِفُ عنكَ الرَّدَى
ويَغْــذوكَ بالنِّعَمِ السابغاتِ * وليــدًا وذا مَيْعَــةٍ أَمْرَدَا
ويَجْــرِى مقـاديرُه بالذى * تُحِبُّ إلى أن بلغتَ المَــدَى
ويُعْليكَ حتى لَوَ ٱنَّ السماء * تُنَـالُ لجاوزتَهـا مُصْـعِدا
فمـا بين ربِّك جلَّ ٱسْمُـه * وبينَــك إلّا نبىّ الهُــدَى
فشكرًا لأنْعُمِــه إنّــه * إذا شُـكِرتْ نعمــةٌ جَدَّدا
وعفوَكَ عن مُذْنِبٍ خاضـعٍ * قـرَنْتَ المُقيمَ به المُقْعِــدا
إذا ٱدَّرع الليــلَ أَفضَى به * إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا
عفـا الله عنـك أَلَا حُرْمــةٌ * تعُـوذ بفضلك أن أُبْعَــدا
لئن جَــلَّ ذنبٌ ولم أعتمد * لأنت أجَــلُّ وأعْـلَى يَــدَا
ألم تَرَ عَبْــدًا عـدَا طَوْرَه * ومولًى عفـا ورشـيدًا هدى

(١) حوالج : جمع حالجة وهى التى تندف القطن حتى يخلص الحب منه .

(٢) خارجه : ناهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا فى الصيد . (٣) كذا فى أكثر الأصـول . والزمامج : جمع زمج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب، تغلب على لونه الحمرة . وفى ب، س : « الروامج » . جمع رامج، وهو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها . وهذا لا يصلح فى هذا المقام .

ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيتَه * فعاد فأصْلَح ما أفْسَدا
فلا عُدْتُ أعصيك فيما أمر * تَ حتى أزور الثَّرَى مُلْحَدا
وإلّا تخالفتُ ربَّ السماء * وخُنْتُ الصَّديقَ وعفتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو * مُبيحِ العيالِ لمن أوْلدا
يكثِّر فى البيت صِبيانَه * يَغيظ بهم مَعْشَرًا حُسَّدا

شمت بأحمد بن أبى دواد حين فلج وقال شعرا يهجوه

حدّثنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

لمّا فُلِجَ ابْنُ أبى دُواد شَمِت بعلىّ بن الجَهْم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعًا * فوق الفِراش مُمَهَّدًا بوسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريَّةُ كلُّها * مَنْ كان منهم مُوقِنًا بمَعادِ
كم مجلِس لله قد عطَّلتَه * كى لا يُحَدَّث فيه بالإسنادِ
ولَكَمْ مصابيحٍ لنا أطفأتَها * حتى يزول عن الطريقِ الهادى
ولَكَمْ كريمةِ مَعْشَرٍ أرملْتَها * ومُحَدِّثٍ أوْثقتَ فى الأقيادِ
إنّ الأسارَى فى السُّجون تفرَّجوا * لمّا أتتك مواكبُ العُوّادِ
وغدا لمصرعِك الطبيبُ فلم يجِد * شيئًا لدائك حيلةَ المُرْتادِ
فذُقِ الهوانَ مُعَجَّلًا ومؤجَّلًا * واللهُ رَبُّ العرشِ بالمِرصادِ
لا زال فالِجُك الذى بك دائبًا * وفُجِعْتَ قبلَ الموتِ بالأولادِ

١١٨ / ٩

شعر له غنت فيه عريب

أنشدنى عمّى لابن الجَهْم وفيه غِناء لعَرِيبَ :

نَطَق الهوى بجَوًى هو الحقُّ * وملكتَنى فَلْيَهْنِكَ الرِّقُّ
رِفْقًا بقلبى يامعذِّبَه * رفقًا وليس لظالمٍ رِفْقُ
وإذا رأيتُك لا تكلِّمنى * ضاقتْ علىَّ الأرضُ والأُفْقُ

وأنشدنى له وفيه غناء أيضا ، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يارحمةً للغريب بالبلد النـ * ـازح ماذا بنفسه صَنَعا
فارَقَ أحبابَه فما انتفعوا * بالعيش من بعده وما انتفعا

هجا مغنيا بشعر

وقال لمغنٍّ حضر معه مَجْلسًا وكان غيرَ طيِّب :

كنتُ فى مجلس فقال مُغَنِّى الـ * ـقوم كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعْتُ البِساطَ منِّى إليه * قلتَ هذا المقدارُ قبل الغناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تتغنَّى * آذنَ الحَرُّ كلُّه بانقضاء

استشفع بقبيحة الى المتوكل وهو فى حبسه فأرسلت اليه ابنها المعتز

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحة قال حدّثنى عبد الله بن المُعْتزّ قال : لمّا حبَس أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ علىَّ بنَ الجَهْم ، وأجمع الجُلَساءُ على عَداوته و إبلاغِ الخليفةِ عنه كلَّ مكروه ووَصْفِهم مساويَه ، قال هذه القصيدةَ يمدحه ويذكِّره حقوقَه عليه ، وهى :

عفا الله عنك ألَا حُرْمةٌ * تَعُوذ بعفوك أن أُبْعَدَا

ووجّه بها إلى بَيْدونَ الخادم ، فدخل بها إلى قَبيحةَ وقال لها : إنّ علىَّ بنَ الجَهْم قد لاذ بكِ وليس له ناصرٌ سواكِ ، وقد قصده هؤلاء النُّدَماءُ والكُتّاب لأنه رجل من أهل السنّة وهم روافضُ ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعَتِ المُعْتزّ وقالت له : اذهب بهذه الرُّقْعة يا بُنَىّ إلى سيِّدك وأوصِلْها إليه ، فجاء بها ووقف بين يَدَىْ أبيه . فقال له : ما معكَ فديتُك ؟ فدنا منه وقال : هذه رُقْعة دفَعَتْها إلىّ أُمّى . فقرأها المتوكِّل وضحِك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديتُه — خَصْمَكم . هذه رقعة علىّ بن الجَهْم يستقيل[1] ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو ممن لا يُرَدّ ، وقرأها عليهم . فلمّا بلغ إلى قوله :

فلا عُدْتُ أَعْصِيكَ فيما أمرتَ * إلى أن أُحَلَّ الثَّرَى مُلْحَدَا

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

وإلّا فخالفتُ ربَّ السماء * وخُنْتُ الصَّديقَ وعفتُ النَّدى

وكنتُ كعزُّونَ أو كابنِ عمرو * مُبيحِ العيالِ لمن أوْلَدا

وثَب[1] ابن حَمْدون وقال للمعتزّ: يا سيّدي فمَنْ دفع هذه الرُّقْعة إلى السيّدة؟ قال بَيْدون الخادم: أنا. فقالوا له: أحسنتَ! تُعادينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا!! فانصرف بيدون وقام المُعْتَزّ فانصرف. واستلب ابنُ حَمْدون قولَه:

وكنتُ كعزُّونَ أو كابن عمرو * مُبيحِ العيالِ لمن أوْلَدا

١١٩/٩ فجعل يُنْشِدهم إيّاه وهم يشتُمون ابنَ حَمْدون ويَضِجُّون والمتوكّل يضحَك ويصفِّق ويَشْرَب حتى سكِر ونام، وسرَقوا قصيدته من بين يديِ المتوكّل وانصرفوا، ولم يوقِّع بإطلاقه ونَسِيَه. فقالوا لابن حَمْدون: وَيْلَك! تُعيد هجاءنا وشَتْمنا!! فقال: يا حَمْقَى والله لو لم أفعل ذلك فيضحكَ ويَشْرَبَ حتى يَسْكر وينام لوقَّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلِّ ما نكره.

هنا المتوكل بفتح أرمينية

أخبرني عليّ بن الحسين قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أحمد بن حَمْدون قال:

لمّا افتُتِحت أرْمِينِيَةُ وقُتِل إسحاق بن إسماعيل[2] دخل عليّ بن الجَهْم فأنشد المتوكّلَ قصيدتَه التي يُهَنِّيه فيها بالفتح ويمدحه، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بنِ إسماعيل:

أهْلًا وسَهْلًا بكَ من رسولِ * جئتَ بما يَشْفِي من الغَليلِ

بجملةٍ تُغْنِي عن التفصيلِ * برأس إسحاقَ بنِ إسماعيلِ

* قهْرًا بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ *

(١) في الأصول: «فوثب». (٢) هو إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، ظفر به بغا وأحرق مدينة تفليس سنة ٢٣٨ هـ.

فاستحسن جميعُ مَنْ حضر ارتجالَه هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكّل بثلاثين ألف درهم ، وتمّم القصيدة . وفيها يقول :

جاوز نَهْـرَ الكُرِّ[1] بالخيُـول * تَرْدى بفِتْيانٍ كأسْد الغِيل
مُعَوّداتٍ طلبَ الذُّحُـول[2] * خُزْرِ[3] العيون طيبى[4] النُّصول
شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحول * جِنٌّ يَلُفُّ الحَزْن بالسُّهول
كأنه مُعْتلِجُ[5] السُّـيولِ * يَسُوسُهُ كَهْلٌ من الكهول
لا يَنْثنى للصَّعْب والذَّلُول * على أغرَّ واضـح الحُجُول
حتى إذا أصحر[6] للمخـذول * أجْزَه بصـارمٍ صَـقيل
ضَرْبًا طِلَحْفًا[7] ليس بالقليل * ومَنْجنِيق[8] مثلِ حَلْقِ الفيل
تَرْفَضُّ عن خُرْطومه الطويل * صواعقٌ من حَجَر السِّجِّيل[9]
تترك كَيْدَ القومِ فى تَضْليل * ما كان إلّا مِثْلُ رَجْع القِيل
حتى انجلَتْ عن حزبه المفلول * وعن نساءٍ حُسَّرٍ ذُهُـول
صـوارخٍ يَعْـثُرن فى الذُّيول * ثَوَاكلِ الأولاد والبُعُـول
لا والذى يُعْرَف بالعقـول * من غير تحديدٍ ولا تمثيـل
ما قام لله وللرســول * بالدِّين والدُّنيـا وبالتّنزيل
* خليفةٌ كجعفرَ المأمولِ *

(١) الكر (بضم أوّله) : نهر بين أرمينية وأرّان يشق مدينة تفليس . وتردى الخيل رديا وردیانا : ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها . (٢) فى أكثر الأصول : «الدخول» بالدال والخاء وهو تصحيف وفى ج : « الدحول » بالدال والحاء المهملتين . والذحول : جمع ذحل وهو الثأر .
(٣) خزر : جمع أخزر وخزراء . وخزر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .
(٤) فى ج : « طيب » . وفى أ ، م هكذا : « حيتى » . وفى ب ، س : « صيتى » .
(٥) اعتلجت الأمواج والسيول : التطمت . (٦) أصحر : برز . (٧) طلحفا : شديدا .
(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسى معرّب . (٩) السجيل : حجارة كالمدر .

مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع على ابن يحيى

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى محمد بن عبد السلام قال :

رأيتُ مع علىّ بن يحيى المنجّم قصيدةَ علىّ بن الجَهْم يمدح المتوكّلَ ويصف الهارونىّ (١)، فقلت له : يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال : قصيدةٌ لعلىّ بن الجَهْم سألنى عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرضتها . فلمّا سمع قولَه :

١٢٠ / ٩

وقُبّـة مُلْكٍ كأنّ النّجو * مَ تُصْغِى (٢) إليها بأسرارها
تخِرُّ الوفودُ لها سُجّدًا * إذا ما تجلّتْ لأبصارها
وفوّارة ثأرُها فى السماء * فليست تُقَصِّرُ عن ثارها
تَرُدّ على المُزْنِ ما أنزلتْ * إلى الأرض من صَوْبِ مدرارها

تهلّل وجهُه واستحسنها . فلما انتهيتُ الى قوله :

تبوّأْتُ بعدَك قعْرَ السجون * وقد كنتُ أَربى لزوّارها

غضب وتربّد وجهُه وقال : هذا بما كَسَبتْ يداه، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة .

شاع مذهبه وشره فسافر لحلب فقتل فى الطريق وقال شعرا قبل موته

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى الحسين بن موسى قال :

لمّا شاع فى الناس مذهب علىّ بن الجَهْم وشرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوّه تحاماه الناسُ، فخرج عن بغداد إلى الشام، فاتّفقنا فى قافلةٍ إلى حَلَب، وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب، فتسرّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة، وخرج فيهم فقاتل قتالًا شديدًا وهزَم الأعرابَ . فلمّا كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير، فتسرّعت اليهم المُقَاتِلَةُ وخرج فيهم فأصابتْه طَعْنةٌ قتلتْه، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمُه . فلما رآنى بكى وجعل يُوصِينى بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قلِق قلقًا شديدا وأحسّ بالموت، فجعل يقول :

(١) الهارونى : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل . (٢) يحتمل جدا أن تكون : «تفضى» .

أَزِيدَ فى الليلِ ليلُ * أَم سَالَ بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهلَ دُجَيْلٍ(١) * وأين مِنِّى دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان فى القافلة، ومات مع السَّحَر، فدُفِن فى ذلك المنزل على مرحله من حَلَب .

* * *

ومن صنعة أبى عيسى بن المتوكل

صــــوت

إنِ الناسُ غَطَّوْنى تَغَطَّيْتُ عنهمُ * وإن بحثوا عنِّى ففيهم مَباحثُ
وإن حفَروا بِئرى حَفرت بِئارَهم * فسوف تَرَى ماذا تُثير النَّبائث(٢)

الشعر لأبى دُلامة . والغِناء لأبى عيسى بن المتوكِّل، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ عن المعتزّ .

---

(١) دجيل : نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .
(٢) النبائث جمع نبيثة، وهى تراب البئر .

أَخبار أبى دُلَامَةَ ونسبه

نسبه وهو مولى لبنى أسد وكان فاسد الدين متهتكا

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن . وأ كثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول "زيد" بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون . وهو كوفىٌّ أسودُ ، مولًى لبنى أَسَد . كان أبوه عبدًا لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه . أدرك آخرَ أيّامِ بنى أميّة ، ولم يكن له فى أيّامهم نباهة ، ونبغ فى أيّام بنى العبّاس ، وانقطع إلى أبى عبّاس وأبى جعفر المنصور والمهدىّ ، فكانوا يقدِّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالستَه ونوادرَه . وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبِىّ أيضًا فى بعض أيّامه . ولم يصل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبى دُلَامة من المنصور خاصّةً . وكان فاسدَ الدِّين ، ردىءَ المذهب ، مرتكبًا للمحارم ، مُضَيِّعًا للفروض ، مجاهرًا بذلك ، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعْرَف به ، فيُتَجافَى عنه لِلُطْفِ محلِّه . وكان أوّلُ ما حُفِظ من شعره وأَسْنِيَت الجوائزُ له به قصيدةً مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قتْلَه أبا مسلم .

أول شعر عرف به

١٢١
―
٩

فأخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال : لمّا قال أبو دُلَامةَ قصيدتَه فى قتل أبى مسلم التى يقول فيها :

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَنى القتلَ فانْتَحَى * عليك بما خوّفتنى الأسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلم ما غيّر الله نعمةً * على عبده حتى يغيّرَها العبدُ

أنشدها المنصورَ فى مَحْفِلٍ من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمَر له بها . فلمّا خلا به قال له : إِيه ! أمَا والله لو تعدَّيتَها لقتلتُك .

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن مُسْلِم عن أبيه قال : سمّى لى أبو دُلَامةَ نفسَه زَنْدًا (بالنون) ابنَ الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضا شعر ، وكان فى الصَّحابة .

أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس دون الناس

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ٱبن الحسين المُهَلّبىّ قال :

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابَه بلُبْس السَّوَاد وقَلانِسَ طِوالٍ تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها ، وأن يعلّقوا السُّيوفَ فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزِّىّ . فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شرُّ حالٍ ، وجْهِى فى نِصْفى ، وسَيْفِى فى ٱسْتِى ، وكتابُ الله وراءَ ظهرى ، وقد صبغت بالسَّواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إيّاك أن يَسْمَع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتابٍ لابن النطّاح فذكر مثلَ هذه القصة سواءً وزاد فيها :

وكنّا نرجّى من إمامٍ زيادةً * فجاد بطُولٍ زاده فى القَلَانِسِ
تَرَاها على هامِ الرجال كأنّها * دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانس

فضحك منه وأعفاه .

طلب من المنصور أو السفاح ، كلب صيد ثم تدرج فى الطلب الى أشياء كثيرة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النحوىّ قال حدّثنى الجاحظ قال :

كان أبو دُلَامةَ بين يَدَيِ المنصور واقفًا — وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ٱبن قُتَيْبة أنه كان واقفًا بين يَدَيِ السَّفّاح — فقال له : سَلْنى حاجتَك . قال أبو دُلامة : كلبٌ أتصيّد به . قال : أَعطوه إيّاه . قال : ودابّةٌ أتَصَيَّد عليها . قال : أَعطُوه . قال : وغلامٌ يَصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطُوه غلامًا . قال : وجاريةٌ تُصْلِح لنا الصَّيْدَ وتُطْعِمنا منه . قال : أعطوه جاريةً . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بُدَّ لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه دارًا تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين

يعيشون ! قال : قد أعطيتُك مائةَ جَرِيبٍ(١) عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نباتَ فيه . فقال : قد أقطعتُك أنا ياأمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيب غامرةً من فَيَافِي بنى أَسَـد . فضحك وقال : اجعلوها كلَّها عامرةً . قال : فأْذَنْ لى أن أُقَبِّل يدَك . قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : والله ما منعتَ عيالى شيئا أقلّ ضررًا عليهم منها . قال الجاحظ : فٱنْظُرْ إلى حِذْقه بالمسألة ولُطْفه فيها : ابتدأ بكلب فسهَّل القصّةَ به، وجعل يأتى بما يليه على ترتيبٍ وفُكَاهة، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَمَـا وصل إليه .

كنى باسم جبل بمكة

١٢٢ / ٩

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفش قال حدّثنى السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبيبَ قال : اسم أبى دُلامة زَنْدٌ بالنون، ومن الناس من يرويه بالياء، وكُنِّىَ أبا دُلَامة بٱسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دُلَامة، كانت قريش تَئِدُ فيه البناتِ فى الجاهليّة، وهو بأعلى مكة .

أنشد المنصور شعرا فأجازه

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم قال :

دخل أبو دُلَامة على المنصور فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

إنّ الخَليطَ أجَدَّ البينَ فٱنتجعوا(٢) * وزَوَّدوكَ خَبالًا بئس ما صنعوا
والله يعلم أنْ كادت لِبَيْنِهِمُ * يومَ الفِراق حَصَاةُ القلب تَنْصَدِع
عجِبتُ من صِبْيَتى يومًا وأُمِّهِمُ * أُمِّ الدُّلَامةِ لمّا هاجَها الجَزَع
لابارك الله فيها من مُنَبِّهَـةٍ * هَبَّتْ تلُوم عيالى بعد ماهجعوا
ونحن مُشْتَبِهو الألوان أوجهُنا * سُودٌ قِباحٌ وفى أسمائنا شَنَع
اذا تَشَكَّتْ إلىّ الجوعَ قلتُ لها * ماهاج جُوعَكِ إلّا الرِّىُّ والشِّبَع

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأفضل أن يكون «أجدّوا البين فانتجعوا» ليتفق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» مفردا وجمعا .

— ويُروَى وهو الجيّد :

أَذَابَكِ الجوعُ مُذْ صارت عيالتُنا * على الخليفة منه الرِّىُّ والشِّبَعُ —
لاوالذى يا أميرَ المؤمنين قَضَى * لكَ الخلافةَ فى أسبابها الرِّفَعُ
مازلتُ أُخْلِصُها كَسْبِى فتأكلُه * دونى ودون عيالى ثم تضطجعُ
شَوْهاءُ مَشْنَأَةٌ فى بطنها ثَجَلٌ * وفى المفاصل من أوصالها فَدَعُ (١)
ذكَّرتُها بكتاب الله حُرْمتَنا * ولم تكن بكتاب الله تَنْتفعُ
فاخْرَنْطَمَتْ (٢) ثم قالت وهى مُغْضَبَةٌ * أأنت تتلو كتابَ الله يالُكَعُ
أُخْرُجْ لِتَبْغِ لنا مالًا ومَزْرَعَةً * كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ
وٱخْدَعْ خليفتَنا عنها بمسألةٍ * إنّ الخليفة للسُّؤّال ينخدعُ

فضحِك أبو جعفر وقال: أَرضوها عنِّى وٱكتبوا له بمائتى جَريب عامرة ومائتى جريب غامرة — وقال الهيثم : بستمائة جَريب عامرة وغامرة — فقال له : أنا أُقْطِعك ياأمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف ، وإن شئتَ زِدتُك. فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرة .

شهد عند ابن أبى ليلى لجارة له وقال شعرا فأمضى ابن أبى ليلى شهادته

حدّثنى محمد بن أحمد بن الطَّلّاس قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

شهِد أبو دُلَامة بشهادة لجارة له عندَ ٱبن أبى ليلى (٣) على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلمّا فرغ من الشهادة قال : ٱسْمَعْ ماقلتُ فيك قبل أن آتيَك ثم ٱقْضِ ماشئتَ . قال : هات ؛ فأنشده :

---

(١) الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدع : الاعوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت أنفها واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة . أوّل من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى واستقضاه بعد ذلك بنو العباس .

إذا الناسُ غَطَّوْنى تغطَّيْتُ عنهمُ * وإن بحثــوا عنّى ففيهم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئرى حفرتُ بئارَهم * ليُعْــلَمَ يوماً كيف تلك النَّبـائثُ

ثم أقبــل على المرأة فقــال : أتَبيعِينِى الأتانَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمــائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبى دُلَامة : قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وآبتعتُ ممّن شَهِدتَ له ، ووهبتُ مِلْكى لمن رأيتُ . أَرَضِيتَ ؟ قال نعم ، وآنصرف .

١٢٣ / ٩ أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفَّاف قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا محمد بن سَلّام عن علىّ بن إسماعيل قال :

شرب مع السيد الحميرى أو أبى عطاء السندى فذم ابنته وأخبر المنصور فأكرمه

كنتُ أَسْــقِى أبا دُلَامة والسيّد، إذ خرجتْ بنتٌ لأبى دُلَامة ، فقال فيهــا أبو دُلَامة :

فمــا ولدتكِ مريمُ أُمُّ عيسَى * ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

أَجِزْ يا أبا هاشم[1] . فقال السيد :

ولكن قد تَضُمُّكِ أُمُّ سَوْءٍ * إلى لَبَّاتِهـا وأبٌ لئــيمُ

فضحِــك لذلك . ثم غدا أبو دُلَامة الى المنصــور فألفاه فى الرُّحْبة يُصْلِح فيها شيئاً يريده ، فأخبره بقصّة بنته وأنشده البيتين ، ثم آندفع فأنشده بعدهما :

لوكان يَقْعُد فوق الشمس من كَرَمٍ * قومٌ لقيل آقعــدوا يا آل عبّــاس
ثم آرتقُوا فى شُعاع الشمس كُلُّكمُ * إلى السماء فأنتم أظهــرُ النــاس
وقدِّموا القــائمَ المنصــورَ رأسَكُم * فالعينُ والأنف والأُذْنان فى الراس

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية حـ لأن أبا هاشم كنية السيد الحميرى . وسيأتى فى الصفحة التالية هــذا الخبر بين أبى دلامة وأبى عطاء السندى . فلعل ذلك هو الذى أوقع النساخ فى هذا اللبس .

فآستحسنها، وقال له : بأىّ شىء تحبّ أن أُعينَك على قُبْح آبنتِك هذه ؟ فأخرج خَرِيطةً قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لى هذه دراهمَ، فمُلِئتْ فوَسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثَم ابن عَدِىّ قال :

دخل أبو عَطاء السِّنْدىّ يومًا إلى أبى دُلَامة فآحتبسه عنده، ودعا بطعام فأكلا وشبِعا، وخرجت إلى أبى دُلَامة صَبِيَّةٌ له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبذها عن كتفه، ثم قال :

بَلَلْتِ علىّ لاحُيِّيتِ ثوبى * فبال عليكِ شيطانٌ رجيمُ
فما وَلَدتك مريمُ أُمُّ عيسى * ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

ثم آلتفت إلى أبى عطاء فقال له : أجِزْ. فقال :

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تَلِدْها * مُطَهَّرَةٌ ولا فحلٌ كريمُ
ولكن قد حَوَتْها أُمُّ سَوْءٍ * إلى لَبَّاتِها وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دُلَامة : عليك لعنةُ الله! ما حملكَ على أن بلغتَ بى هذا كلَّه ! والله لا أنازعك بيتَ شعرٍ أبدًا. فقال أبو عَطاء: لأَن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إلىّ.

رثى السفاح عند المنصور فغضب وأراد إخراجه الى الحرب فاسترضاه

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى أبو مالك عبد الله ابن محمد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا تُوفِّىَ أبو العبّاس السفّاح دخل أبو دُلَامةَ على المنصور والناس عنده يُعزُّونه؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول :

أَمْسَيْتَ بالأنبار يآبنَ محمدٍ * لم تستطع عن عُقْرِها تحويلا
وَيْلِى عليكَ ووَيْلُ أهلى كلِّهم * ويلًا وعَوْلًا فى الحياة طويلا

فَلَتَبْكِيَنَّ لك النسـاءُ بعَـبْرةٍ * ولَيَبْكِيَنَّ لك الرِّجالُ عَـوِيلَا
مات النَّدَى إذ مُتَّ يابن محمد * فجعلتَـه لك فى الـثَّرَّاء[1] عديلا
إنّى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم * فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا
ألِشِقْوتى أُخِّرتُ بعـدَك للتى * تَدَعُ العـزيزَ من الرجال ذليلا
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حـقٍّ بَرَّةً * بالله ما أُعْطِيتُ بعـدَك سُولا[2] ١٢٤/٩

قال: فأبكَى الناسَ قولُه. فغضِب المنصورُ غضباً شديدًا وقال: لئن سمعتُك تُنْشِـدُ هذه القصيدةَ لأَقطعنّ لسانَك. فقال أبو دُلَامة: يا أمير المؤمنين، إنّ أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لى مُكْرِمًا وهو الذى جاء بى من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ). فسُرِّيَ عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دُلَامة، فسَلْ حاجتَك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العبّاس أَمَر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبِضْها. فقال المنصور: ومَنْ يعرِف هـذا؟ فقال: هؤلاء، وأشـار إلى جماعة ممن حضَر. فوثَب سليمانُ بن مُجالِد وأبو الجَهْم فقالا: صدَق أبو دُلَامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبى أيّوب الخازن وهو مَغيظ: ياسليمانُ ادفَعْها اليه وسيِّره الى هـذا الطاغيـة (يعنى عبد الله بن علىّ[3]، وقد كان خرج بناحية الشام، وأظهر الخلافَ). فوثَب أبو دُلَامة فقال: يا أمير المؤمنين، إنى أُعِيذُك بالله أن أخرج معهم، فوالله إنى لمشئوم. فقال المنصور: اِمْضِ فإن يُمْنِى يَغْلِب شُؤْمَك فاخْرُجْ.

(١) الثراء: لغة فى الثرى. وسيرد فى الصفحة التالية رواية أخرى: «بالتراب». (٢) السول (يهمز ولا يهمز): ما سألته. (٣) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور، خرج عليه سنة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه؛ فوجه اليه المنصور أبا مسلم الخراسانى ووقعت له معه وقعة هائلة دارت فيها الدائرة أخيرا على عبد الله.

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرِّب ذلك منِّى على مثل هذا العسكر؛ فإنى لا أدرى أيُّهما يَغْلِب : أيُمْنُك أم شؤمى، إلّا أنى بنفسى أوثَق وأعْرَف وأطْوَل تجربةً . قال : دَعْنِى من هذا فمالَك من الخروج بدّ . فقال : إنى أَصْدُقُكَ الآنَ، شَهِدتُ والله تسـعةَ عشرَ عسكرًا كلُّها هُزِمتْ، وكنتُ سببَها . فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافعَلْ . فآستغرب (١) أبو جعفر ضحكًا، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى بن موسى (٢) بالكوفة .

أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : لمّا مات أبو العبّاس السفّاح ووَلِىَ المنصورُ، دخل عليه أبو دُلَامةَ، فقال له أبو جعفر : ألستَ القائلَ لأبى العبّاس :

وكنّا بالخليفة قـد عَقَـدْنا * لِـواءَ الأمر فآنتقض اللواءُ
فنحن رَعِيَّـةٌ هَلَكتْ ضَيـاعًا * تَسُوق بنـا إلى الفِتَن الرِّعاءُ

قال : ماقلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله! أفلستَ القائلَ :

هلَكَ النَّدَى إذ بِنتَ يابن محمدٍ * فجعلتَه لك فى التراب عَديلَا
ولقد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم * فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلَا
ولقـد حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ * بالله ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولَا

فقال أبو دُلَامة : إنّ أخاك صلّى الله عليه غلَبنى على صبرى، وسلَبنى عزيمتى، وعَزَّنى بإحسانه إلىّ وجزعى عليـه، فقلت مالم أتأمّله، وإنى أرغب فى الثمن فآستَفْرَهَ السِّلْعَةَ حيًّا وميّتًا . فإن أعْطَيْتَ ما أعطى، أخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبِس ثلاثا ثم خَلّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

---

(١) أى أكثر من الضحك و بالغ فيـه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى العباسى أمير الكوفة . وكان ولىّ عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدّم المنصور عليه فى ولاية العهد ابنه المهدى، ثم خلعه المهدى من ولاية العهد .

أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه

١٢٥ / ٩

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقِيّ قال حدّثني أبو دُلامة قال :

أُتِيَ بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحَلَفَ ليُخرِجَنّي في بَعْثِ حربٍ ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ[1] لقتال الشُّراة[2] . فلما ٱلتقى الجمعان قلت لرَوْح : أمَا والله لو أنّ تحتي فرسَك ومعي سلاحَك لأثَّرْتُ في عدوّك اليوم أثرًا ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ، ولآخذنّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فٱستبدل به . فلمّا حصَل ذلك في يدي وزالت عنّي حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فٱسمعهما . قال : هاتِ ، فأنشدتُه :

إني ٱستجرتُك أن أُقدَّم في الوَغَى * لِتَطاعُنٍ وتَنازُلٍ وضِرابِ

فهَبِ السُّيوفَ رأيتُها مشهورةً * فتركتُها ومضَيْتُ في الهُرّابِ

ماذا تقول لمَا يجيء وما يُرَى * من واردات الموت في النُّشّابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرَز رجل من الخوارج يدعو للبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دُلامة . فقلت : أَنْشُدكَ اللهَ أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لتَخْرُجَنّ . فقلت : أيها الأمير فإنه أوّل يوم من الآخرة وآخِرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منّي جارحةٌ من الجوع ، فمُرْ لي بشيءٍ آكله ثم أخرُج . فأمر لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصفّ . فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فٱبتلّ ، وأصابته الشمس فٱقْفَعَلَّ[3] وعيناه تَقِدان ، فأسرع إليّ .

---

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعا جوادا . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) كذا في حـ . واقفعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فانفعل » ، هو تحريف .

فقلت له : على رِسْلك ياهذا كما أنت، فوقف . فقلت : أتقتل مَنْ لا يقاتلك؟ قال لا . قلت : أتقتل رجلًا على دِينك ؟ قال لا . قلت : أفتستحِلّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك ؟ قال: لا ، فاذهب عنّى إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمعَ منّى . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطّ عداوةٌ أو تِرَةٌ، أو تعرفُنى بحالٍ تُحْفِظك علىّ، أو تعلم بين أهلى وأهلك وِتْرًا ؟ قال : لا والله. قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأى، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأَدين دينَك وأريد السُّوءَ لمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيرا فانصرِفْ . قلت : إنّ معى زادًا أُحبُّ أن آكُلَه معك، وأُحبُّ مُوَاكلتَك لتتوكّدَ المودّةُ بيننا ، ويَرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا . قال : فافعل . فتقدّمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابّنا وجمعْنا أرجلَنا على مَعَارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكا. فلما استوفَيْنا ودّعَنى. ثم قلت له : إنّ هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبنى إليك فتُتْعِبُنى وتَتْعَبُ . فإن رأيتَ ألّا تبرُز اليوم فافعلْ . قال : قد فعلتُ ، ثم انصرف وانصرفتُ . فقلت لرَوْح : أمّا أنا فقد كَفَيْتُك قِرْنى فقل لغيرى أن يَكْفيَكَ قِرنَه كما كَفَيْتُك؛ فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البِرَاز، فقال لى : اخرج إليه . فقلت:(1)

إنى أعوذ برَوْحٍ أن يقدّمنى * إلى البِراز فتَخْزَى بى بنو أَسَدِ
إنّ البرازَ إلى الأقران أعلمُه * مما يفرّق بين الروح والجسد
قد حالفتْك المنايا إذ صَمَدْتَ لها(2) * وأصبحتْ لجميع الخلق بالرَّصَد

(١) وردت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :
إنى أعوذ بروح أن يقدمنى * إلى القتال فيخزى بى بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد

(٢) فى الأصول : « إن صدمت » وهو تحريف .

إنّ المهلَّبَ حُبَّ الموت أورثكم * وماوَرِثتُ ٱختيارَ الموت عن أحد
لو أنّ لى مهجةً أخرى لجُدتُ بها * لكنّها خُلِقتْ فردًا فلم أَجِدِ

فضحك وأعفانى .

أمره مروان ابن محمد بمبارزة خارجى ففر منه

١٢٦ / ٩

أخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ٱبن قُتَيْبة قال قال أبو دُلَامةَ :

كنتُ فى عَسْكَرِ مروانَ(١) أيام زَحَف إلى سِنَانٍ الخارجىّ؛ فلمّا التقى الزّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى : مَنْ يبارز ! فلم يخرج إليه أحدٌ إلّا أَعْجَله ولم يُنَهْنِهْه(٢). فغاظ ذلك مروانَ وجعل ينـدُب الناسَ على(٣) خَمْسمائة ، فقُتِل أصحابُ الخمسمائة ، فزاد مروانُ وندَبهم على ألفٍ، ولم يزل يَزِيدهم حتى بلغ خمسةَ آلاف درهم . وكان تحتى فرس لا أخاف خَوْنَه؛ فلمّا سمعتُ بالخمسة(٤) الآلاف ترقّبْته(٥) وٱقتحمتُ الصَّفَّ . فلمّا نظرنى الخارجىُّ علِم أنّى خرجتُ للطمع؛ فأقبل إلىّ مُتَهَيِّئًا وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فٱبتلّ، ثم أصابته الشمسُ فٱقْفَعَلَّ ، وإذا عيناه تَقِـدانِ كأنّهما من غَوْرهما فى وَقْبَيْن(٦) . فلمّا دنا منّى أنشأ يقول :

وخارجٍ أخرجه حُبُّ الطَّمَعْ * فَرّ من الموت وفى الموت وَقَعْ
* مَنْ كان يَنْوِى أهلَه فلا رَجَعْ *

فلمّا وقَرتْ فى أُذُنى ٱنصرفتُ عنه هاربًا . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ؟ ٱيتونى به ، فدخلتُ فى غِمار النّاس فنجَوْتُ .

أعطاه موسى ابن داود مالا ليحج معه فهرب الى السواد وشكا مالا ال

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمـد بن سَعيد قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحُسَين اللّهْبىّ قال :

(١) يعنى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . (٢) نهنهه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضى أن يكون « ولم يمهله » . (٣) فى الأصول : «عن» . (٤) هذه لغة ضعيفة وأفصح اللغات : «بخمسة الآلاف» . (٥) ترقبته : رصدته . (٦) الوقب هنا : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء .

عزم موسى بن داود بن علىّ الهاشمىّ[١] على الحج. فقال لأبى دُلامة: احْجُجْ معى ولك عشرةُ آلاف درهم. فقال: هاتِها، فدُفعتْ إليه، فأخذها وهرب الى السَّواد، فجعل يُنْفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر. فطلبه موسى فلم يقدر عليه، وخشِىَ فَوْتَ الحج فخرج. فلمّا شارف القادسيّةَ إذا هو بأبى دُلَامة خارجًا[٢] من قرية إلى أخرى وهو سكرانُ، فأمر بأخذه وتقييده وطَرْحِه فى مَحْمِلٍ بين يديه ففُعِل ذلك به. فلمّا سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه:

يأيُّهـا النـاسَ قولوا أجمعونَ[٣] معًا * صـلَّى الإلٰه على موسى بن داود
كأنّ ديباجَتَىْ خدّيه من ذهبٍ * إذا بدا لك فى أثوابه السُّـود
إنّى أعـــوذ بداودٍ وأَعْظُمِـــه * من أن أُكَلَّف حَجًّا يآبن داود
خُبِّرتُ أنّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَـةٌ * من الشراب وما شُرْبى بتَصْرِيدِ[٤]
واللهِ مافىَّ من أجرٍ فتطلبَـــه * ولا الثناءُ على دِينى بمحمـــود

فقال موسى: أَلْقُوه لعَنَه اللهُ عن المَحْمِل ودَعُوه ينصرفُ، فأُلْقِىَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّواد، حتى نَفِدتِ العشرةُ[٥] آلافِ درهم.

أمره المنصور بملازمة الجماعة فى مسجد القصر فقال شعرا يستعفيه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير عن جعفر بن الحسين اللِّهْبِىّ، وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرى عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قالا[٦]:

قال أبو أيّوب المُورِيانِىّ لأبى جعفر، وكان يَشْنأ أبا دُلَامةَ: إنّ أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجدًا، وقد أفسد فِتيانَ العسكر. فلو أمرتَه

(١) هو ابن عم السفاح، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى. فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة.
(٢) فى الأصول: «خارج». (٣) فى الأصول المخطوطة: «أجمعين».
(٤) صرد شربه: قطعه. (٥) راجع الحاشية رقم ٤ فى الصفحة السابقة.
(٦) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «قال» وهو تحريف.

بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفى غيره من فِتيان عسكرك بقَطْعِه عنهم. فلمّا دخل عليه أبو دُلَامةَ قال له : يآبنَ اللَّخْناء، ماهذا المُجون الذى يبلُغنى عنك! . قال أبو دُلَامة: يا أمير المؤمنين ما أنا والمجونُ وقد شارفتُ بابَ قبرى! . قال: دَعْنى من آستكانتك وتَضَرُّعك، و إيّاك أن تفوتَك صلاةُ الظهرِ والعصرِ فى مسجدى . فلئن فاتتاكَ ١٢٧ لأُحْسِنَنَّ أدبَك ولأُطِيلَنَّ حَبْسَك . فوقع فى شرٍّ ولَزِم المسجدَ أيّامًا، ثم كتب قصّته ودفَعها إلى المهدىّ فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها :

ألم تَعلَمَا أنّ الخليفة لَزَّنى[1] * بمسجده والقصرِ مالى وللقصر!
أصَلِّى به الأولى جميعًا وعصرَها * فوَيْلِى من الأولى وويْلِى[2] من العصر
أُصَلِّيهما بالكُرْه فى غير مسجدى * فمالىَ فى الأولى ولا العصرِ من أجر
لقد كان فى قومى مساجدُ جَمَّةٌ * سواه ولكن كان قَدْرًا من القَدْر
يكلِّفنى من بعد ما شِبتُ خُطَّةً * يَحُطُّ بها عنِّى الثقيلَ من الوِزْر
وما ضَرَّه والله يغفر ذنبَه * لَوَ آنّ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

قال : فلمّا قرأ المنصور قِصّته ضحِك وأعفاه من الحضور معه ، وأحْلَفه أن يصلِّىَ الصلاةَ فى مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر عن عمّه، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَرّاز[3] عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ ورَوَانيه بعضُ من روَى عن الزُّبَيْر .

أنّ أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبى دُلَامة — وقال الآخر: إنّ أبا العبّاس السَّفّاح كان يحب ذلك — فكان يسأل عنه فيوجَد فى بيوت الخَمّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه

(١) لزه بكذا : ألزمه اياه . (٢) فى جـ : «وعولى» . (٣) فى حـ : «الخرزى» . وفى أ ، م : « الخرازى » .

على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفًا أن تملّنى. فعلم أنه يُحاجزه[١]، فأمر الربيعَ أن يوكّل به من يُحضِره الصلواتِ معه فى جماعةٍ فى الدار. فلمّا طال ذلك عليه قال:

ألم تريا أنّ الخليفةَ لزّنى * بمسجده والقصرِ مالى وللقصر!
فقد صدّنى عن مسجدٍ أستلذّه * أعلَّلُ فيه بالسَّماع وبالخمر
وكلّفنى الأولى جميعًا وعصرَها * فويلى من الأولى وعولى من العصر
أصلّيهما بالكُرْه فى غير مسجدى * فمالى من الأولى ولا العصر من أجر
يكلّفنى من بعد ما شِبْتُ توبةً * يَحُطُّ بها عنى المثاقيل من وِزْرى
لقد كان فى قومى مساجدُ جَمّةٌ * ولم ينشرح يومًا لغِشْيانها صدرى
ووالله مالى نيّةٌ فى صلاته * ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى
وما ضرّه والله يغفر ذنبَه * لوَ انّ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

فبلغته الأبيات فقال: صدَق! ما يَضُرُّنى ذلك، واللهِ لا يصلُح هذا أبدا، فدَعُوه يعمَل ما يشاء. وقال الهيثم فى خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيْناك من هذه الحال، ولكن على ألّا تدَعَ القيام معنا فى ليالى شهر رمضان فقد أظَلّ[٢]. فقال: أفعَلُ. قال: إنك إن تأخّرتَ لشُرْب الخمر علِمتُ ذلك، وواللهِ لئن فعلتَ لأحُدَّنّك. فقال أبو دُلامة: البليّةُ فى شهر أصلَحُ منها فى طول الدهر، سمعًا وطاعةً. فلمّا حضَر شهرُ رمضان لزِم المسجدَ. وكان المهدىّ يبعث إليه فى كل ليلة حَرَسيًّا يجىء به؛ فشَقّ ذلك عليه، وفزِع الى الخَيْزُران وأبى عُبيد الله[٣] وكلِّ مَنْ كان يلوذ بالمهدىّ ليشفَعوا له فى الإعفاء

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب الى ريطة شعرا يستشفع بها للمهدى

(١) يعنى: يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه. (٢) أظل: غشى وأشرف وأقبل. (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى الكاتب الوزير. كان من رجالات المنصور ثم المهدى. عزله المهدى عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من القيام ، فلم يُجبهم . فقال له أبو عُبَيْد الله : الدَّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك برَيْطَةَ(١) فإنّه لا يخالفها . قال : صدَقْتَ والله ، ثم رفَع إليها رُقْعةً يقول فيها : ١٢٨/٩

أبلغَا رَيْطَـةَ أنّى * كنتُ عبـدًا لأبيها
فمضى يرحمــه اللـ * ـه وأوصى بى إليها
وأراها نَسِـيَتْنى * مثْلَ نسيانِ أخيها
جاء شهرُ الصَّوْمِ يمشى * مِشْـيَةً ما أشتهيها
قائدًا لى ليلةَ القَـدْ * رِ كأنّى أشتهيها
تَنْطَحُ القبلةَ شهرًا * جَبْهَتى لا تأتليها
ولقـد عشتُ زمانًا * فى فَيافٍ وجيها
فى ليالٍ من شتاءٍ * كنتُ شيخًا أصْطَليها
قاعدًا أُوقِـدُ نارًا * لِضِبابٍ أشْـتَويها
وصَـبوحٍ وغَبـوقٍ * فى عِلَابٍ(٢) أحتَسيها
ما أبالى ليـلةَ القَدْ * رِ ولا تُسْـمِعُنيها(٣)
فاطلبى لى فرجًا منـ * ـها وأجْرِى لكِ فيها .

فلمّا قرأتِ الرُّقْعةَ ضَحِكتْ وأرسلتْ إليه : اِصطبرْ حتى تمضىَ ليلةُ القَدْر . فكتب إليها : إنى لم أسألكِ أن تكلّميه فى إعفائى عامًا قابلًا ، وإذا مضت ليلة القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) ريطة : هى ابنة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدى . (٢) العلاب : جمع علبة وهى قدح ضخم من جلود الإبل أو هى قدح من خشب . (٣) لا هنا نافية ، وهو خبر يراد به النهى .

خافِى إلهَكَ فى نفسٍ قد ٱحْتُضِرَتْ * قامت قيامتُها بين المصلِّين
ما ليلةُ القَدْرِ من هَمِّى فأطْلُبَها * إنّى أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كَسَّرتِ أَرْجُلَنا * يا ليلةَ القَدْرِ حقًّا ما تُمَنِّينا !؟
لا بارك الله فى خيرٍ أُؤمِّلُهُ * فى ليلةٍ بعد ما قمنا ثلاثينا

فلمّا قرأتِ الأبياتَ ضحكتْ ، ودخلت إلى المهدىّ فشفَعتْ له إليه ، وأنشدتْه الشعرين ، فضَحِك حتى ٱستلقى ، ودعا به ورَيْطةُ معه فى الحَجَلة(١) فدخل ؛ فأخرج رأسه إليه وقال : قد شفّعْنا رَيْطةَ فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أمّا شفاعةُ سيّدتى فىَّ حتى أعفَيْتَنى فأعفاها الله من النار . وأمّا السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلتَه ؛ إمّا أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرة ، أو تَنْقُصَنى منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإنّى لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتُها خمسة . قال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ . فعبِث به المهدىُّ ساعةً ثم تكلّمتْ فيه رَيْطةُ فأتمّها له عشرةَ آلافِ درهم .

أنشد المهدى شعره فى نخاس فضحك منه

أخبرنى الحسين بن علىّ عن حَمّاد عن أبيه قال :

مَرَّ أبو دُلَامة بنَخّاس يَبِيع الرقيقَ ، فرأى عنده منهنّ من كل شىءٍ حَسَن ، فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدى فأنشده :

إن كنتَ تَبْغِى العيشَ حُلْواً صافياً * فالشعرَ أَعْزِبْه وكن نَخّاسا
تَنَلِ الطّرائفَ من ظِرافٍ نُهَّدٍ * يُحْدِثْنَ كلَّ عَشِيّةٍ أعْراسا
والربحُ فيما بين ذلك راهنٌ * سَمْحًا ببيعك كنتَ أو مَكّاسا(٢)
دارتْ على الشعراء حِرْفةُ نَوْبةٍ(٣) * فتجرّعوا من بعد كأسٍ كاسا

١٢٩ / ٩

(١) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور . (٢) مكس فى البيع يمكس (من باب ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة فى البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : «نوبة حرفة» .

وتَسَرْبَلُوا قُمُصَ الكِسَاءِ لِحَاولُوا * بالنَّخْس كَسْبًا يُذْهِبُ الإفلاسا

فجعل المهدىّ يضحك منه .

لفق رؤيا للمنصور وأخذ منه ثيابا

نسختُ من كتاب ابن النطّاح قال :

دخل أبو دُلَامةَ على المنصور فأنشده :

رأيتُك فى المنام كسوتَ جِلْدى * ثيابًا جَمَّـةً وقضَيْتَ دَيْنِى

فكان بَنَفْسَجِىُّ الخَزِّ فيها * وسـاجٌ(١) ناعـمٌ فأتمّ زَيْـنى

فصـدِّقْ يا فَدَتْك النفسُ(٢) رؤيا * رأتْهـا فى المنـام كذاك عَيْنى

فأمر له بذلك وقال له : لا تَعُدْ أن تَتَحلَّم(٣) علىَّ ثانيةً ، فأجْعَلَ حُلْمَك أضغاثًا ولا أُحَقِّقَه .

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعرا فعفا عنه

ثم خرج من عنـده ومضى فشرب فى بعض الحـانات فسكر وانصرف وهو يميل ، فلقيه العَسَسُ فأخذوه ، وقيل له : من أنت وما دِينُك؟ فقال :

دِينى على دِينِ بنى العَبّاسِ * ما خُتِمَ الطينُ على القِرْطاسِ

إنِّى اصطبحتُ أربعًا بالكاس * فقـد أدار شُـرْبها براسى

* فهل بمـا قلتَ لكم من باسِ *

فأخذوه ومَضَوْا ، وخرقوا ثيابَه وساجَه وأُتِىَ به أبو جعفر - وكان يؤتَى بكلِّ مَنْ أخذه العَسَسُ - فحبَسه مع الدَّجاج فى بيت . فلمّا أفاق جعل ينادى غلامَه مَرَّةً وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو فى ذلك يسمَع صـوتَ الدَّجاج وزُقَاءَ الدُّيوك . فلمّـا أكثر قال له السَّـجّان : ما شأنك ؟ قال : وَيْلَك مَنْ أنتَ وأين أنا ؟ قال : فى الحبس ، وأنا فلان السَّجّانُ . قال : ومَنْ حبَسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال :

(١) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفى الأساس : « لبسوا السيجان وهى الطيالسة المدوّرة الواسعة » .   (٢) فى ب ، س : « الناس » .

(٣) تحلّم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب .

ومَنْ خرَق طَيْلَسانى ؟ قال : الحَرَس. فطلب منه أن يأتيَه بدواةٍ وقِرْطاس ففعل، فكتب إلى أبى جعفر :

أميرَ المؤمنين فدَتْك نفسى * عَلامَ حبستَنى وخَرَقْتَ ساجى
أمِنْ صفْراءَ صافيةِ المِزاجِ * كأنّ شُعاعَها لَهَبُ السِّراج
وقد طُبِخَتْ بنار الله حتّى * لقد صارتْ من النُّطَفِ النِّضاج (١)
تَهَشّ لها القلوب وتشتهيها * إذا بَرَزَتْ (٢) تَرَقْرَقُ فى الزُّجاج
أقاد إلى السُّجُون بغير جُرْمٍ * كأنّى بعضُ عُمّال الخَراج
ولو معهم حُبِسْتُ لكان سهلًا * ولكنّى حُبِسْتُ مع الدَّجاج
وقد كانت تُخَبِّرُنى ذنوبى * بأنّى من عِقابك غيرُ ناجى
على أنى وإن لاقيتُ شرًّا * لخيرك بعد ذاك الشّرّ راجى

فدَعَا به وقال : أين حُبِسْتَ يا أبا دُلَامة؟ قال : مع الدَّجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أُقَوْقِى معهنّ حتى أصبحتُ . فضحك وخَلّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلمّا خرج قال له الرَّبيع : إنه شرب الخمرَ يا أميرَ المؤمنين . أمَا سمعتَ قولَه "وقد طبخت بنار الله" (يعنى الشمس) . فأمر بردّه ثم قال : يا خبيث شربتَ الخمرَ؟ قال لا . قال : أفلم تقل "طُبِخَتْ بنار الله" تعنى الشمس . قال : لا والله ماعَنَيْتُ إلّا نارَ الله المُوقَدة التى تَطَّلِعُ على فؤاد الرَّبيع . فضحك وقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّض . ١٣٠/٩

لقى رؤيا لتمار وأخذ منه تمرا

قال ابن النطّاح : ومرّ أبو دُلامةَ بتَمّار بالكوفة فقال له :

رأيتُك أطعمتنى فى المنامِ * قَوَاصِرَ (٣) من تَمْرِك البارحهْ

(١) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر . (٢) فى أ ، م : «برقت» . وترقرق : تلألأ أى تجىء وتذهب . (٣) قواصر : واحدها قوصرة ، وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

فأمَّ العِيــال وصِــبْيانُها * إلى البــاب أعينُهم طامحهْ

فاعطاه جُلَّتَىْ(١) تَمْر وقال له : إنْ رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصِحَّ تفسيرُها . فأخذهما وانصرف .

هنأ المهدى بقدومه من الرى فلا حجره دراهم

وقال ٱبنُ النطّاح :

لمّــا قدِم المهدىّ من الرَّىّ دخل عليه أبو دُلَامَةَ فانشأ يقول :

إنّى نَذَرتُ لئن رأيتُك سالمــًا * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ

لَتُصَــلِّيَنَّ على النبىّ محمّــــدٍ * ولتملأَنَّ دراهماً حِجْرِى

فقال : صلّى الله عليه وسلم، وأمّا الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختارَ أسهلَهما . فأمر بأن يُملأَ حِجْرُه دراهم .

ومِثْلُ هذا وإن لم يكن منه ما حدّثنى به الحسنُ بن علىّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

قدِم المُهَلَّبُ من بعض غَزَواته، فلَقِيَتْه عجوزٌ من الأَزْد فقالت : أيُّها الأمير، أسألك بالله والرَّحِم إلّا وقفتَ فوقَف. فدَنَتْ وقبَّلَتْ يدَه وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان علىّ، إنّى نذرتُ علىّ لله أن أُقَبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالمــًا وتهَبَ لى أربعمائة درهم وجاريةً صُغْدِيَّةً تخدُمنى . فضحِك وقال : أمّا نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِك ؛ ادفعوا إليها ذلك، وإيّاكِ ياأمّاه وهذه النُّذورَ؛ فليس كلُّ أحد يَفِى لكِ بها ويَنْشَط لتحليلكِ منها .

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدى شعرا فعجل جائزته

قال ٱبن النطّاح :

وصام النــاسُ فى سنة شــديدة الحرّ على عهد المهدىّ ، وكان أبو دُلامة يتنجّزُ جائزةً أمَر له المهدىّ بها . فكتب إليه أبو دَلَامة رُقْعَةً يشكو فيها أذى الحَرّ والصوم وهى :

(١) الجلة (بالضم) : قفة كبيرة للتمر .

أدعوك بالرَّحِم التى هى جُمِّعَتْ * فى القُرْب بين قريبنا والأَبْعَـدِ
إلّا سمعتَ وأنت أكرمُ مَنْ مَشَى * من مُنْشِدٍ يرجو جزاءَ المُنْشَـدِ
جاء الصـيامُ فصُمْتُه متعبِّـدًا * أرجـو رجاءَ الصـائم المتعبِّـدِ
ولَقِيتُ من أمر الصّيام وحَرِّه * أمرين قِيسَا بالعذاب المؤصَد(١)
وسجدتُ حتى جَبْهَتِى مشجوجةٌ * ممّا يُناطحنى الحَصا فى المسجد
فأمْنُنْ بتسريحى بمَطْلِك بالذى * أسْلَفْتَنِيه من البَلاء المُرْصَد

فلمّا قرأ المهدىّ رُقْعَتَه غَضِب وقال : يا عاضّ كذا من أُمِّه أىُّ قَرابةٍ بينى وبينكَ؟ ! قال : رَحِمُ آدمَ وحَوّاء، أَنَسِيتَهما يا أميرَ المؤمنين ! فضحِك وقال : لا والله ما نسيتُهما ؛ وأَمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخُزَاعىّ عن المدائنىّ وزاد فيه قال : وأنشده أيضًا فى ذمّ الصَّوْم :

هل فى البـلاد لرزق الله مُفْتَرِشُ * أم لا ففى جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

— يعنى أنّ جِلْدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس(٢) فهو يُحترش(٣) كما يُحترش الضَّبُّ — الشِّعْر :

أضحى الصِّيامُ مُنِيخًا وَسْطَ عَرْصتِنا * ليت الصيامَ بأرض دونها حَرَشُ(٤)
إن صُمْتُ أَوْجَعَنى بطنى وأقْلَقَنى * بين الجوانح مَسُّ الجوع والعَطَشُ
وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم * أضرَّنى بَصَرٌ قـد خانه العَمَشُ

١٣١ / ٩ — عزى أم سلمة بنت يعقوب فى السفاح فأضحكها

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ عن أحمد بن زُهَيْر عن الزُّبَيْر عن عمِّه، ونسخت من كتاب ابن النطّاح قال اليزيدىّ فى خبره :

(١) المؤصد : المطبق . (٢) فى الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احترش الضب وحرشه : صاده ؛ وهو أن يحرك يده على جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل : «أتعلمنى بضب أنا حرشته» يخاطب به العالم بالشئ من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة : الخشونة . يتمنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دُلامــة على رَيْطةَ بعد وفاة المهدىّ، وقال ابن النطّاح : دخل على أمّ سَلَمةَ[1] بنتِ يعقوب بن سَلَمة بعــد وفاة أبى العبّاس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكتْ معه، ثم أنشدها :

مَنْ مُجْمِلٌ فى الصبرِ عنكَ فلم يكن * صبرِى عليكَ غَدَاةَ بِنْتَ جميلا
يجــدون أَبْدَالًا به وأنا امرؤٌ * لو مُتُّ وَجْدًا ما وجدتُ بديلا
إنّى سألتُ الناس بعدَكَ كلَّهم * فوجدتُ أَجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أُمُّ سَلَمةَ : لم أرَ أحدًا أُصيب به غيرى وغيرَك يا أبا دلامة . فقال : ولا سَوَاءَ يرحَمُكِ الله، لكِ منه ولد وما ولدتُ أنا منه . فضحكتْ — ولم تكن منذ مات أبو العبّاس ضحكتْ إلا ذلك الوقتَ — وقالت له : لو حدّثتَ الشيطانَ لأضحكتَه .

خدع المهدى بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما

أخبرنا محمــد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا عبــد الله بن الضحّاك قال :

دخل أبو دُلامــة على المهدىّ وهو يبكى . فقــال له : مالك ؟ قال : ماتت أمّ دُلَامة، وأنشده لنفسه فيها :

وكنّا كزَوْجٍ مِن قطًا فى مَفَازةٍ * لدى خَفْضِ عَيْشٍ ناعمٍ مُونِقٍ رَغْدِ
فأفـردنى رَيْبُ الزمانِ بصَرْفه * ولم أرَ شيأ قطُّ أَوْحَشَ من فَـرْدِ

فأمر له بثياب وطيبٍ ودنانير، وخرج . فدخلتْ أُمُّ دُلَامةَ على الخَيْزُران فأعلمتْها أنّ أبا دُلامة قد مات، فأعطتْها مثلَ ذلك، وخرجتْ . فلمّا التقى المهدىّ والخَيْزُران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه .

(١) أم سلمة : هى أم سلمة المخزومية امرأة الخليفــة أبى العباس السفاح، وتزوجها بعده عبد الله ابن عبد الحميد المخزومى . (انظر الأغانى ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) .

فرض له المنصور على كل هاشمى عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة، ونسختُ أنا من كتاب ابن النطّاح قال :

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشده :

أمَا وربِّ العادياتِ ضَبْحَا(١) * حقًّا وربِّ المُورِياتِ قَدْحَا
إنّ المُغيراتِ علىّ صُبْحَا * والناكثاتِ(٢) من فؤادى قَرْحا(٣)
عَشْرُ ليالٍ بينهن ضَبحا(٤) * يَجْلُفْنَ(٥) مالى كلَّ عامٍ صبحا

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دُلامة ؟ قال : أربعا وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمىّ أربعةً وعشرين دينارا، فكان يأخذها منهم . فأتى العباسَ بنَ محمد فى عَشْر الأضْحَى يتنجّزها . فقال : يا أبا دُلامة ، أليس قد مات ابنُك؟ قال بلى . قال : أنْقُصُوه دينارين . قال : أصلَح الله الأميرَ لا تفعل، فإنه ترك علىّ ولدين . فأبى إلّا أن يَنْقُصَه . فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنتَ ترجوه وتأمُلُه * فاغسِلْ يديك من العبّاس بالياس
واغسِلْ يديك بأُشْنانٍ(٦) فأنقِهما * مما تؤمّل من معروف عبّاس
جزاك ربُّك يا عبّاسُ عن فَرَجٍ * جنّاتِ عَدْنٍ وعنِّى جُرْزَتَىْ(٧) آس

(١) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة . (٢) نكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ؛ ففى حـ : « الناكثات » . وفى أ ، م : «الناكنات» . وفى ب ، سـ : «الفاتكات» . (٣) فى الأصول : «قدحا» بالدال، وهو تحريف . (٤) فى أ ، م : « صبحا » بالصاد المهملة . وهى فى كلتا صورتيها غير واضحة . (٥) يجلفن : يستأصلن . وفى ب ، سـ : « يتلفن » . وفى سائر الأصول : « يحلفن » بالحاء المهملة . وهو مصحف عما أثبتناه ، كما يحتمل أن يكون مصحفا عن « يحلقن » بالقاف بمعنى يستأصلن أيضا . (٦) الأشنان (بالضم) : حمض تغسل به الأيدى . (٧) الجرزة : الحزمة .

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وٱغتاظ على العبّاس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين دينارًا أخرى . هذه رواية يزيد . وأمّا ٱبنُ النطّاح فإنه ذكر أن الذى نقصه الدينارين علىُّ بن صالح وقال له : إنما نَقَصْتُك دينارين لموت ٱبنك دُلامة. فحلف ألّا يأخذ إلّا خمسين دينارا، ثم قام مُغْضَباً، فأَتْبعه الرسولَ فأعطاه إيّاها. فقال له : أَوْلَى لَهُ[1] . أمّا ما سبق فلا حيلةَ فيه، والمستأنَفُ فقد أمنه . وقد كان قال فيه :

قيل إن هذه القصة مع على بن صالح

لعلىِّ بنِ صالحِ بن علىٍّ * نَسَبٌ لو يُعينه بسَماحِ
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن * ما لنا فى بقائهم من فَلَاحِ
غيرَ فَضْلٍ فإنّ للفَضْلِ فضلًا * مستبينًا على قريشِ البِطَاحِ

تخاصم الى عافية القاضى وداعبه

أخبرنى محمد بن أحمد عن محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

خاصم رجلٌ أبا دُلامةَ فى داره ، فٱرتفعا إلى عافيةَ القاضى ؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول :

لقد خاصمتْنى دُهاةُ الرِّجالِ * وخاصمتُها سَنَةً وافيهْ
فما أَدْحض اللهُ لى حُجّةً * ولا خيّب الله لى قافيهْ
ومَنْ خفتُ من جَوْرِه فى القضاء * فلستُ أخافُك يا عافيهْ

فقال له عافيةُ : أمَا واللهِ لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعْلمنّه أنك هَجَوْتَنى . قال : إذًا يَعْزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصورَ فضحك وأمر لأبى دُلامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهدد والتوعد .

أمره المهدى بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه

أخبرنى محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

دخل أبو دُلامة على المهدىّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم . فقال له : أنا أعطى اللهَ عهدًا لئن لم تَهْجُ واحدًا ممّن فى البيت لأقطعنّ لسانك — ويقال إنه قال: لأضربنّ عُنُقَك — فنظر إليه القوم، فكلّما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنّ عليه رِضاه . قال أبو دلامة : فعلمتُ أنّى قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدّ منها، فلم أرَ أحدًا أحقَّ بالهجاء منّى، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هجاء نفسى، فقلت :

ألا أبلغْ إليك أبا دُلَامَهْ * فليس من الكرام ولا كَرامهْ
إذا لبِس العمامةَ كان قِرْدًا * وخنزيرًا إذا نزَع العِمامهْ
جمعتَ دَمَامةً وجمعتَ لؤمًا * كذاك اللُّؤم تتبَعه الدَّمامهْ
فإنْ تك قد أصبتَ نعيمَ دُنْيا * فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

قال شعرا فى المهدى وعلى بن سليمان وقد خرجا للصيد فأصاب الأول وأخطأ الثانى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير عن عمّه قال :

خرج المهدىّ وعلىّ بن سليمان إلى الصَّيْد، فسنَح لهما قَطيعٌ من ظِباء، فأُرْسِلَت الكلابُ وأُجريتِ الخيلُ، فرمى المهدىُّ ظبيًا بسهم فصرَعه، ورمى علىُّ بن سليمان فأصاب بعضَ الكلاب فقتله . فقال أبو دُلامة :

قد رمى المهدىّ ظبياً * شَكَّ بالسهم فُؤادَهْ
وعلىُّ بن سليما * ن رمى كلبًا فصادَهْ
فهنيئًا لهما كلُّ امرئٍ يأكل زادَهْ

فضحك المهدىّ حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه، وقال : صدَق والله أبو دُلامة، وأمر له بجائزة سَنيّة. أخبرنى بهذا الخبر عَمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عَدىّ فذكر مثْلَ ما ذكره وقال فيه : فلُقِّب علىُّ بن سليمان "صائدَ الكلب" وعَلِقَ به. ١٣٣ / ٩

أنشد المنصور شعرا فأعطاه دارا وكسوة ثم احتاج الى الدار وعوّضه بدلها

قال ابنُ النطّاح : وأنشد أبو دُلامة المنصورَ يومًا :

هاتيك والدتى عجوزٌ همّةٌ(1) * مثلُ البَليّة دِرْعُها فى المِشْجَبِ(2)
مهزولةُ اللَّحيين(3) مَنْ يرها يقُلْ * أبصرتُ غُولًا أو خيالَ القُطْرُبِ(4)
ما إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها * مالًا يؤمَّل غيرَ بَكْرٍ أجْرَبِ
ودجاجَتًا(5) خمسًا يَرُحْنَ إليهمِ * لمّا يَبِضْنَ وغيرَ عَيْرٍ(6) مُغْرِبِ
كتبوا إلىّ صحيفةً مطبوعةً(7) * جعلوا عليها طِينةً كالعَقْرَبِ
فعلمتُ أنّ الشّرّ عند فَكاكِها * ففككتُها عن مِثْلِ رِيحِ الجَوْرَبِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعى رُقِّشَتْ * يُوعِدْنَنى بتلمُّظٍ وتَثَؤُّبِ(8)
يشكون أنّ الجوعَ أهلك بعضَهم * لَزَبًا(9) فهل لك فى عيالٍ لُزَّبِ
لا يسألونك غيرَ طَلِّ سَحابةٍ * تغشاهمُ من سَيْلك المُتحلِّبِ
يا باذلَ الخيراتِ يابنَ بَذُولها * وابنَ الكرام وكلِّ قَرْمٍ مُنْجِبِ
أنتم بنو العبّاس يُعلَم أنكم * قِدْمًا فوارسُ كلِّ يومٍ أشْهَبِ

(١) الهمة : العجوز الفانية. (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر. يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب. (٣) اللحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان. (٤) القطرب هنا : ذكر الغيلان أو الصغير من الجن. (٥) يجوز فى تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى. وقد روعى هنا المعنى. (٦) العير (بالفتح) : الحمار. والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيضّ محاجره وأرفاغه. (٧) مطبوعة : مختومة. (٨) فى الأصول : «وتثاوب» ويقال لغة تثاءب وتثأب بالتضعيف. وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون فى القافية ألف الأساس، واذا كانت لزمت فى القصيدة كلها. (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش.

أَحْلَاسُ[1] خيـلِ الله وهى مُغِيرةٌ * يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأَكْهَبِ[2]

قال : فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ . وكانت الدار قريبةً من قصره ، فأمر بأن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دُلامة فأنشده قولَه :

يآبنَ عَمِّ النبيِّ دعوة شَـيخٍ * قـد دنا هَـدْمُ دارِه ودَمَارُهْ
فهو كالماخض التى آعتادها الطَّلْـ * ـقُ فقَـرَّتْ وما يَقِـرُّ قَـرارُه
إنْ تَحُزْ عُسْرَه بكفَّيْكَ يومًا * فبكفَّيْـكَ عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْـه فللبَـوارِ، وأنَّى * ولمـاذا وأنت حَىٌّ بَـوارُه
هل يخاف الهَلَاكَ شاعرُ قومٍ * قَدُمَتْ فى مديحهم أشـعارُه
لكمُ الأرضُ كلُّها فأعـيروا * شيخَكم ما آحتوى عليه جِدارُه
فكأنْ قد مَضَى وخلَّف فيكم * ما أَعَرتُم وأَقْفرتْ منـه داره

فآستعبَرَ المنصورُ ، وأمر بتعويضه داراً خيرًا منها ووصله .

عابه عنـد المهدى محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته

قال آبن النطّاح :

ودخل أبو دُلامة على المهدىّ وعنده مُحْرِز ومُقَاتِل آبنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دُلامة ويَعيبانه عنده . فقال أبو دُلامة :

ألَا أيُّهـا المهدىّ هل أنت مُخْبِرِى * وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلى
ألم تَرْحَـمِ اللَّحْيَيْنِ من لِحْيَتَيْهما * وكلتاهمـا فى طولهـا غـيرُ طائل
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمِى * بحَلْقِهما من مُحْـرِزٍ ومُقَـاتِل
فإنْ يأذَنِ المهدىُّ لى فيهما أقُلْ * مقالًا كوقع السيف بين المفـاصل
وإلَّا[3] تَدَعْـنِى والهمومُ تَنُـوبنى * وقلبى من العِلْجَيْنِ جَمُّ البلابل

١٣٤
٩

(١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غبرة مشربة سوادا .
(٣) فعل الشرط محذوف أى وإلا تفعل تدعنى .

فقال . أوآخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

مدح سعيد بن دعلج فأجازه

قال ٱبن النطّاح :

ودخل أبو دُلامة على سَعيد بن دَعْلَج(١) مولى بنى تَميم فقال :

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيمِ
وأمّا بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبِّحَ من غريمِ
غريمٌ لازمٌ بفِناء بيتى * لزومَ الكلب أصحابَ الرَّقيم(٢)
له مائةٌ علىّ ونصفُ أُخرى * ونِصْفُ النِّصْفِ فى صَكٍّ قديمِ
دراهمُ ما ٱنتفعتُ بها ولكنْ * وصلتُ بها شيوخَ بنى تَميمِ
أَتَوْنى بالعَشيرة يسألونى * ولم أكُ فى العَشيرة باللَّئيمِ

فضحِك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزِدْتُك مائةً .

---

(١) كان أميرا على شرطة البصرة وأحداثها لأبى جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضا وعزله بعد ذلك . وولى للهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)

(٢) قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) : « الرقيم اسم كلبهم ، قال أمية بن أبى الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همّد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا فى الجبل ، وقيل : هو الوادى الذى فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفى اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجى فى الرقيم خمسة أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماؤهم . الثانى أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد . الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادى . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة » .

داعب المنصور فى جنازة بنت عمه حتى ضحك

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللِّهبىّ عن عمّه مُصْعَب :

أنّ حَمَّادةَ بنت عيسى تُوفِّيَتْ وحضر المنصورُ جنازتَها . فلمّا وقف على حُفْرتها قال لأبى دُلامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين حَمَّادةَ بنتَ عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَنُ فيها . فضحِك المنصور حتى غُلِب فستر وجهه .

سأل الخيزران جارية فوعدته بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية

أخبرنى عمّى رحمه الله تعالى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرَانىّ قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمَرىّ حدّثنا الهَيْثَم قال :

حَجّت الخَيْزُرانُ، فلمّا خرجتْ صاح بها أبو دُلَامةَ . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقالوا له : ما أمرُك؟ فقال : أدْنُونى من مَحْمِلها . قالتْ : أدنوه، فأُدْنِىَ . فقال : أيّتها السيّدة، إنّى شيخ كبير وأجرُكِ فىّ عظيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَبين لى جاريةً من جواريك تؤنسنى وترفُق بى وتُريحنى من عجوز عندى، قد أكلتْ رِفْدى، وأطالت كَدِّى، وقد عاف جلدى جلدَها، وتمنّيتُ بُعْدَها، وتشوّقت فَقْدَها . فضحكتِ الخَيْزُرانُ وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعتْ تلقّاها وذكَّرها، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أمّ عَبِيدةَ حاضنةِ موسى وهارون، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخَيْزُران فيها :

أَبْلِغى سيِّدتى باللـ * ـه يا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنها أَرْشدها اللـ * ـهُ وإن كانت رشيدهْ
وَعَدتْنى قبل أن تخـ * ـرج للحجِّ وَليدهْ
فتأنّيتُ وأرسلـ * ـتُ بعشرين قصيده

(١) غرض : ضجر وملّ .

كلّما أَخْلَقْن(١) أَخْلَفْـ * ـتُ لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيـ * ـد فراشى من قَعِيده
غيرُ عَجْفاءَ عجُوزٍ * ساقُها مثْلُ القَديده
وجهُها أقبحُ من حُو * تٍ طَرِىٍّ فى عَصيده
ماحياةٌ مَعَ أنثَى * مثْلِ عِرْسى بسعيده ١٣٥/٩

فلمّا قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحكتْ وآستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِىّ فى عصيده» وجعلَتْ تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها : خُذِى كل مالَكِ فى قصرى ففعلتْ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سَلِّمْها إلى أبى دُلامة. فآنطلق الخادمُ بها فلم يصادفه فى منزله. فقال لامرأته : إذا رجَع فآدفعيها إليه، وقولى له : تقول لك السيِّدةُ : أَحْسِنْ صُحْبَةَ هذه الجارية فقد آثرتُك بها؛ فقالت له نعم. فلمّا خرج دخل آبنُها دُلامةُ فوجد أُمّه تبكى. فسألها عن خبرها فأخبرتْه وقالت : إن أردتَ أن تَبَرَّنى يومًا من الدهر فاليوم. فقال : قُولى ما شئتِ فإنى أفعله. قالت : تدخل عليها فتُعْلِمها أنّك مالِكُها وتَطَؤُها فتَحْرُم عليه، وإلّا ذهبتْ بعقله وجفانى وجفاك. ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه، وخرج. ثم دخل أبو دُلامةَ فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : فى ذلك البيت. فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ، فمدّ يدَه إليها وذهب ليقبّلها. فقالت له : مالَك وَيْلَك! تَنَحَّ وإلّا لطمتُك لَطْمةً دققْتُ منها أنفَك. فقال لها : أبهذا أوصَتْكِ السيدة! . فقالت : إنّها قد بعثتْ بى إلى فتًى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندى آنفًا، ونال منّى حاجته. فعلِم أنه قد دُهِىَ من أُمّ دُلامَةَ وآبنها. فخرج إليه أبو دُلامة فلطَمه ولبَّبه(٢) وحلف

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «أخلفن» بالفاء الموحدة .

(٢) لببه : أخذ بتلبيبه أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جرّه .

ألّا يفارقه إلّا عند المهدىّ . فمضى به مُلَبَّباً حتى وقف على باب المهدىّ . فعُرِّف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلمّا دخل قال له : مالك وَيْلك ؟! قال : عَمِل بى هذا ٱبنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه، ولا تُرضينى إلّا أن تقتله . فقال له : وَيْلَك فما فعل؟ فأخبره الخبرَ. فضحك حتى ٱستلقَى ثم جلس . فقال له أبو دُلامةَ : أَعجبك فعلُه فتضحكَ منه؟ فقال : علىَّ بالسيف والنِّطْع . فقال له دُلامةُ : قد سمعتَ حُجّتَه يا أمير المؤمنين فٱسمعْ حُجّتى . قال : هاتِ . قال : هذا الشيخُ أَصْفَقُ الناسِ وجهًا، يَنِيك أُمّى منذ أربعين سنة ما غَضِبتُ، ونِكتُ جاريتَه مرّةً واحدة فغضب وصنَع بى ما تَرى ! فضحك المهدىّ أكثر من ضحكه الأوّل، ثم قال : دَعْها له يا أبا دَلامة وأنا أُعطيك خيرًا منها . قال : على أن تَخْبأها لى بين السماء والأرض، وإلّا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدّم إلى دُلامة ألّا يُعاوِد بمثل فعله، وحلَف أنه إن عاود قتَله، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعَده .

ساله المهدى عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره

وقال ٱبن النطّاح :

دخل أبو دُلَامةَ على المهدىّ وعنده شاعرٌ يُنْشده . فقال له : ما تَرى فيه؟ قال : إنه قد جَهَد نفسَه لك فٱجْهَدْ نفسَك له . فقال المهدىّ : وأبيك إنها لكلمةٌ عَذْراءُ منك، أَحسَبك تعرفه ! قال : لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلّا حقًّا . فأمر للشاعر بجائزة، ولأبى دُلامة بمثلها لحسن مَحْضَره .

خلع عليه العقيلى من ثيابه التى عليه

قال ٱبن النطّاح وحدّثنى أبو عبد الله العُقَيلىّ قال :

رأيتُ على أبى دُلامة فَرْوَةً فى الصّيف، فقلتُ له : ألَا تَملّ هذه الفروةَ ! قال : بلى، وربَّ مملولٍ لا يُستطاع فِراقُه . فنزعتُ فاضلَ ثيابى فى موضعى ودفعتُها إليه .

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعرا

قال : وأُهدِىَ للمهدىّ فِيلٌ، فرآه أبو دُلامة فولّى هارباً وقال :

يا قوم إنى رأيتُ الفيلَ بعدَكمُ * لا باركَ اللهُ لى فى رؤية الفيلِ

ابصرتُ قصرًا له عينٌ يقلّبها * فكِدْتُ أرمِى بسَلْحى فى سَرَاويلى

١٣٦/٩ قال ٱبنُ النطّاح :

أنشد المهدى شعرا فى بغلته واستوهبه أخرى غيرها

ودخل أبو دُلامة على المهدىّ فأنشده قصيدتَه فى بغلته المشهورة :

أتانى بَغْــلَةً(١) يَسْــتام(٢) مِنّى * عريقٌ فى الخَسارة والضَّلال

فقال تبيعها؟ قلت ٱرْتَبِطْها * بحكمك إن بيــعى غيرُ غالى

فأقبل ضاحكًا نحوى سرورًا * وقال أراك سَمْحًا ذا جَمــال

هَــلُمَّ إلىّ يخــلوبى خِداعاً * وما يَدْرِى الشّــقىُّ بمن يخالى

فقلتُ بأربعين فقال أحسِنْ * إلىّ فإن مِثْــلَك ذو سِجَــال(٣)

فأتْرُكُ خمســةً منهــا لعلمى * بمــا فيه يصــير من الخبال

فقال المهدىّ : لقد أفلتَّ من بَلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهرًا أتوقّع صاحبَها أن يَرُدّها . قال : ثم أنشده :

فأبْدِلْنى بهــا يا ربِّ طِرْفًا(٤) * يكون جَمالُ مَرْكَبِه جَمــالى

فقال لصاحب دوابّه : خَيِّرْه من الإصْــطَبْل مَرْكَبين(٥) . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لى وقعتُ فى شرٍّ من البغلة ، ولكن مُرْهُ أن يختار لى ، فقال : ٱختَرْ له .

وأخبرنى به عمّى عن الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ ، وخبرُه أتمّ .

احتال على العباس ابن محمد بشعر وأخذ منــه ألفى درهم وكان راهن المهدى على ذلك فأخــذ منه ســتة آلاف

وأخبرنى محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهَيْثَم عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : دخل أبو دُلامةَ يومًا على المهدىّ ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقِى أحدٌ من أهلى لم يَصِلْك ؟ قال : إن أمّنْتَنى أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَنى فهو أحبُّ إلىّ . قال : بل تُخبرنى وأنت آمنٌ . قال : كلُّهم قد وصَلَنِى إلّا حاتِمَ بنى العَبّاس . قال :

(١) فى جـ : «أتانى خائب» . (٢) استام : طلب السوم أى تعيين الثمن . (٣) السجال هنا : المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس فى الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) فى ب ، س : « بين مركبين » .

ومن هو ؟ قال : عمُّك العبّاس بن محمد. فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال : جَأْ(١) عُنُقَ العاضّ بَظْرَ أُمّه. فلمّا دنا منه صاح به أبو دُلامةَ : تنحّ يا عبدَ السَّوْء لا تُخْنِث مولاك وتَنْكُثْ عهدَه وأمانَه . فضحك المهدىّ وأمر الخادمَ فتنحّى عنه، ثم قال لأبى دُلامة : وَيْلَك ! والله عمّى أبخلُ الناس. فقال أبو دُلامة : بل هو أسْخَى الناس. فقال له المهدىّ : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئًا. قال : فإن أنا أتيتُه فأجازنى ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فآنصرف أبو دُلامةَ فحبّر للعبّاس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديار وأىُّ الدهرِ لم تَقِف * على المنازل بين الظُّهْر(٢) والنَّجَف
وما وُقوفُك فى أطلالِ مَنْزِلَةٍ * لولا الذى آستدرجتْ من قلبك الكَلِف
إن كنتَ أصبحت مشغوفًا بساكنها * فلا وربِّك لا تَشْفيك من شَغَف
دَعْ ذا وقُلْ فى الذى قد فاز من مُضَرٍ * بالمَكْرُمات وعِزٍّ(٣) غيرِ مُقْتَرَف(٤)
هذى رسالةُ شيخ من بنى أَسَدٍ * يُهْدِى السلامَ إلى العبّاس فى الصُّحُف
تَخُطُّها من جوارى المِصْر كاتبةٌ * قد طالما ضَرَبتْ فى اللام والألِف
وطالما آختلفت صَيْفًا(٥) وشاتيةً * إلى معلّمها باللَّوْح والكَتِف
حتّى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وآمتلأا * منها وخِيفَتْ على الإسراف والقَرَف(٦)
صِينتْ ثلاثَ سِنين ما تَرَى أحدًا * كما يصون تِجارٌ دُرَّةَ الصَّدَف
فبينما الشيخُ يَهْوِى نحو مَجْلِسه * مبادرًا لصلاة الصُّبح بالسَّدَف(٧) ١٣٧/٩
حانت له لَمْحَةٌ منها فأبصرها * مُطِلَّةً بين سِجْفَيْها من الغُرَف

(١) جأ : اضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (٣) فى ب ، س : « عزم » . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) فى ب ، س : « ضيفا » بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلمة .

فَمَرّ واللهِ ما يَدرى غَداتئذٍ * أخَرَّ مُنْكَشِفًا أم غير منكشف
وجاءه الناسُ أفواجًا بمائهمُ * ليغسلوا الرجلَ المَغْشِىَّ بالنُّطَفِ(١)
ووَسْوَسُوا بقُرآنٍ فى مسامعه * مَخافةَ(٢) الجنّ والإنسانُ لم يَخَفِ
شيئًا ولكنّه من حُبّ جاريةٍ * أمسى وأصبح موقوفًا على التَّلَف
قالوا : لك الويلُ ما أبصرتَ ؟ قلتُ لهم * تطلّعتْ من أعالى القَصْر ذى الشُّرَف
فقلتُ أيُّكُمُ واللهُ يأجُرُه * يُعِين قُوّتَه فيها على ضَعَفِ
فقام شيخٌ بَهِىٌّ من رجالهمُ * قد طالما خدَع الأقوام بالحَلِف
فابتاعها لى بألْفَىْ درهمٍ فأتى * بها إلىّ فألقاها على كَتِفى
فبِتُّ أَلْثَمُها طَوْرًا وأَلْزَمُها * طورًا وأصنع بعضَ الشىء فى اللُّحُف
فبين(٣) ذاك كذا إذ جاء صاحبُها * يَبْغِى الدراهمَ بالميزان ذي الكِفَف
وذَكَرَ حقّ على زَنْدٍ وصاحبِه * والحقُّ فى طَرَفٍ والطّينُ فى طَرَف
وبين ذاك شهود لا يَضُرُّهمُ * أكنتُ معترفا أم غير معترف
فإن يكن منك شىءٌ فهو حقُّهمُ * أوْلَا فإنِّىَ مدفوعٌ الى التَّلَف

قال : فضحك العبّاس وقال : وَيْحَك أصادقٌ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألْفَىْ درهم ثمنَها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدىّ فأخبره القِصّةَ وما احتال له به . فأمر له المهدىُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدىّ : كيف لا يضرّهم ذلك؟ قال : لأنّى مُعْدِم لا شىء عندى . وقال عمّى فى خبره : فقال له العبّاس بن محمد شارِكْنى فى هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطةٍ . قال : وما هى؟ قال : الشَّرِكةُ لا تكون إلّا مفاوضةً(٤) ، فاشترِ معها أخرى ، ليبعثَ كلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهى الماء الصافى قل أو أكثر. (٢) فى ح ، ب ، س : « خافه » وهو تحريف . (٣) المشهور فى مثل هذا أن يقال : فبينا ذاك كذا أو « بينما » . وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هى الشركة العامة فى كل ما يملكه الشريكان .

و يأخذ الأخرى مكانَها ليلةً وليلةً . فقال له العباس: قَبَحك الله وقَبَح ماجئتَ به! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وآنصرِفْ .

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعرا أضحكه فأعفاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى العَنْبِسىّ قال :

كان أبو دُلامةَ مع أبى مسلم فى بعض حروبه مع بنى أُمَيّة . فدعا رجلٌ إلى البِراز، فقال له أبو مسلم : اُبْرُزْ إليه . فأنشأ يقول :

أَلَا لا تَلُمْنى إن فَرَرْتُ فإنّنى * أخاف على فَخَّارتى أن تَحَطَّما

فلو أنّنى فى السُّوق أَبتاع مِثْلَها * وَجَدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

فضحِك وأعفاه .

وعدته ريطة جارية فاستنجزها بشعر

ونسخت من كتاب ابن النطّاح :

أنّ رَيْطةَ وعَدتْ أبا دُلامة جاريةً فمطَلَته حتى آمتدَحها بعِدّة قصائد ، كلُّ ذلك لا تَفِى له ، ثم خرجتْ إلى مكّة ورجعتْ . وكانت لها جاريةٌ يقال لها أُمُّ عَبِيدةَ تخرج وتُكلِّم الرجالَ وتبلِّغ عنها الرسائل . فقال أبو دُلامة لأمّ عَبِيدةَ حين عِيلَ صبرُه :

أبلغى سيِّدتى إن * شئتِ يا أُمَّ عَبِيدهْ

أنّها أرشَدها اللـ * ـهُ وإن كانت رشيده

وعدَتنى قبلَ أن تخ * رج للحجِّ وَلِيده

فتنظَّرتُ وأرسلـ * ـتُ بعشرين قصيده

كلّما تخلَق أُولى * بُدِّلَتْ أُخرى جديده

إنّنى شيخٌ كبيرٌ * ليس فى بيتى قَعِيده

غيرُ مثلِ الغُول عندى * ذاتِ أوصالٍ مَديده

وجهُها أسمجُ من حُو * تِ طَرِىٍّ فى عَصِيده
ذاتِ رِجْــلٍ ويدٍ كلـ * ـتاهما مِثْــلُ القَــديده

فدخلتُ على رَيْطةَ فأنشدتُها الشعرَ، فأمرتْ له بجارية ومائتى دينار للنفقة عليها .

اشترى لأضيافه نبيذا من نباذة ولم يعطها الثمن وقال فيها شعرا

أخبرنى الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلىّ حدّثنى أبى عن جدّى (١) : أنّ أبا دُلامة نزَل بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغدّاهم، ثم بعث إلى سِــنْدِيَّةٍ نَبَّاذة يقال لهـا دَوْمةُ ، فبعثتْ إليهــم جَرّةً من نَبيــذ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضَى الثمنَ . فقال : ليس عندى الثمن، ولكنى أَمْدَحك بمـا هو خيرٌ من نَبيذِك . فقال :

ألا يا دَوْمُ دام لكِ النَّعيمُ * وأَسْمرُ (٢) مِلْءُ كفِّك مستقيم
شديدُ الأصل يَنْبِذُ (٣) حالباه * يَئِنُّ كأنّه رجلٌ سَـقيم

وهذا الخبر يُرْوَى عن الأُقَيْشِر أيضا .

قال شعرا فى الجنيد النخاس يذمه ويمدح جارية له

قال إسحاق وحدّثنى أبى :

أنّ أبا دُلامة كان كثير الزيارة لجُنَيْد النخّاس، وكان يتعشّق جاريةً له ويُبْغِضه . فجاءه يوماً فقال : أخْرِجْ لى فلانةَ . فقال : إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ ! !

---

(١) يلاحظ أن جدّ إسحاق بن ابراهيم الموصلى فارسى وهو ماهان أو ميمون بن بهمن ، وأنه مات وابنه طفل فى الثانية أو الثالثة ، فلا يعقل أن يكون ابراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة الأدب العربى . فلعل فى كلمة «عن جدى» تحريفا أو هى من زيادات النساخ . (راجع ترجمة ابراهيم الموصلى فى الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «مثل» وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغانى طبع بلاق فى ترجمة الأقيشر، وروايته :

ألا يادوم دام لك النعيم * واسمر ملء كفك مستقيم
شديد الأسر ينبض حالباه * يحمّ كأنه رجل سقيم
يروّيه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم

(٣) ينبذ : ينبض .

قال : فإن لم أكن مشتريًا فإنى أخٌ يمدَح ويُطرِى . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو تقولَ فيها شعرا . قال : فأحلِف بعتْقها أن تروِّيَها إيّاه وتأمُرَها بإنشاده مَنْ أتاك يعترِضُها ولا تحجُبَها . فحلَف لا يحجُبها . فقال أبو دُلامةَ :

إنّى لأحسَبُ أن سأمسِى مَيِّتًا * أو سوف أُصبِح ثم لا أُمسِى
من حبِّ جارية الجُنَيْد وبُغْضِه * وكلاهما قاضٍ على نفسى
فكلامُها يُشْفَى به سَقَمِى * فإذا تكلَّمَ عاد لى نُكْسى

عاد إسحاق الأزرق وعنده طبيبه فقال شعرا ينصحه فيه بمجانبة الطبيب

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : دخل أبو دُلَامةَ على إسحاقَ الأزرقِ يعُوده ، وكان إسحاق قد مرِض مرضًا شديدًا ، ثم تعافَى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفًا ، وعند إسحاق طبيبٌ يصِفُ له أدويةً تقوّىِ بدنَه . فقال أبو دُلامة للطبيب : يآبنَ الكافرة ! أتصِفُ هذه الأدويةَ لرجل أضعفه المرض ! ما أردتَ والله إلّا قتْلَه . ثم آلتفت إلى إسحاق فقال : إسمعْ أيها الأمير منّى . قال : هات ماعندك يا أبا دُلامة . فأنشأ يقول :

نحِّ عنك الطبيبَ وآسْمَعْ لنعتى * إنّنى ناصحٌ من النُّصّاحِ
ذو تجاريبَ قد تقلّبتُ فى الصحّـ * ـه دهرًا وفى السَّقام المُتَاحِ
غادِ هذا الكَبَابَ كلَّ صباحٍ * من مُتُون الفَتِيّةِ السُّحّاحِ (١)
فإذا ما عَطِشتَ فآشرَبْ ثلاثًا * من عتيقٍ فى الشمّ كالتُّفّاحِ
ثم عند المساء فاعكُفْ على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداحِ
فتقوَّى ذا الضعفَ منك وتُلْقَى * عن ليالٍ (٢) أصحَّ هذى الصِّحاحِ
ذا شفاءٌ ودَعْ مقالةَ هذا * ناكَ ذا أمَّه بأيْرِ رَبَاحِ (٣)

(١) السحاح : السمان ، واحدها ساح وساحة ، بالحاء المشدّدة . (٢) عن ليال أى بعد ليال .
(٣) رباح : القرد .

فضحك إسحاق وعُوّادُه، وأمر لأبى دُلامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانيًّا فقال: أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل). وقال الطبيب: اقْبَلْ منّى أصلحك الله ولا تسألنى عن شىء قُدّامَه. فقال أبو دلامة: أمّا وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتى(1) وقضيتُ الحقَّ فى نُصْحِ صديقى، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ.

نوادر بسلمة الوصيف فى حضرة المهدى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُمِىّ قال:

دخل أبو دُلامة على المهدىّ وبين يديه سَلَمَةُ الوصيف واقفًا، فقال: إنّى أهديتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْرًا ليس لأحد مثلُه، فإن رأيتَ أن تُشَرِّفَنى بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابّتَه التى كانت تحته، فإذا به بِرْذَوْنٌ مُحَطَّمٌ أَعْجَفُ هَرِمٌ. فقال له المهدىّ: أىُّ شىء هذا وَيْلَك! ألم تزعم أنه مهر! فقال له: أَوَ ليس هذا سَلَمَةَ الوصيفَ بين يديك قائمًا تسمّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيفٌ! فإن كان سَلَمَةُ وصيفًا فهذا مُهْرٌ. فجعل سَلَمَةُ يشتمه والمهدىّ يضحك. ثم قال لسَلَمَةَ: وَيْلَك: إنّ لهذه منه أخوات، وإن أتى بها فى مَحْفِل فَضَحَك. فقال أبو دُلامة: والله لأفضحنّه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحدٌ إلّا وقد وصَلَنى غيرُه، فإنّى ما شربت له الماء قطّ. قال: فقد حكمتُ عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلّص من يدك. قال: قد فعلتُ على أن لا يُعاوِد. فقال له: ما ترى؟ قال: أَفْعَلُ، فلولا أنّى ما أخذت منه شيئًا قطّ ما فعلتُ معه مثلَ هذه. فمضى سَلَمَةُ فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سعد الكُرانىّ قال حدّثنى الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال:

(1) كذا فى جميع الأصول. ولعله: «أجرة صفقى الخ».

جاء ٱبن أبى دُلامة يومًا إلى أبيه وهو فى مَحْفِلٍ من جيرانه وعَشِـيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخى، كما ترون، قد كَبِرَتْ سِـنُّه، ورَقَّ جِلدُه، ودَقَّ عظمُه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير عليـه بالشىء يُمْسِك رَمَقَــه ويُبْقِى قُوَّته، فيخالفنى فيـه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لى أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسعفونى بمسألته . فقالوا : نفعلُ حُبًّا وكَرامةً . ثم أقبـلوا على أبى دُلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضِىَ وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد، فستعلمون أنّه لم يأتِ إلّا ببليَّة . فقالوا له : قل . فقال : إنّ أبى إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتُعَاونونى عليه حتى أَخْصِيَه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الخِصاء، فيكونَ أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره . فَعجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجّله حتى يَشِيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحِكوا منه . ثم قالوا لأبى دُلامة : قد سمِعتَ فأجِبْ . قال : قد سمعـتم أنتم وعرّفتكم أنه لن يأتىَ بخير . قالوا : فمـا عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمَّه حَكَمًا بينى وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقَصَّ أبو دُلامة القصَّةَ عليها، وقال لها : قد حكَّمْتُكِ . فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إنّ ٱبنى — أصلحه الله — قد نصح أباه وبَرَّه ولم يألُ جُهْدًا، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحْوَجَ منّى إلى بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منّا، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا، وما أشُكُّ فى معرفته بذلك . فلْيبدأ بنفسه فلْيَخْصِها، فإذا عُوفِىَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثرًا محمودًا ٱستعمله أبوه . فنَعر(١) أبوه وجعـل يضحَك به، وخَجِل ٱبنُه، وٱنصرف القـوم يضحكون ويعجَبون من خُبْثِهم جميعًا وٱتّفاقِهم فى ذلك المذهب .

---

(٢) نعر : صاح وصوّت بخيشومه .

أمر المهدىّ مروانيا بقتل خارجى فنبا السيف فى يده فقال هو فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا مَيْمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

كان عند المهدىّ رجل من بنى مَرْوان ، فدخل إليه وسلَّم عليه . فأُتى المهدىُّ بِعِلْج[(١)] فأمر المَرْوانىَّ بضَرْبِ عُنُقه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنبَا السيفُ عنه ، فرَمَى به المروانىّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نَبَا . فسمع المهدىّ الكلام فغاظه حتى تغيّر لونُه وبَانَ فيه . فقام يَقْطِينُ[(٢)] فأخذ السيفَ وحسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلّا فى أيدى الأولياء ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية . ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضَرَنى بيتان أفأقولها ؟ قال : قل . فأنشده :

أيُّهذا الإمامُ سيفُك ماضٍ * وبكفِّ الولىّ غيرُ كَهَامِ[(٣)]

فإذا ما نَبَا بكفٍّ علِمْنا * أنّها كفُّ مُبْغِضٍ للإمامِ

قال : فسُرِّى عن المهدىّ وقام من مجلسه ، وأمر حُجّابه بقتل الرجل المروانىّ فقُتِل .

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادى . (انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغانى من هذه الطبعة) .

(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذى لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدّم جميعَ أهلِ عصره فضلًا وشرفًا وأدبًا وشعرًا وظرفًا وتصرّفًا فى سائر الآداب أبو العبّاس عبد الله بن المُعْـتَزّ بالله .

أدبه وشعره ودفاع أبى الفرج عن مذهبه فى الأدب

وأمْرُه، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور فى فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ فى أكثر فضائله الخاصَّ والعامَّ . وشعرُه وإن كان فيه رِقّةُ الملوكيّة وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلَةُ المُحْدَثين، فإن فيه أشياءَ كثيرةً تجرى فى أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدَى السابقين، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك فى جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهليّة . فليس يمكن واصفًا لصَبُوح، فى مجلس شَكِلٍ ظريف، بين نَدَامَى وقِيان، وعلى ميادين من النَّوْر والبَنَفْسَج والنَّرْجِس ومنضودٍ من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات، ورِقّة الخَدَم، أن يَعْدِل بذلك عما يُشْبِهُه من الكلام السَّبْط[1] الرقيق الذى يفهمه كُلُّ مَنْ حضَر، إلى جَعْد الكلام ووَحْشيّه، وإلى وصف البِيد والمَهامِه والظَّبْى والظَّلِيم[2] والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِىء، ولا أن يُغْمَطَ حقَّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسَّط فى البعض وقَصَّر فى اليسير، ويُنْسَبَ إلى التقصير فى الجميع، لنشر المقابح وطَىِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحد بمن تقدّم لوجد مَسَاغًا . ولو أنّ قائلا أراد الطعن على صدور الشُّعراء، لقد رأى أن يطعُن على الأعشى —

(١) السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

وهو أحدُ مَنْ يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حَبَّـةَ قلبه وطِحالَها »(١) . وبقوله :

ويأمر لليَحْموم(٢) كلَّ عَشِيَّةٍ * بقَتٍّ وتَعْليقٍ فقـد كاد يَسْنَقُ ١٤١/٩

وأمثالٍ لهذا كثيرةٍ . وإنمـا على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه ، ويُلغِيَ(٣) مالم يستحسنه ، فليس مأخوذًا به . ولكنّ أقوامًا أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ ، ويُشَيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهلِ الفضل والقَدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلّا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلّا ٱرتفاعاً . ألَا ترى إلى ٱبن المعـتزّ قد قُتِل أسوأَ قِتْلة ، ودَرَج فلم يبْق له خَلَفٌ يقرِّظه ولا عَقِبٌ يرفعُ منه ، وما يزداد بأدبه وشعرِه وفضلِه وحُسْنِ أخباره وتصرُّفِه فى كلّ فنٍّ من العلوم إلّا رِفْعةً

---

(١) العيب فى هذا ورود كلمة الطحال فيه وهى مما يأباها الذوق . وقد ورد كلام فيه فى هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجعه .

(٢) هكذا فى لسان العرب وكتاب نسب الخيل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعليق : ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه . ويسنق : يأكل حتى يصيبه كالبشم . وقد ورد هذا البيت فى ب ، س هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعليق فقـد كاد يسبق

وفى الأصول المخطوطة :

وقد كان يأموم فى كل ليلة * بقت وتعليق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خساس الجنود ؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلفه قتا ويقضمه شعيرا ، وهذا مديح كالهجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : «ولست أرى هذا عيبا ؛ لأن الملوك تعد فرسا على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه خوفا من عدوّ يفجؤها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار ، فلا يحتاج الى أن يتلوّم على إسراج فرسه وإلجامه . وإذا كان واقفا غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه» . (راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوربا) .

(٣) كذا فى الأصول . ويحتمل أن يكون : «يلق» بالقاف .

وعُلُوًّا . ولا نُظِر إلى أضـداده كلّما آزدادوا فى طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلَهم فى ثَلْبه والطعن عليه، زادوها سقوطًا وضَعَةً ، وكلّما وصفوا أشـعارهم وقرّظوا آدابهم، زادوا بها ثِقَلًا ومقتًا . فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق ، عدَلوا عن ثَلْبه فى الآداب، إلى التشنيع عليـه بأمر الدين وهجاء آل أبى طالب ، وهم أوّل من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبى طالب عند المُكْتَفِى حتى نهاهم عنه، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وآرتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله، مُصَرِّحًا به على شرحٍ إن شاء الله تعالى .

علمـه بصناعة الموسيقى

وكان عبد الله حسن العـلم بصناعة الموسيقى ، والكلام على النغم وعِلَلِها . وله فى ذلك وفى غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ ، ومراسـلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عُبَيْد الله بن عبـد الله بن طاهر وبين بنى حَمْدون وغيرهم، تدلّ على فضله وغَزارة علمه وأدبه .

كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له وقد بعث اليه برسالة الى ابن حمدون

ولقد قرأتُ بخطّ عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر رُقْعَةً إليه بخطّه، وقد بعث إليه برسالة إلى آبن حَمدون فى أنه يجوِّز ولا يُنكِر أن يغيِّر الإنسانُ بعضَ نَغَم الغناء القديم، ويعدِل بها إلى مايحسُن فى حَلْقه ومذهبه. وهى رسالةٌ طويلةٌ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ — أيّدك الله — الرسالةَ الفاضلةَ البارعةَ الموفَّقة. فأنا والله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أوّلها مبتهجًا، وأتأمّل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التى لاتنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها — علِم الله — النعمةُ المعدومة المِثْل . ولقد تمثّلت وأنا أُكرِّر نظرى فيها قول القائل فى سيّدنا وآبن سيّدنا عبد الله بن العبّاس :

كفَى وشَفَى مافى النفوس ولم يَدَعْ * لذى إرْبةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلَا

ولا والله ما رأيتُ جِدًّا فى هَزْلٍ، ولا هَزْلًا فى جِدٍّ يُشْـبِه هذا الكلامَ فى بلاغتـه وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظـه . ولقد خُيِّل الىّ أنّ لسان جَدِّك

العبّاس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزّك الله — نصفُها، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أنّ هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بنَ المهدىّ وإبراهيمَ الموصلىّ وٱبنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهت منهم الناظر، وأُخرِس الناطق، ولأقرّوا لك بالفضل فى السَّبْق، وظهور حُجّة الصِّدْق، ثم كان قولُك لهم فَرْقًا بين الحقّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ فى فنٍّ من الفنون، إلّا بَرَّزْتَ فيه تبريزَ الجواد الرّائع، المُغَبِّر فى وجه كلّ حِصان تابع. عَضَد الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ بحياتك، وجَمَّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك» . ١٤٢/٩

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل فى مِثْله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالةُ فى هذا المعنى مُسْتَغْنًى عنها. والمشهورُ عنه وعن أضداده. وما يأتى من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شَرطتُه من جنس ما هو المَقْصِد فى كتابى هذا.

أصوات له فى أشعار مختلفة

فمن صنعة عبد الله بن المعتز فى شعره على أنّ أكثرها هذه سنبيّنه فيها :

صوت

هل تَرجِعنّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزمانَا(1)

صَنْعَتُه فى بيتٍ واحد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل.

---

(١) يقول : هل تعود ليال لنا مضت أزمان أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا ولهونا . وأزمان أزمان يراد به أزمان لهونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف اليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجى . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء، فحذف العاطف وركب الظرفان قصدا للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباحَ مساءَ يبغوه خبالا

ومن صنعته فى الثقيل الأوّل أيضا — وفيه لعَلّويه رَمَلٌ قديم، وما لحنُه . ون لحن آَوِيه — :

صـــــوت

تَرَى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْرَ فالحِمَى * إلى الشّجرِ المحفوفِ بالطّين والمَدَرْ[1]

ومن نعته الظّريفةِ الشَّكِلَةِ[2] مع جودتها :

صـــــوت

وا بلائى من مُحْضَرٍ ومَغيبِ * وحبيبٍ منّى بعيدٍ قريبِ
لم تَرِدْ ماءَ وجهه العينُ إلّا * شَرِقَتْ قبلَ رِيِّها برقيب

خفيفُ ثقيلٍ، ابتداؤه نشيد .

زارته زرياب فى يوم الشعانين وغناها

ومن صنعته، وله خبر أخبرنى به علىّ بن هارون بن المنجّم عن زِرْيابَ قالت : زرتُ عبدَ الله بن المعتزّ فى يوم السّعانين[3]، فسُرّ بورودى وصنع من وقته لحنًا فى شعر عبد الله بن العبّاس الرَّبِيعىّ الذى له فيه هَزَجٌ وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم يوم أى يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آتِ الرزقَ يوم يوم فأجمل * طلبا وابغ للقيامة زادا

ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمزة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نحمى حقيقتنا و بعـ * ـض القوم يسقط بين بينا

والأصل بين هؤلا و بين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠، ٣١) . وقد ورد هذا البيت فى الأصول : «أزمان أزمان» والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .

(١) المدر : التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا فى حـ . وفى ب، سـ : «الظريفة الشكل» . وفى أ، م : «الطريفة الشكل» . (٣) فى لسان العرب (فى مادة سعن) : «قال ابن الأثير : هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سريانى معرّب . وقيل : هو جمع =

صــــوت

أنا فى قلبى من الظَّبى كُلُومُ * فـــدعِ اللَّوْمَ فإنّ اللَّوْمَ لُومُ(١)
حبّـــذا يومُ السَّـــعانين وما * نِلتُ فيه من سرورٍ لو يَدومُ

ـــ الشعرُ لعبد الله بن العبّاس، ولحنُه فيه هَزَجٌ ـــ قالت : فصنَع عبدُ الله بنُ المعتزّ فى البيت الثانى، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارنى مـــولایَ فيـــه ساعةً * ليتَـــه واللهِ ما عِشتُ يُقيمْ

ولحنُ ٱبن المعتزّ فى «حبـــذا يوم السّعانين» وهذا البيتِ خفيفُ رَمَلٍ ، وهـــو من نهايات الأغانى التى صنعها .

ومن صنعته التى تَظَارَفَ(٢) فيها ومَلُح :

زاحَـــمَ كُمِّى كُمَّـــه فٱلتوَيَا * وافق قلـــبى قلبه فاســـتوَيَا
وطالمـــا ذاقا الهوىفا كتويا * يا قُـــرّةَ العين و يا هَمِّىَ و يا

أراد هنا بقوله « و يا » ما يقوله الناس فى حكاية الشىء الذى يخاطبون به الإنسان من جميـــل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا ســـيّدى و يا مولاى و يا و يا، وكذلك ضدّه ليُستغنَى بالإشارة بهذا النِّداء عن الشرح . ولحنُ ٱبن المعتزّ فى هذا هَزَجٌ .

ـــــــــــــــــــ

= واحده سعنون » اهـ . والمشهور فيه « الشعانين » بالشين المعجمة ؛ فقـــد ورد فى صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٥) فى كلامه على أعياد القبط : « الشـانى ـــ الزيتونة ، وهو عيد الشعانين، وتفسيره بالعربية التسبيح ، يعملونه فى سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه إن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمـار) فى القـــدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه ، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر » اهـ .

(١) لوم : مخفف لؤم بالهمز . (٢) فى ب ، س : «تظافر» . وفى سائر الأصول : «تضافر» . وظاهر أن كليهما تحريف .

موجت عليه نشر فى صورة جميلة فقال فيها شعرا على البديهة

١٤٣
٩

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال :

كنّا عند ابن المعتزّ يومًا وعنده نَشْرُ وكان يحبها ويَهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان فى زمن الربيع ، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفى يديها جنّابى(١) باكورة باقِلّا(٢) . فقالت له : يا سيّدى تلعبُ معى جنّابى ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّف ولا مفكّر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب فى العدد الأوّل من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحا لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

" الجنابى — فى القاموس : «. والجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسمانى (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة للصبيان» . وفى اللسان : «الجناباء والجنابى لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر» ونحوه فى المخصص" .

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغانى ومعاهد التنصيص قال : "قلنا قوله «جنابى» باقلاء يظهر أنه شىء كالسلة ولم نعثر عليه فى اللغة ، ولعله مولد سمى بذلك لأنه يحمل فى الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد فى شعر ابن المعتز كما ترى واليه مال شارح القاموس . وعبارته : « والجناباء بالمد والجنابى كسمانى مخففا مقصورا هكذا فى النسخ التى رأيناها وفى لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمانى بالتشديد فى (س م ن) فليكن هذا الأصح ، ثم أنه فى بعض النسخ بالمد فى الثانى وكذا فى لسان العرب أيضا ، والذى قيده الصاغانى بالضم والتخفيف ككسالى» . انتهى وتتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سمانى فى (س م ن) بوزن حبارى اهـ . ونقول : السهو من الشارح فى تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها « وأحمد بن أبى الحوارى كسكارى ، وكسمانى أبو القاسم الحوّارى ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسمانى حرفه النساخ عن (وكشقارى) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة فى نسخة القاموس المطبوعة ببلاق سنة ١٣٠٣

بقى قول شارح القاموس إن (الجنابى) وردت بتشديد النون وبالمد أيضا فى لسان العرب . ولعلها وردت كذلك مضبوطة بالقلم فى النسخة التى كانت عنده ؛ فان النسخة التى بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .

وبعد ، فتشديد هذه اللفظة فى البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين فجرت به ألسنة الشعراء . والله أعلم اهـ" .

(٢) فى معاهد التنصيص طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : «جنابى من باكورة باقلاء» .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشي في مُعَصْفَرةٍ * عَشِيَّةً فسَقَاني ثم حيَّاني
وقال تلعَبُ جنَابي فقلت له * مَنْ جاد بالوصل لم يلعب بهجران (١)

وأمر فغُنِّيَ فيه . غنَّتْ فيما أرى فيه هَزَارُ لحناً، وهو رَمَلٌ مُطْلَق .

جدر خادمه نشوان فجزع عليه ثم عوفي فسرّ وقال شعرا

حدّثني جعفر قال :

كان لعبد الله بن المعتزّ غلامٌ يحبه، وكان يغنّي غناءً صالحاً، يقال له «نَشْوانُ». فجُدِر وجَزِع عبدُ الله لذلك جزعاً شديداً، ثم عُوفيَ ولم يؤثِّر الجُدَرِيُّ في وجهه أثراً قبيحاً. فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لي: يا أبا القاسم، قد عُوفيَ فلانٌ بعدَك، وخرج أحسنَ مما كان، وقلتُ فيه بيتين وغنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً، فآسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً. فقلت : يتفضّل الأميرُ، أيّده الله تعالى، بإنشادي إيّاهما. فأنشدني :

لي قمرٌ جُدِّرَ لمّا آستوى * فزاده حُسْناً فزادتْ همومْ
أظنّه غنَّى لشمس الضُّحى * فنقَّطتْهُ طَرَباً بالنجومْ

فقلت : أحسنتَ والله أيّها الأمير . فقال لي : لو سمعتَه من زِرْياب كنتَ أشدّ آستحسانا له . وخرجتْ زِرْيابُ فغنّته لنا في طريقةِ الرَّمَلِ في أحسن غِناء، فشربنا عليه عامّة يومِنا .

غضب عليه غلامه نشوان فقال شعرا يترضاه به

حدّثني جعفر قال :

غضِب هذا الغلام على عبد الله بن المعتزّ، فجَهَد في أن يترضّاه، فلم تكن له فيه حيلة . فدخلتُ إليه فأنشدني فيه :

بأبي أنت قد تما * ديتَ في الهجر والغضب

---

(١) في معاهد التنصيص : «من جدّ» وهي رواية جيدة .

وٱصطبارى على صدو * دِكَ يوماً من العَجَبْ
ليس لى إن فقدْتُ وجـ * ـهَكَ فى العيش من أَرَبْ
رحِم الله مَنْ أعا * ن على الصلح واحتَسبْ

قال : فمضيْتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أُداريه وأرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به ، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ وأحسنُه ، وغنَّتْنا هَزَارُ فى هذا الشعر رَمَلاً عجيباً .

زار فى حداثته أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره فى كره البنات فدحه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكاتب قال حدّثنى إبراهيم بن خليل الهاشمىّ قال: دخلتُ يوماً إلى أبى عيسى بن المتوكِّل، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتزّ وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسِنه يومئذ دون عشرين سنة ، إذ دخل علىُّ[1] بن محمد بن أبى الشَّوارِب القاضى، فأكرمه أبو عيسى ونَهَض إليه . فلما ٱستقرّ به المجلس قال لأبى عيسى : قد احتجتُ إلى مَعُونتك فى أمرٍ دُفعتُ إليه لم أَسْتغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ . قال : وما هو ؟ قال : زوَّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا، فخرج عن مذاهبنا، وأساء عِشْرة أهلِه ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانِّه وأوطانه، ويهدِّدنا ويُوعِدنا بشَرِّه، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطُ يده ولسانِه فينا بالقبيح والقولِ السيِّء، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْرِى بدينه ونسبه . وقد توعّدنا بأنه يكشف وجهه لنا فى معاونة صِهْرنا هذا الغاوى علينا . ولولا نسبه الذى نخفُره لنا وعارُه علينا ، لٱنتصفنا منه بالحق دون التعدّى، إلّا أنِّى أستعيذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُراسِله بما أنا المتكفّل بعده بألّا يعود إلى عِشْرته ،

١٤٤
٩

(١) هو على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى البصرى قاضى القضاة أبو الحسن . كان ولى القضاء بسر من رأى ، وكان عالما عفيفا ثقة . توفى سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن أن أرُدَّ(١) هـذا الصِّهْرَ إلى حيث تحبّ ويَقَعُ بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا تَرَوْن إلى هذا الرجل النّبيه الفاضل السّرِيّ الشريف يُدْفَع إلى مِثْل هذا! طُوبَى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتزّ : أيّها الأمير إنّ لولدك فى هذا المَعنى شيئًا قاله وٱستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاته فِدَاكَ عمُّك . فأنشده لنفسه :

وبِكْرٍ قلتُ موتِى قبــلَ بَعْلٍ * وإنْ أَثْرَى وعُدَّ من الصَّــمِيمِ
أأمزُجُ باللِّئــام دَمِى ولَحْمِى * فما عُذْرِى إلى النَّسَبِ الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمتَعَ الله أهلَك ببقائك ، وأحسن إليهم فى زيادة إحسانه إليك وجَمَّلَهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شرًّا فيك .

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعرا فى ذلك

أخبرنى الحسين بن القــاسم قال حدّثنى عبــدُ الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبــد الله بن المعتزّ وفى داره طبقاتٌ من الصُّنّاع ، وهو يبنى داره ويُبَيِّضُها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيْلُ الذى جاء مُذْ ليالٍ أَحْدَث فى دارى ما أحْوَجَ إلى الغرامة والكُلْفة ، وقال :

ألَا مَنْ لنفسٍ وأحزانِهــا * ودارٍ تَدَاعَى بحِيطانِهــا
أظَلُّ نهــارِىَ فى شمسها * شقيًّــا مُعَــنًّى ببنيانهــا
أُسَــوِّد وجهى بتبييضهــا * وأهدِمُ كِيسى بعُمرانهــا

خفف النميرى صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعرا

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال :

كنت عند عبد الله بن المعتزّ ومعنا النُّمَيْرِىّ ، فحضَرَت الصلاةُ ، فقام النُّمَيْرِىّ فصلّى صلاةً خفيفةً جِدًّا ، ثم دعا بعد ٱنقضاء صــلاته وسجد سَجْدَةً طويلةً جِدًّا ، حتى ٱستثقله جميعُ مَنْ حَضَر بسببها ، وعبدُ الله ينظُر إليه متعجِّبًا ثم قال :

(١) فى ب ، س : «وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث» وهو تحريف .

صلاتُك بين الوَرَى نَقْـرَةٌ * كما آختلس الجَرْعَةَ الوالغُ
وتسجُد من بعـدها سَجْدَةً * كما خُـتِم المِزْوَدُ(1) الفارغُ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعرا

أخبرنى الحسين بن القاسم قال حدّثنى عبيـد الله(2) بن موسى الكاتب قال :

كانت بنت الكراعة تألَف عبـدَ الله بن المعتزّ، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبُّها ويواصل إحضارها، ثم آنقطعت عنه فقال :

ليتَ شِعرى بمن تَشَاغلْتِ بَعْدِى * وهو لا شكّ جاهـلٌ مغـرورُ
هكذا كنتُ مِثْلَه فى سـرورٍ * وغدًا فى الهمـوم مِثْلِى يَصيرُ

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميرى فأجابه بشعر

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال :

كنا عند آبن المعتز يومًا ومعنا النُّمَيْرِىّ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنّين تغنّيه، وكانت مُحْسِنة إلّا أنها كانت فى غايةٍ من القُبْح، فجعل عبدُ الله يُجَمِّشها ويتعلّق بها. فلما قامت قال له النُّمَيْرِىّ: أيّها الأمير، سألتُك بالله أتتعشّق هذه التى ما رأيتُ قطّ أقبحَ منها ؟ فقال عبدُ الله وهو يضحك :

قلبى وثّابٌ إلى ذا وذا * ليس يرى شيئًا فيأباهُ
يَهيم بالحُسنِ كما ينبغى * ويرحَم القُبحَ فيهواهُ

١٤٥/٩

راسل خزامى فتأخرت عنه فقال شعرا فأجابته

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدّثنى أبو الحسن الأموىّ قال حدّثنى عبدُ الله بن المعتزّ قال :

كانت خُزَامَى جاريةُ الضبط المغنّى تُنادمنى وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيذَ . وكانت مُغَنِّية مُحْسِنةً شاعرةً ظريفةً . فراسلتُها مرارًا فتأخّرتْ عنّى ، فكتبتُ إليها :

رأيتُك قد أظهرتِ زُهْدًا وتوبةً * فقد سَمُجَتْ من بعد توبتِك الخمرُ
فأهـدَيْتُ وَرْدًا كى يُذَكِّر عيشـةً * لمن لم يُمَتِّعنا ببهجتهـا الدّهر

(1) المزود : وعاء الزاد . (2) كذا فى جميع الأصول هنا . وتقدم فى الصفحة الماضية : « عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجابه :

أتانى قريضٌ يا أميرى مُحَبَّرٌ * حَكَى لِىَ نظمَ الدُّرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ (١)

أأنكرتَ يا ٱبن الأكرمين إنابتى * وقد أفصحتْ لى أَلْسُنُ الدهرِ بالزَّجْرِ

وآذَنَنى شَرْخُ الشَّبابِ ببَيْنِه * فياليتَ شعرى بعد ذلك ماعُذْرى

شعره فى موسم الربيع

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال :

كنت أَسْرَح مع عبد الله بن المعتزّ فى يومٍ من أيّام الرَّبيع بالعبّاسيّة (٢) والدنيا كالجنّة المُزَخْرَفة . فقال عبد الله :

حبّذا آذارُ شهراً * فيه للنَّوْرِ ٱنتشارُ

ينقُص الليلُ إذا حا * ء ويمتدُّ النهارُ

وعلى الأرض ٱخضرارٌ * وٱصفرارٌ وٱحمرارُ

فكأنّ الرَّوْضَ وَشْىٌ * بالغتْ فيه التِّجار

نَقْشُه آسٌ ونِسرِيـ * ـنٌ (٣) ووردٌ وبَهارُ (٤)

هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال :

كتب عبدُ الله بن المعتزّ إلى عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ٱستخلَف مؤنسٌ (٥) ٱبنَه محمد بن عُبَيْد الله على الشُّرْطة ببغداد :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة الى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوىّ الرائحة . فارسى معرب . (٤) البهار : نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع .

(٥) مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب بالمظفر لما عظم أمره . وكان شجاعا مقداما فاتكا مهيبا . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميرا . وكان قد أبعده المعتضد الى مكة . ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوّض اليه الأمور . قتل سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٣٩) .

فَرِحتُ بما أضعافُه دون قَدْرِكم * وقلتُ عسى قد هَبّ من نومه الدَّهْرُ
فترجِع فينا دولةٌ طاهريّةٌ * كما بدأتْ، والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ، إنّ اللهَ ليس بغافلٍ * ولا بدّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عُبَيد الله قصيدةً منها :

ونحن إذا ما نالنا مَسُّ جَفْوَةٍ * فمِنّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
وإن رجعتْ من نعمة الله دولةٌ * إلينا فمِنّا عندها الحمدُ والشكرُ

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعرا يعاتبه

قال : وجاءه محمد بن عُبَيْد الله بعَقِب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يَعُدْ إليه مدّةً طويلة . فكتب إليه عبدُ الله بن المعتزّ :

قد جئتنا مَرّةً ولم تَعُدِ * ولم تَزُرْ بعدَها ولم تَعِدِ
لستُ أرى واجدًا بنا عِوَضًا * فاطْلُبْ وجَرِّبْ واسْتَقْصِ واجْتَهِدِ
ناولَني حبلَ وَصْلِه بيدٍ * وهجرَه جاذبًا له بيدِ
فلم يكن بين ذا وذا أمَدٌ * إلّا كما بين ليلةٍ وغدِ

* * *

١٤٦
٩

أبيات من معلقة زهير وشرحها

صوت

أمِنْ أُمِّ أَوْفَى(١) دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ * بحَوْمانةِ الدَّرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ
بها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً * وأطْلاؤها(٢) يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثِمِ
وقفتُ بها من بعد عشرين حِجّةً * فلأْيًا عَرَفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

(١) أمن أمّ أوفى : يريد أمن منازل أمّ أوفى . (٢) الأطلاء : جمع طلا وهو ولد البقرة والظبية الصغير . وقوله ينهضن : يعني أنهن يتمن أولادهن اذا أرضعنهن ثم يرعين، فاذا ظنّ أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات ليرضعن . (عن شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمرى) .

فلمّا عرَفتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعها * ألَا عِمْ صباحاً أيّها الرَّبْعُ وَاسْلَمِ
ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاج فإنّه * يُطيع العَوَالِيَ رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
ومَنْ هاب أسبابَ المنيّة يَلْقَها * ولو رام أسـبابَ السماء بسُلَّمِ

عروضُه من الطويل . الحَوْمانةُ ، فيما ذكر الأصمعىّ ، الأرضُ الغليظة ، وجمعُها حَوَامِينُ . وقال غيرُه : الحَوْمانةُ : ما كان دون الرَّمْل . والدَّرّاجُ والمتثلَّم : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولدِ زهَيْر "الدُّرّاج" مضمومةَ الدال . والعينُ : البقَـرُ . والآرام[(١)] تسكن الجبال . خِلْفَةً : يذهب فَوْجٌ ويجىء فَوْجٌ يخلُفه مكانَه . ويُروَى : مَجْثَم ومَجْثِم . فمن قال مَجْثَمَ قال : جَثَمَ يجثُم جُثُـوماً ، ومَنْ قال مَجْثِم قال : جَثَم يَجْثِمُ جَثْمًا ، واللَّأْىُ : البطء . الزِّجاجُ : جمـعُ زُجٍّ . قال : وأصله أنّ القوم كانوا إذا أرادوا صلحا قلبـوا زِجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبَوْا إلّا الحـربَ قلَبوا الأسِـنَّة . واللَّهْذَم : السِّنان المحدَّد ، يقال رمح لَهْذَمٌ وسِـنانٌ لَهْذَمٌ : حادّ . وأُمّ أَوْفَى : آمرأة كانت لزُهَيْر فطلَّقها . وله فى ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا .

الشعر لزُهَيْر بن أبى سُلْمَى . والغِناء للغَرِيض ، ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر عن إسحاق فى الأوّل والثانى من الأبيات . وفيهـا لبَذْل الكبيرة ثقيلٌ أوّل بالبِنصر . ولعَلّويه فى الثالث والرابع ثقيـل أوّل . ولإبراهيم ثانى ثقيـلٍ بالوسطى فى الخامس والسادس . وفيهما ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد حَوْراءَ :

(١) الآرام من الظباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعى وأبو زيد . وفى اللسان أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْر وأخبارُه

نسبه

هو زُهَيْر بن أبى سُلْمَى[(١)]. واسم أبى سُلْمَى رَبيعة[(٢)] بن رِياح بن قُرَّة بن الحارث بن مازِن ابن ثَعْلَبَةَ بن ثَوْر بن هَرْمة بن الأصمّ[(٣)] بن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس ابن مُضَر بن نزار. ومُزَيْنةُ أُمُّ عمرو بن أُدّ هى بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء، وإنما اختُلِف فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة فلا اختلافَ فيهم، وهم امرؤ القيس وزُهَيْر والنابغة الذُّبيانىّ.

قال جرير هو شاعر الجاهلية

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن أبى قَيْس عن عِكْرِمة بن جرير عن أبيه قال: شاعرُ أهلِ الجاهليّة زُهَيْر.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن عمر قال حدّثنا أيُّوب بن سُوَيْد قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن عمر ابن عبد الله اللَّيْثىّ [عن ابن عباس][(٤)] قال:

قال عمر بن الخطاب ليلةَ مَسيره إلى الجابية[(٥)]: أين ابن عبّاس؟ فأتيته[(٦)]، فشكا تخلُّفَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فقلت[(٦)]: أوَلم يعتذر إليك؟ قال بَلَى،

---

(١) سلمى بضم السين. وليس فى العرب سلمى بضم السين غيره. (٢) فى شرح التبريزى على المعلقات: «... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد بن لاطم (وفى هامش نسخة مخطوطة للزوزنى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٧ ادب م: «الأطم») بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر». وفى طبقات الشعراء لابن سلام: «... ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن ابن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لام بن عثمان بن مزينة». (٣) فى حـ: «بن عثمان وهو عمرو الخ».

(٤) تكملة فى السند يقتضيها سياق الخبر. (٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر فى شمالى حوران. ويقال لها جابية الجولان أيضا. (عن معجم البلدان لياقوت). (٦) كذا فى ا، م. وفى سائر الأصول: «فأتاه ... فقال ...».

قلت : فهو ما اعتذَر به . ثم قال : أوّلُ مَنْ ريَّثكم عن هذا الأمر أبو بكر . إنّ قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوّةَ — ثم ذكر قصّةً طويلةً ليست من هذا البـاب فتركتها أنا(١) — ثم قال : هـل تَرْوِى لشاعر الشـعراء ؟ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الذى يقول :

ولو أنّ حمدًا يُخْلِدُ الناسَ أُخْلِدوا * ولكنّ حَمْـدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ ١٤٧/٩

قلت : ذاكَ زُهَيْر . قال : فذاكَ شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل فى الكلام وكان يتجنّب وَحْشِيَّ الشعر، ولم يمدح أحدًا إلّا بمـا فيه . قال الأصمعىّ : يعاظِل بين الكلام(٢) : يداخِل فيه . ويقال : يتّبع حُوشِيَّ الكلامِ، ووَحْشِيَّ الكلام، والمعنى واحد .

كان قدامة ابن موسى يقدّمه على سائر الشعراء

أخبرنا أبو خَليفة قال قال ابن سَلّام وأخبرنى عمر بن موسى الجُمَحِيُّ عن أخيه قُدامةَ بنِ موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدِّم زُهَيْرًا . قلت : فأىّ شىء كان اعجب إليه؟ قال : الذى يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسـائلون إلى أبوابه طُرُقَا

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية

قال ابن سلّام وأخبرنى أبو قَيْس العَنْبرىّ — ولم أرَ بدويًّا يَفِى به — عن عِكْرِمةَ ابن جَرير قال :

قلتُ لأبى : يا أبَتِ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهليّة تسـألنى أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلّا الإسلام . فإذ ذكرتَ الجاهليةَ فأخبِرْنى عن أهلها . قال : زُهَيْرٌ أشعرُ أهلِها . قلت : فالإسـلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعـةُ الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة فى الطبرى ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجعه .

(٢) يعاظل الكلام : يحمل بعضــه على بعض و يتكلم بالرجيـع من القول و يكرر اللفظ والمعنى . أو يعقده و يوالى بعضه على بعض . وكل شىء ركب شيئا فقد عاظله . (اللسان فى مادة عظل) .

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وَصْفَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْرًا .

قال عنه الأحنف ابن قيس هو أشعر الشعراء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنىّ عن عيسى ابن يزيد قال :

سأل معاويةُ الأحنفَ بن قَيْس عن أشعر الشعراء، فقال : زُهَير . قال : وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

فما يَكُ من خيرٍ أتوْه فإنّما * توارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عبدُ الله بن عمرو القَيْسىّ قال حدّثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبى سُفْيانَ عن أبيه عن آبن عبّاس، قال : وحدّثنيه غيرُه وهو أتمّ من حديثه، قال قال آبن عبّاس :

خرجتُ مع عمر فى أوّل غَزاةٍ غَزَاها . فقال لى ذاتَ ليلةٍ : يابنَ عبّاس أنشدْنى لشاعر الشعراء . قلتُ : ومَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابنُ أبى سُلْمَى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتّبع حُوشِىَ الكلام، ولا يعاظِل(١) من المنطق، ولا يقول إلّا ما يعرِف، ولا يمتدح الرجلَ إلّا بما يكون فيه . أليس الذى يقول :

إذا آبتدرتْ(٢) قَيْسُ بنُ عَيْلانَ غايةً * من المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

(١) الذى تقدّم فى الصفحة السابقة : « يعاظل فى الكلام » . والذى فى اللسان وشرح القاموس فى استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه ؛ يقال عاظل الكلام كما يقال عاظل فيه و بينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسوّد من سبق إليها كنت السابق إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغانى حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

...قت إليها كلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ(1) * سبُوقٍ إلى الغايات غيرِ مُزَنَّدِ
كفضل جوادِ الخيلِ يَسْبِقُ عَفْوُهُ الـ * ـسِّراعَ(2) وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ
ولو كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لم تَمُتْ * ولكنَّ حَمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

أَنْشِدْنى له ، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ . فقال : حَسْبُك الآنَ، اقرأ القرآن. قلت : وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة، فقرأتُها ونَزَل فأذَّن وصلَّى .

أخبرنى محمد بن القاسم الأَنْبارِىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنا أحمد بن عُبَيد قال أخبرنا أبو عُبَيدة عن عيسى بن يزيدَ بن بكر قال قال ابن عبّاس : خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا .

استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فما قال شعرا حتى مات

١٤٨ / ٩ وجدتُ فى بعض الكتب عن عبد الله بن شَبِيب عن الزُّبَير بن بكّار عن حُمَيد ابن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفَعه :

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زُهَير بن أبى سُلْمَى وله مائةُ سنة فقال : " اللهم أعِذْنى من شيطانه " فما لاكَ بيتًا حتى مات .

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيئ فمنعاه حقه فى المغنم، وشعره فى ذلك

قال ابن الأعرابىّ وأبو عمرو الشَّيْبانىّ :

كان من حديث زُهَير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة، وكان بنو عبد الله بن غَطَفانَ جيرانَهم ، وقِدْمًا ولدتْهم بنو مُرَّة . وكان من أمرِ أبى سُلْمَى أنه خرج وخالَه أَسْعَدَ بنَ الغَدِير بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض وابنَه كعبَ

(1) يقال : رجل طلق اليدين إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو . والمبرز : الذى سبق الناس إلى الكرم والخير . والمزند هنا : البخيل أو اللئيم . ويروى : « غير مجلد » أى ينتهى إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب . (2) فى الأصول : « فيسرع » . والتصويب عن الديوان بشرح الأعلم ، ورواية البيت فيه :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ * ـسراع وإن يجهدن يجهد ويبعد

ابن أسعد فى ناس من بنى مُرَّة يُغيرون على طيِّئ، فأصابوا نَعَماً كثيرة وأموالاً، فرجعوا حتى ٱنتهَوْا إلى أرضهم . فقال أبو سُلْمَى لخاله أسعد وٱبنِ خاله كعب : أَفْرِدا لى سَهْمى، فأبَيَا عليه ومنعاه حقَّه، فكفَّ عنهما؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمّه فقال : والذى أحلِف به لَتَقُومِنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فلَتَقْعُدِنَّ عليه أو لأضربَنَّ بسيفى تحت قُرْطَيْك، فقامت أُمُّه إلى بعير منها فٱعتنقتْ سَنامه، وساق بها أبو سُلْمَى وهو يرتجز و يقول :

وَيْلٌ لأجمالِ العجوز منِّى * إذا دنوتُ ودنونَ منِّى

* كأنَّنى سَمَعْمَعٌ من جِنِّ *

— سَمَعْمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم — وسَاقَ الابلَ وأُمَّه حتى ٱنتهى إلى قومه مُزَيْنَة . فذلك حيث يقول :

ولتَغْدُوَنْ إبِلٌ مجنَّبَةٌ * من عند أَسْعَدَ وٱبنِه كعب

— مُجَنَّبَة : مجنوبة —

الآكلَيْن صَرِيحَ قومِهما * أَكْلَ الحُبَارَى[1] بُرْعُمَ الرُّطْبِ[2]

— البُرْعُم[3] : شجرة ولها نَوْرٌ — قال : فلبِث فيهم حِيناً، ثم أقبل بمُزَينة مُغيراً على بنى ذُبْيان . حتى إذا مُزَيْنَةُ أسْهَلَتْ وخَلَّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحدَه . فذلك حيث يقول :

مَنْ يشترى فرسًا لخيرٍ غَزْوُها * وأبَتْ عَشِيرةُ ربِّها أن تُسْهِلا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق، وهو طائر صحراوى يبيض فى الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذى فى اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل أن يتفتح، وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أنْ تنزِل السَّهْلَ . قال: وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنَة حتى دخل فى أخواله بنى مُرَّة . فلم يزل هو وولدُه فى بنى عبد الله بن غَطَفان إلى اليوم .

قال معلقته فى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم ابن ضمضم فى مالهما

وقصيدة زُهَيْر هذه أَعْنِى :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لم تَكَلَّمِ *

قالها زُهَيْر فى قتْـل وَرْد بن حابِس العَبْسِىّ هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرِّىّ الذى يقول فيه عَنْتَرةُ وفى أخيه :

ولقد خَشِيتُ بأن أموت ولم تَدُرْ * للحـــرب دائرةٌ على ٱبنَىْ ضَمْضَمِ

و يمدح بهـا هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان المُرِّيَّيْن لأنهما ٱحتملا دِيَتَه فى مالهما، وذلك قول زُهَيْر :

سَعَى ساعيا غَيْظ بنِ مُرَّةَ بعـدما (١) * تَـبَزَّل ما بيـن العَشِيرةِ بالدَّمِ

يعنى بنى غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان .

١٤٩
٩

قال الأَثْرَمُ أبو الحسن حدّثنى أبو عُبَيْدة قال :

كان وَرْدُ بنُ حابس العبسىّ قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُرِّىّ، فتشاجر عَبْسٌ وذُبْيان قبل الصلح، وحلف حُصَيْن بن ضَمْضَم ألّا يغسِـل رأسه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس أو رجلًا من بنى عَبْس ثم من بنى غالب، ولم يُطْلِـع على ذلك أحدا، وقد حَمَل الحَمالةَ (٢) الحارثُ بن عَوْف بنُ أبى حارثة (٣)، وقيل بل أخوه حارثة بن سِـنان . فأقبل رجلٌ (٤)

(١) ما والفعل بتأويل المصـدر . وتبزل : تشقق ؛ و بالدم : يريد بسفك الدم . يقول : سعى هذان السيدان (هرم بن سنان والحارث بن عوف) فى إحكام العهـد بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة والمودة بين القبيلة بسبب سـفك الدماء بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمرى) .

(٢) الحمالة : الدية . (٣) فى شرح التبريزى وابن الأنبارى على المعلقات والأعلم الشنتمرى وشرح ثعلب لديوان زهير : «وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبى حارثة وهرم بن سنان بن أبى حارثة» .

(٤) فى الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدّمة .

من بنى عَبْس ثم أحدُ بنى مخزوم، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم. فقال له حُصَيْن: مَنْ أنتَ أيُّها الرجل؟ قال : عَبْسِىٌّ. قال : من أىِّ عَبْس؟ فلم يزل يَنْتَسِب حتى آنتسب إلى بنى غالب، فقتله حُصَيْن . و بلغ ذلك الحارثَ بنَ عَوْف وهَرِمَ بنَ سِنان فآشتدّ عليهما، و بلغ بنى عَبْس فركبُوا نحوَ الحارث . فلمّا بلغَه ركوبُهم إليه وما قد آشتدّ عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنّهم يريدون قَتْلَ الحارث ، بعث إليهم بمائة من الإبل معها آبْنُه ، وقال للرسول : قل لهم: الإبلُ أحبُّ إليكم أم أنفسُكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال لهم الرَّبيع بن زِياد : ياقوم إنّ أخاكم قد أرسل إليكم: « الإبلُ أحبُّ إليكم أم آبنى تقتلونه مكانَ قتيلكم » . فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا، وتُتِمُّ الصُّلْحَ . فذلك حين يقول زُهَيْر يمدح الحارثَ وهَرِماً :

* أمِن أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وهى أوّل قصيدة مدَح بها هَرِمًا، ثم تابع ذلك بعدُ .

قصة زواج الحارث ابن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية فى ماله بين عبس وذبيان

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ بهذه القصةَ ، وروايتُه أتمُّ من هذه ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد آبن إسحاق المُسَيَّبىّ قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن آبن عَوْف عن أبيه قال :

قال الحارثُ بن عوف بن أبى حارثةَ : أتُرانى[(1)] أخطب إلى أحد فيردّنى ؟. قال نعم . قال : ومَنْ ذاك ؟ قال : أوْسُ بنُ حارثة بن لَأْم الطّائىّ . فقال الحارث لغلامه : آرحَلْ بنا ، ففعل . فركبا حتى أتيا أوْسَ بنَ حارثة فى بلاده فوجداه فى منزله . فلمّا رأى الحارثَ بنَ عَوْف قال : مرحبًا بك يا حارِ . قال :

(١) هكذا فى الأصول ، ولم يذكر المخاطب الذى كان يحدثه ، و باقى القصة يعين أنه خارجة بن سنان .

وبك . قال: ماجاء بك يا حارِ؟ قال: جئتُك خاطبًا. قال: لستَ هناك. فانصرف ولم يكلّمه . ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَبًا وكانت من عَبْس فقالت : مَنْ رَجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلّمه ؟ قال : ذاك سَيّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّيّ . قالت : فما لكَ لم تستنزله(١)؟ قال: إنه استحمق. قالت : وكيف؟ قال : جاءني خاطبًا . قالت : أفتريد أن تزوّج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تُزَوّجْ سَيّدَ العرب فمَنْ ؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارَكْ ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت : تَلْحَقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَط منّي ما فَرَطَ إليه؟ قالت تقول له : إنك لَقِيتَني مُغْضَبًا بأمرٍ لم تقدّم فيـه قولًا(٢)، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعتَ، فانصرِفْ ولك عندي كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل. فركِبَ في أثَرِهما . قال خارجةُ بن سنان : فوالله إني لأسـيرُ إذ حانت منّي ٱلتفاتةٌ فرأيتُه، فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلّمني غَمًّا فقلت له : هذا أوْسُ بن حارثة في أثَرِنا . قال: وما نصنع به! امْضِ! فلمّـا رآنا لا نقف عليه صاح : يا حار ارْبَعْ عليَّ ساعةً . فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام فرجع مسرورا . فبلغَني أن أوْسًا لمـّا دخل منزلَه قال لزوجته ادْعِي لي فلانَةَ (لأكبر بناته) فأتته، فقال : يا بُنَيّة، هذا الحارث بن عَوْف سَيّدٌ من سادات العرب، قد جاءني طالبًا خاطبًا ، وقد أردتُ أن أُزَوّجَك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل. قال : ولِمَ ؟ قالت: لأني امرأة في وجهي رِدّةٌ(٣)، وفي خُلُقِي بعضُ العُهْدَة(٤)، ١٥٠/٩
ولستُ بٱبنة عمّـه فيرعَى رَحِمي، وليس بجارك في البلد فيَسْتَحِيَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى منّي ما يَكره فيطلّقَني فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي فلانةَ (لابنته الوُسْطَى)؛ فدعتْها، ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها؛ فأجابته بمثل

(١) في ب، س : « لاتستنزله » . (٢) كذا في جـ . وفي سائر الأصول : «لم تقدّم مني فيه قولا » . (٣) الردة : القبح مع شيء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

جوابها وقالت : إنى خَرْقاءُ وليست بيدى صِناعة ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلّقنى فيكونَ علىّ فى ذلك ما تعلم ، وليس بابنِ عمّى فيرعَى حقّى ، ولا جارِكَ فى بلدك فيَسْتَحْيِيَك . قال : قُومى باركَ اللهُ عليكِ . أُدْعِى لى بُهَيْسَةَ (يعنى الصغرى) ، فأُتِىَ بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إنى قد عرضت ذلك على أُختيكِ فأبَتَاه . فقالت — ولم يذكر لها مقالتَيْهما — لكنّى والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّنَاعُ يدًا ، الرفيعةُ خُلُقًا ، الحسيبةُ أبًا ، فإنْ طلّقنى فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليكِ . ثم خرج إلينا فقال : قد زوَّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس . قال . قد قَبِلتُ . فأمر أمَّها أن تُهَيِّئها وتُصْلِح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب له ، وأنزله إيّاه . فلمّا هُيِّئَتْ بَعث بها إليه . فلمّا أُدخِلت إليه لبِث هُنَيْهةً ثم خرج إلىّ . فقلت : أفَرَغْتَ من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لمّا مَدَدْتُ يدى إليها قالت : مَهْ ! أعند أبى وإخوتى ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسِرْنا ما شاء الله ، ثم قال لى : تقدّمْ فتقدمتُ ، وعدَل بها عن الطريق ، فما لبِثَ أن لَحِق بى . فقلت : أَفرَغْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لى : أكما يُفْعَل بالأَمَة الجَالِبة أو السَّبِيّة الأَخِيذة ! لا والله حتى تنحرَ الجُزُرَ ، وتذبحَ الغنمَ ، وتدعُوَ العربَ ، وتعملَ ما يُعْمل لمثلى . قلتُ : والله إنى لأرى همّةً وعقلًا ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا ، فأحْضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إلىّ . فقلت : أفرَغْتَ ؟ قال لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد تَرَيْن ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لى من الشرف مالا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضَها ! (وذلك فى أيام حرب عَبْس وذُبْيان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : اخرُجْ

إلى هؤلاء القوم فأصْلِحْ بينهم، ثم ارجِعْ إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: والله إنى لأرى هِمّةً وعقلاً، ولقد قالت قولا. قال: فاخْرُجْ بنا. فخرجنا حتى أتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتَسِبوا القتلى؛ فيؤخذَ الفضل ممَن هو عليه، فحملنا عنهم الدِّياتِ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعـير فى ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر.

قال محمد بن عبد العزيز: فمُدِحوا بذلك، وقال فيه زُهَيْرُ بن أبى سُلْمَى قصيدتَه:

* أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

فذكرهما فيها فقال:

تداركتما عَبْسًا وذُبْيـانَ بعدما * تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ (١)
فأصبح يَجْرِى فيهمُ من تِلادكم * مَغَانِمُ شَتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ (٢)
يُنَجِّمُهـا قومٌ لقومٍ غرامـةً (٣) * ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ

وذكر قيامهم فى ذلك فقال:

« صحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد لا يسلو (٤)

---

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل؛ أى صار هؤلاء فى شدة الأمر بمنزلة أولئك. وقيل: هى امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا فاذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها، وكانت تسكن مكة. وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها فى لسان العرب (فى مادة نشم) وأمثال الميدانى فى «أشأم من منشم» وفى شرح الأعلم الشنترى لديوان زهير. (٢) الإفال: جمع أفيل وهو الصغير من الإبل؛ والمزنم: اسم فحل معروف. والتلاد: المال القديم الموروث. وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الإبل. (عن الأعلم). ويروى هذا البيت فى شرح القاموس (فى مادة « زنم ») هكذا:

فأصبح يحدى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم

(٣) ينجمها قوم: أى تجعل نجوما أى أقساطا على غارمها. يريد أن هذين الساعيين حملا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم؛ أى أعطوا فيها ولم يقتلوا. (عن الأعلم). (٤) فى أ، م: « كان ».

١٥١/٩ وهى قصيدة يقول فيها :

تداركتُما الأحلافَ[١] قد ثُلَّ عرشُها * وذُبْيانَ قد زَلّتْ بأقدامِها النَّعْلُ

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجَع فدخل بها، فولَدَتْ له بنينَ وبنات .

مدح بقصيدته القافية هرما وأباه وإخوته

ومما مدح به هَرِمًا وأباه وإخوتَه وغُنِّىَ فيه قولُه :

صــــوت

إنّ الخليطَ[٢] أجَدَّ البينَ فانفرقا * وعُلِّقَ القلبُ من أسماء ما عَلِقا
وأخلفتْكَ ٱبنةُ البَكْرِىّ ما وعدتْ * فأصبح الحبلُ منها واهنًا[٣] خَلَقا
قامت تَبَدَّى بذى ضالٍ لتَحْزُنَنى * ولا محالةَ أن يشتاقَ مَنْ عشِقا
بجِيدِ مُغْزِلَةٍ أَدْماءَ خاذِلةٍ * من الظباء تُراعِى شادنًا خَرِقا

انفرق : انفعل، من الفُرْقة . وأجَدَّ وجَدَّ بمعنًى واحد ، من الجِدِّ خلاف اللعب . والواهن والواهى واحد . والحبل : السَّبَبُ فى المودّة[٤] . والضّال : السِّدْرُ الصِّغارُ، واحدتُها ضالَةٌ . والجِيد : العُنُق . والمُغْزِلةُ : الظبية التى لها غزال . والأَدْماء : البيضاء . والخاذلة : المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء . والشّادنُ : الذى قد شَدَن أى تحرّك ولم يَقْوَ بعدُ . والخَرِق : الدَّهِشُ .

غَنَّى مالك فى الأوّل والثانى من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسْطَى ، وقيل إنه لآبن جامع ، وقيل بل لحنُ آبن جامع بالبِنْصر . وفى الثالث والرابع لآبن المكّىّ رمَلٌ صحيحٌ من روايتَىْ بَذْل والهشامىّ .

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطيئ . وثل عرشها : أى أصابها ما كسرها وهدمها . وذبيان : قبيلة الممدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة فى حيرة وضلال . (عن الأعلم) .
(٢) الخليط : المخالط ، ويقال للجمع أيضا خليط . (٣) فى أ ، م : «واهيا» بالياء المثناة .
(٤) فى أ ، م : « المحبة »

وفى هذه القصيدة يقول يمدح هَرِمًا :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا

من يَلْقَ يومًا على علّاته هَرِمًا * يَلْقَ السماحةَ منه والندَى خُلُقَا

ليثٌ بعَثَّرَ[1] يصطاد اللُّيوثَ[2] إذا * ما اللَّيْثُ كَذَّبَ[3] عن أقرانه صَدَقَا

يطعُنُهم ما ٱرْتَمَوْا حتى إذا ٱطَّعنوا * ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا ٱعتنقا[4]

خرف سنان بن أبى حارثة ثم مات فرثاه

ومن مدائحه[5] إيّاهم قوله يمدح أبا هَرِم سِنانَ بن أبى حارثةَ . وذكر ٱبنُ الكَلْبِىّ أنه هوِىَ ٱمرأةً فٱسْتُهِيمَ بها ، وتَفَاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعْرَف له خبر . فتزعُم بنو مُرَّةَ أنّ الجنّ ٱستطارتْه وادخلتْه بلادَها وٱستعجلتْه لكَرَمه . وذكر أبو عُبَيْدةَ أنّه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين سنة ، فهام على وجهه خَرَفًا ففُقِد . قال : فزعَم لى شيخٌ من علماء بنى مُرَّةَ أنه خرج لحاجته بالليل فأبْعَد ، فلمّا رجع ضَلّ[6] فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبِع قومُه أثرَه فوجدوه ميتًا . فرثاه[7] زُهَير بقوله :

إنّ الرَّزِيّةَ لا رَزِيّةَ مِثلُها[8] * ما تبتغى غَطَفانُ يومَ أَضَلَّتِ[9]

---

(١) عثر : (بتشديد الثاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هى أرض مأسدة بناحية تبالة .

(٢) فى حـ والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الحملة . يقال : كذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا الممدوح يصدقها . (عن الأعلم) . (٤) اعتنق : التزم قرنه . يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فاذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فاذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه ، أى أنه يزيد عليهم فى كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعلم) . (٥) الأبيات الآتية فى الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) فى الأصول : « مثل » وهو تحريف .

(٧) فى الأعلم : « وقيل انما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة » . (٨) فى أ ، م : « بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول للثابت والثانى لغيره .

إنّ الرِّكابَ[1] لتبتَغِى ذا مِرّةٍ * بجَنُوب نَجْدٍ[2] إذا الشهورُ أَحَلَّتِ

يَنْعَيْنَ خيرَ الناس عند شديدةٍ * عَظُمتْ مصيبتُه هناك وجَلَّتِ

ومُــدَفَّعٍ ذاقَ الهَــوانَ ملعنٍ * راخيتَ عُقْــدةَ حَبْلِه[3] فانحلّت

١٥٢ ولنِعمَ حشوُ الدِّرعِ كان إذا سَطَا[4] * نَهِلَتْ من العَلَقِ[5] الرِّماحُ وعَلَّتِ

٩

أشعار له غنى فيها

والذى فيه غِناء من مدائح زُهَير قولُه :

صــــوت

أمِنْ أمِّ سَلْمَى[6] عرَفتَ الطُّلولَا * بذى حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا

بَلِــينَ وتحســبُ آياتِهِـنّ * على[7] فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلا[8]

المـاثل هاهنا : اللاطِئُ بالأرض ، وفى موضع آخر : المُنْتَصِبُ القائم . وذو حُرُضٍ : موضعٌ . والحُرُضُ : الأُشْنانُ . وآياتُهنّ : علاماتُهنّ . وفَرْطُ حَوْلَيْن : تَقَدُّمُ حولين ، والفارِط : المتقدِّم .

غَنَّى فى هذين البيتين إسحـاق ، وله فيهما لحنان : أحدها ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر فى مَجْرَى البِنْصر ، من كتابه . والاخر ماخُورِىٌّ من مجموع غِنائه ، وروايته عن الهِشامِىّ . وفيهما للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر عن عمرو . يقول فيها :

إليك سِــنانُ الغَــداةَ الرَّحيــ * ــلُ أَعْصِى النُّهاةَ وأُمْضِى الفُؤولا

جمع فأل ، أى لا أتطيّر .

(١) الرِّكاب : الإبل ، والمراد راكبوها . وذا مرة أى ذا عقــل ورأى مبرم . وقوله « إذا الشهور أحلت » أى إذا دخلت الشهور التى يحل فيها الغزو . (٢) فى ديوان زهير بشرح الأعلم النحوى : « بجنوبَ نخل » . (٣) فى أ ، م : « كبْله » والكبْل : القيد .

(٤) فى شرح الأعلم : « ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا » . (٥) العلق : الدم .

(٦) فى شرح الأعلم : « أمن آل ليلى الخ » . (٧) فى شرح الأعلم : « عن » .

(٨) المحيل : الذى أتى عليه حول . شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس .

فـلا تأمَنِي غَزْوَ أَفْراسِــه[1] * بَنِي وائـلٍ وآحْذَرِيه جَدِيلا
وكيف آتقاءُ آمرئٍ لا يـؤو * ب بالقوم فى الغَزْوِ حتى يُطِيلا[2]

ومن الغِناء فى مدائح هَرِم قولُه .

صـــــوت

قِفْ بالدِّيار التى لم يَعفُها القِدَمُ * بَلَى وغـيَّرها الأَرْواحُ والدِّيَمُ
كأنّ عينى وقد سال السَّلِيلُ بهم * وعَبْرَةٌ[3] ما هُـمُ لو أنّهـم أَمَمُ
غَرْبٌ على بَكْرة أو لؤلؤٌ قَلِقٌ * فى السِّلك خان به رَبَّاته النُّظُمُ

الدِّيَمُ: جمع دِيمَة وهو المطر الذى يَدُوم يومًا أو يومين مع سكون . سال السَّلِيلُ بهم: أى ساروا فيه سيرًا سريعًا . والسَّلِيلُ: وادٍ . وقوله وعَبْرَةٌ ماهُمُ أى هم عبرةٌ[4]، وما هاهنا صِلَةٌ . لو أنهم أَمَم أى قَصْدٌ كنتُ أزورهم . والأَمَمُ: بين القريب والبعيد . والقَلِقُ: الذى لم يستقرّ لمـا آنقطع الخَيْط . والنُّظُمُ: جَمْعٌ واحدها نظام ، شبَّه دموعَه بلؤلؤ آنقطع سِلْكُه ، وبماءٍ سال من الغَرْب .

الغناءُ فى هذه الأبيات رَمَلٌ لابن المكىّ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمـرو أن لإسحاق فيها لحنًا أيضًا . وذكر يونس أن فيها لحنًا لمـالك .

صـــــوت

لِمَن الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْـرِ[5] * أَقْوَيْنَ مُذْحِجَجٍ[6] ومُذْ دَهْرِ

(١) يريد : يا بنى وائل لا تأمنى غزو فرسانه ، و يا جديلة احذريه . وجديلة أم فهم وعدوان ، وكان سنان يجاورهم . (عن الأعلم) . (٢) أى هو مطيل للغزو لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعلم) . (٣) روى فى لسان العرب مادة أمم : « وجيرة » وكذلك روى فى مادة سلل مردفا بقوله : « ويروى : وعبرة » .
(٤) أى هم سبب بكائى وحزنى . (٥) الحجـر : موضع بعينه وهو حجـر اليمامة .
(٦) فى جـ وديوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعِب الرِّياحُ بهـا وغَـيَّرها * بَعْدِى سَوَافِى الرِّيح(١) والقَطْرِ
دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَـرِمٍ * خيرِ الكُهول وسَـيِّدِ الحَضْرِ
لوكنتَ من شىءٍ سوى بَشَرٍ * كنتَ المُنَـوِّرَ ليـلةَ البدرِ

القُنَّة : الحبل الذى ليس بمنتشر . أقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . والسَّوَافِى : ما تَسْفِى الرياحُ(٢). قال : والقَطْرُ مخفوضةٌ بنَسْقه على الرِّيح(٣)، والقَطْرُ لا سَوَافِىَ(٤) له . وهذا تفعله العرب فى المجاورة ، وهو مثل قولهم : جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ . ١٥٣/٩

غَنَّى فى هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حَمّاد عن أبيه ، ولم يجنِّسْه . وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانة إلى مَعْبَد ، ونسبه غيرُه إلى سائب ، وإلى الأَوْسِيَّة مما ذكر حَبَش . قال : وهى من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأَوْس .

ومنها قولُه يمدح سِنَانَ بن أبى حارثةَ :

صـــوت

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد لا يَسْلُو(٥) * وأَقْفَرَ من سَلْمَى التَّعانيقُ فالثِّقْلُ
وقد كنتُ من سَلْمَى سِنينَ ثمانيًا * على صِـيرِ أَمْرٍ ما يَمُـرُّ وما يَحْـلُو
وكنتُ إذا ما جئتُ يومًا لحاجة * مَضَتْ وأَجَمَّتْ حاجةُ الغَـدِ ما تَخْلو
وكلُّ محبٍّ أَحدثَ النـأْىُ عنـدَه * سُلُوَّ فـؤادٍ غـيرَ حُبِّك ما يَسْـلُو
تأوَّبنى ذِكْرُ الأحِبَّـةِ بعـدَ ما * هَجَعْتُ ودونى قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ

(١) فى شرح الأعلم : « المور » وهو التراب .

(٢) هذا على الرواية التى ذكرها المؤلف . وعلى رواية الأعلم يراد بالسوافى الرياح ، يعنى أن الرياح والأمطار تردّدت على هذه الديار حتى عفت رسومها وغيرت آثارها بما سفت الرياح عليها من التراب ومحت الأمطار من الآثار . (٣) فى الأصول : «على الرياح» . (٤) اذا فسرت السوافى بالريح يصح أن يكون القطر مما تسفيه الرياح . (٥) فى أ ، م : « كان » .

فأقسمتُ جَهْدًا بالمنازل من مِنًى * وما سُحِقَتْ فيه المَقَادِيمُ[1] والقَمْلُ
لأَرْتَحِلَنْ بالفجر ثم لأَدْأَبَنْ * إلى الليل إلّا أن يُعرِّجَنِي طِفْلُ
وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلّا وَشِيجُه * وتُغْرَسُ إلّا في مَنَابِتِها النَّخْلُ[2]

التَّعانِيقُ والثَّقْلُ: موضعان. ويُرْوَى: فالنَّخْل. وقولُه على صِيرِ أمرٍ: أي على شَرَفِ أمرٍ. وأَجَمَّتْ: دَنَتْ. وتأوّبني: أتاني ليلًا. والتأويبُ: سَيْرُ يومٍ إلى الليل. سُحِقَتْ: حُلِقَتْ، يقال سَحَفَ رأسَه وسَبَتَه وجَلَطَه: حَلَقَه. وقولُه "يُعرِّجني طِفْلُ" قال يقال الطِّفْلُ: الليل، ويقال الطَّفْلُ: مَغيبُ الشمس، وقال أبو عُبَيْدة: الطفل: الحَزْنُ، وإيقادُه نارَ التَّحْبِير[3]. والخَطِّيُّ: رِماحٌ نَسَبَها إلى الخَطّ وهي من جزيرة بالبحرين تُرْفَأُ إليها سُفُنُ الرِّماح. والوَشِيجُ: القَنَا واحدُها وَشِيجةٌ. والوُشُوجُ: دخولُ الشيء بعضه في بعض.

غَنَّى إبراهيمُ المَوْصِليّ في الأوّل والثاني ثقيلًا أوّل بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو. وغَنَّى إبراهيم أيضًا في السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ. وفي الثالث لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ. ولمَلُّويه في السابع والثامن خفيفُ رَمَلٍ. وذكر حَبَشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحنًا ماخُورِيًّا.

ومن الغِناء في مدائحه هَرِمًا قولُه:

صوت

لِمَن طَلَلٌ برامةَ لا يَرِيمُ[4] * عَفَا وأحالَه عَهْدٌ قديمُ[5]

(١) المقاديم: جمع مقدم الرأس، وأراد بالقمل: الشعر الذي فيه القمل، على تقدير مضاف، أي وشعر القمل. وقد يراد القمل على معناه فانه تابع ومسحوق مع المقاديم وشعرها.

(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج، وقبله:

فما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

(٣) نار التحبير: هي النار التي توقد لهداية الحائر. (٤) لا يريم: لا يبرح.

(٥) رواية الديوان: * عفا وخلا له حقب قديم *

تَطَالَعُنى خيالاتٌ لسَلْمَى * كما يتَطالَعُ الدَّيْنَ الغَرِيمُ

غَنّاه دَحْمانُ ثانىَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو. وعَفَا : درس هاهنا ، وفى موضع آخر : كَثُر ، وهو من الأضداد . وخيالاتٌ : جمع خيال .

انشد عمر رضى الله عنه شعرا له فى هرم ابن سنان فمدحه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة ، وقال المُهَلَّبىّ فى خبرٍ له عن الأصمعىّ قال :

أُنشِد عمرُ بن الخطاب قولَ زُهَير فى هَرِم بن سِنان يمدحه :

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ * خيرِ الكهول وسَيِّدِ الحَضَرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ * كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البدرِ
ولأنت أَوْصَلُ مَنْ سَمِعتُ به * لِشوابِكِ الأرحام والصِّهْرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنتَ إذا * دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ(١) فى الذُّعْرِ ١٥٤ ٩
وأراكَ تَفْرِى(٢) ما خَلَقتَ وبعـ * ـضُ القومِ يخلُق ثم لا يَفْرِى
أُثنِى عليكَ بما علمتُ وما * أسْلفتَ فى النَّجَداتِ من ذِكْرِ
والسِّتْرُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاكَ دونَ الخير من سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِم : أنشِدْنى بعضَ مَدْحِ زُهَيرٍ أباكَ ، فأنشده . فقال عمر : إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ . قال : ونحن والله إن كنّا لنُحْسِن له العطاءَ . فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبَقِىَ ما أعطاكم .

---

(١) فى أ ، م : « لز » بالزاى .

(٢) تفرى : تقطع . وخلقت أى قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز . والمعنى : أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر و يتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه عجزا وضعف همة . (عن شرح الأعلم) .

حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه

قال : وبلغنى أنّ هَرِمًا كان قد حَلَف ألّا يمدحه زُهَير إلّا أعطاه، ولا يسألَه إلّا أعطاه، ولا يسلِّم عليه إلّا أعطاه : عَبْدًا أو وَليدة أو فرسًا . فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه ، فكان إذا رآه فى ملإ قال : عِمُوا صباحاً غيرَ هَرِم ، وخيرَكم آستثنيتُ . وروى المُهلَّبىّ : وخيرَكم تركتُ .

سأل عمر ابنه عن الحلل التى كساه اياها هرم فأجابه

أخبرنى الجَوْهرىّ والمهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

قال عمر لابن زُهير : مافعلت الحُلَلُ التى كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنّ الحُلَلَ التى كساها أبوك هَرِمًا لم يُبْلِها الدهر. وقد ذكر الهَيْثَمُ آبنُ عَدِىّ أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالة بعضَ بناتِ زهير

شعر له مدح به هرما ولم يسبقه اليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شَبّة: ومما سَبَقَ فيه زُهَير فى مَدْح هَرِم ولم يَسْبِقْه إليه أحد قولُه :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يَلْقَ يومًا على عِلّاته هَرِمًا * يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا
يطلب شأوَ آمرأين قَدّما حَسَنًا(١) * بَذّا الملوكَ وبَذّا هذه السُّوَقا
هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما * على تكاليفه فمثلُه لَحِقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ(٢) * فمِثْلُ ما قدّما من صالح سَبَقا

(١) رواية هذا البيت فى شرح الأعلم للديوان :

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا * نالا الملوك وبذّا هذه السوقا

وأراد بالمرأين : أباه وجده . يقول : تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان فى فعل . (عن شرح الأعلم) . (٢) المهل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذا عليه المهلة فى الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (عن شرح الأعلم) .

مدح عبد الملك ابن مروان شعره فى مدح آل أبى حارثة

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنىّ:

قال عبد الملك بن مروان: ما يضرّ مَنْ مُدِحَ بما مَدَحَ به زُهَيْرٌ آلَ أبى حارثة من قوله:

على مُكْثِرِيهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهمُ(١) * وعند المقلّين السّماحةُ والبَذْلُ

ألّا يَمْلِك أمورَ الناس (يعنى الخلافة). قال ثم قال: ما ترك منهم زُهَيْرٌ غنيًّا ولا فقيرًا إلّا وصفه ومدحه.

مدح عثمان بن عفان شعرا له

وقال ٱبن الأعرابىّ قال أبو زِياد الكلابىّ: أنشد عثمان بن عَفّانَ قولَ زهير:

ومهما تكن عند ٱمرئٍ من خَليقةٍ * وإن خالها تخفَى على النّاس تُعْلَمِ

فقال: أحسن زُهَيْرٌ وصدَق، لو أنّ رجلًا دخل بيتًا فى جوف بيت لتحدّث به الناس. قال وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم: "لا تَعْمَلْ عَمَلًا تَكْرَهُ أن يُتَحَدَّثَ عنك به".

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخف به عبد الملك بن مروان

قال وقال علىّ بن محمد المدائنىّ حدّثنى ٱبن جَعْدويه:

أنّ عُرْوةَ بن الزُّبَيْر لَحِقَ بعبد الملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيه عَبْد الله بن الزُّبَيْر. فكان إذا دخل إليه منفردًا أكرمه، وإذا دخل عليه وعنده أهلُ الشام ٱستخفّ به. فقال له يومًا: يا أميرالمؤمنين، بئس المَزُورُ أنتَ؛ تُكْرِم ضيفَك فى الخَلَا، وتُهينه فى المَلَا، وقال(٢): لله درّ زُهَيْرٍ حيث يقول:

١٥٥ / ٩

فقرّى فى بلادك إنّ قومًا * متى يَدَعُوا بلادَهُمُ يَهونوا

ثم ٱستأذنه فى الرُّجوع إلى المدينة، فقَضَى حوائجَه وأذِن له. وهذا البيت من قصيدة لزُهَيْرٍ قالها فى بنى تميم، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفان، أوّلها:

---

(١) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم.

(٢) فى أكثر النسخ: «فقال» وفى حـ: «وقال».

أَلا أَبلِـغْ لديك بَنِى تَمِـيمٍ * وقد يأتيك بالخـبر الظَّنُونُ

الظَّنون : الذى لستَ منه على ثقة . والظنين : المُتَّهَم .

شعره فى الحارث ابن ورقاء وقد أخذ إبله وغلامه

وقال ٱبن الأعرابىّ :

كان الحارث بن وَرْقاء الصَّيْداوى من بنى أَسَد أغار على بنى عبد الله بن غَطَفان فغَنِم فٱستاق إبِلَ زُهَيْر وراعيَه يسارًا[1] . فقال زُهَيْر :

بانَ الخَليطُ[2] ولم يَأْوُوا لمن تركوا * وزوّدوك ٱشـتياقًا أيَّةً سلكوا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجَـوٍّ[3] فى بَنِى أَسَـدٍ * فى دِينِ عمرو[4] وحالت بيننا فَدَكُ

لَيأْتِيَنَّـك منى مَنْطِقٌ قَـذَعٌ * باقٍ كما دَنَّسَ القُبطِيَّةَ[5] الوَدَكُ

فٱردُدْ يَسَارًا ولا تَعْنُفْ عليه ولا * تَمْعَكْ[6] بعرضِك إنّ الغادر المَعِكُ

ولا تكونَنْ كأقوامٍ عَلِمْتُهُمُ * يَلْوُون ما عندهم حتى إذا نَهِكوا[7]

طَابت نفوسُهمُ عن حقِّ خَصْمِهِمُ * مخافةَ الشَّرِّ وٱرتدُّوا لمـا تَرَكوا[8]

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون فى الدار . ولم يأووا : أى لم يرحموا ولم يرقوا . (٣) جو : واد . (٤) كذا فى جـ والديوان و ياقوت فى كلامه على فدك . والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ و ياقوت فى كلامه على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : "دير عمرو : جبال فى طيئ قرب قرية لهم يقال لها جو" . ثم ذكر هذا البيت والذى بعده . وفدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا فى الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف) على غير قياس . وفى الأصول « القطيفة » وهو تحريف . والودك : الدسم . يقول : لئن حللت بحيث لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدنسنّ به عرضك كما يدنس الودكُ القبطية . (٦) المعك : المطل وزنا ومعنى . والمعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلنى بيسار فمطلك غدر . وكلما مطلتنى لحق ذلك بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أى يمطلون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتموا و بولغ فى هجائهم . (عن شرح الأعلم) . (٨) أى لما أوذوا بالهجاء دفعوا الحق الى صاحبه وارتدوا الى اعطاء ما كانوا تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وابقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعلم) .

وفى هذه القصيدة مما يغنّى فيه :

صـــوت

أهْوَى لها أسْفعُ الخدّين مُطّرِقٌ * رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ له شَرَكُ (١)

وقــد أكون أمام الحىّ تحملُنى * جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ (٢)

أهوى لها — يعنى القطاة تقدّم وصفُه إيّاها — صقرٌ . ورواه الأصمعىّ : "هوى لها" وقال : هوى : انقضّ ، وأهوى : أوفى . ومُطّرِقٌ : ريشه بعضُه على بعض ليس بمنتشر ، وهو أعتق له . وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ : أى لم يُصْطَدْ ولم يُذَلَّل . والقوادم : العشرُ المتقدّماتُ . والفَحَجُ : تباعُدُ ما بين الفخذين . والصَّكَكُ : اصطكاك العُرْقُوبين فى الدوابّ ، وفى الناس الركبتين . قال : فلمّا أنْشِد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير . وقيل : بل أُنْشِد قولَ زُهَير :

تَعَلَّمْ أنّ شرَّ النّــاس حَىٌّ * يُنادَى فى شعارهم يَسَارُ (٣)

ولولا عَسْــبُه (٤) لرددتُموه * وشَرُّ مَنِيــحَة (٥) أَيْرٌ مُعَــارُ (٦)

إذا جَمَحتْ (٧) نساؤكُم إليه * أَشَظَّ (٨) كأنّه مَسَدٌ مُغَــارُ

---

(١) رواية الديوان بشرح الأعلم : « لم ينصب له الشبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، بنصب الوجه . (راجع شرح الأعلم) . (٢) هكذا غنى فى هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وقد أَروحُ أمامَ الحىِّ مُقْتنِصا * قُمْرًا مراتِعُها القِيعانُ والنَّبَكُ

وصاحبى وَرْدةٌ نَهْــدٌ مَرَاكِلُها * جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

(٣) الشعار : علامة القوم فى سفرهم : اسم رجل أو شىء قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه . وإنما أراد أن يسارا صار عيبا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم . (عن شرح الديوان لثعلب) .

(٤) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (٥) المنيحة : العارية . (٦) فى شرح الأعلم : «عسب» . (٧) رواية اللسان فى مادة شظظ : « جنحت » . (٨) كذا فى الديوان . وأشظ : أنعظ واشتدّ . وفى الأصول : «أشد» . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل .

يُبَرْبِرُ(١) حين يعدو من بعيدٍ(٢) * إليها وهو قَبْقَابٌ قُطَارُ

فردّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك :

أبلغْ لديك بنى الصَّيْـدَاء كُلَّهُمُ * أنّ يَسَـارًا أتانا غيرَ مَغْـلُولِ

ولا مُهانٍ ولكن عند ذى كَرَمٍ * وفى حِبـالِ وَفِيٍّ العَهْدِ مأمولِ(٣)

وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيُّـا أَصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتم؟ قالوا : بل ما فعلتَ .

١٥٦/٩ قال ابن الأعرابىّ وحدّثنى أبو زِياد الكلابىّ : أنّ زهيرًا وأباه وولدَه كانوا فى بنى عبد الله بن غَطَفان ، ومنزلُهم اليوم بالحاجِرِ(٤) ، وكانوا فيه فى الجاهليـة . وكان أبو سلْمَى تزوّج إلى رجل من بَنِى فِهر بن مُـرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان يقال له الغَدِير(٥) — والغدير هو أبو بَشَامة الشاعر(٦) — فولَدت له زُهَيْرًا وأَوْسًا ، ووُلِد لزهير من امرأة من بنى سُحَيْم . وكان زُهَيْر يذكر فى شعره بَنِى مُرَّة وغَطَفان ويمدحهم . وكان زهير فى الجاهلية سيِّدًا كثيرَ المـال حليمًا معروفًا بالورع .

كان يذكر فى شعره غطفان وأخواله بنى مرة ويمدحهم

(١) يبربر : يصوت . والقبقاب : من القبقبة وهى هدير الفحل . والقطار (بضم أوله) : وصف من القطر أى يسيل ، وقيل عن أبى محمد : المنتصب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

(٢) كذا فى حـ والديوان بشرح الأعلم . وفى الديوان بشرح ثعلب : « يغدو » بالغين المعجمة . وفى سائر الأصول : « يبدو » .

(٣) ورد هذا الشطر فى شرح الديوان للأعلم الشنتمرى هكذا : «وفى حبال وفىّ غير مجهول» . والحبال : العهود والذمم .

(٤) فى الأصـول : « بالحاجز » بالزاى وهو تصحيف .

(٥) كذا فى شرح ثعلب ، وقد صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخته ، ويرجحه ما سيأتى فى ص ٣١٢ من هذه الترجمة . وفى الأصول هنا : « الغابر » .

(٦) كذا فى شرح الديوان لثعلب فى الدخول على قصيدته الهمزية . وفى الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو تحريف .

شكا اليه رجل من غطفان بنى عليم ابن جناب فهجاهم

قال وحدّثنى حمّاد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أنّ زُهيرًا هجا آلَ بيتٍ من كلب من بنى عُلَيْم بن جَنَاب[١]، وكان بلغه عنهم شىءٌ من وَرَاءَ وَرَاءَ، وكان رجل من بنى عبد الله بن غَطَفانَ أتى بنى عُلَيْم[٢]، وأكرموه لمّا نزل بهم وأحسنوا جِوارَه، وكان رجلًا مُولَعًا بالقِمار فنهَوْه عنه، فأبى إلّا المقامرةَ. فقُمِرَ مرةً فردّوا عليه، ثم قُمِرَ أخرى فردّوا عليه، ثم قُمِرَ الثالثةَ فلم يردُّوا عليه، فترحّل عنهم وشكا ما صُنِع به إلى زُهَيْر، والعربُ حينئذ يتّقون الشعراءَ اتقاءً شديدًا. فقال: ما خرجتُ فى ليلة ظَلْماءَ إلّا خِفْتُ أن يُصيبَنى الله بعقوبة لهجائى قومًا ظلمتُهم. قال: والذى هجاهم به قوله:

عَفَا من آلِ فاطمةَ الجِواءُ * فيُمْنٌ فالقَوادِمُ فالحَساءُ[٣]
فذُو هاشٍ[٤] فَمِيثُ عُرَيْتِنَاتٍ[٥] * عفَتْها الرِّيحُ بعدَك والسماءُ
جَرَتْ سُنُحًا فقلتُ لها أجيزِى * نَوًى مَشْمُولةً فمتى اللِّقاءُ
كأنَّ أوابِدَ الثِّيرانِ فيها * هجائنُ فى مَغابِنها الطِّلاءُ
لقد طالبتُها ولكلِّ شىءٍ * وإن طالت لجَاجتُه انتهاءُ
وقد أغدو على شَرْبٍ[٦] كِرامٍ * نَشاوَى واجدين لما نشاءُ
لهم طاسٌ[٧] وراوُوقٌ ومِسْكٌ * تُعَلُّ به جلودُهمُ وماءُ

الجِواءُ: أرض. ويُمْنٌ والقوادمُ: فى بلاد غَطَفان. والمِيثُ: جمع مَيْثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادى أو ثُلُثَيْه فهى مَيْثاء. والسماء هاهنا:

(١) كذا فى شرح ثعلب والمعارف لابن قتيبة. وفى الأصول: «حبان» وهو تحريف.
(٢) فى الأصول: «غليب» وهو تحريف.
(٣) الحساء: فى بلاد غطفان.
(٤) ذو هاش: موضع فى بلاد غطفان.
(٥) عريتنات: اسم واد.
(٦) رواية الديوان:
* وقد أغدو على ثُبة كرام *
والثبة: الجماعة من الناس.
(٧) رواية الديوان: «لهم راح».

المطر. والسّانح : ما أقبلَ من شمالك يريد يمينك . والبارحُ : ضِدُّه . وقال أبوعُبَيْدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولّاك ميامنَه. والبارح : ما ولّاك مشائمه. وأجيزى : انفُذى . قال الأصمعىّ : يقال أجزتُ الوادىَ إذ قطعتَه وخلّفتَه، وجُزْتُه : إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه. والأوابدُ : الوحشيّة. والهجائن : إبِلٌ بِيضٌ . والمغابِن : الأرفاغ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سَريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب(١) . وجعل مشمولة هاهنا فى النوى لأن نيّتهم كانت سريعة، فأجْرَى ذلك مُجْرَى الذّمّ، فهذه السُّنُح .

غنّى فى الأوّل والثانى والسابع معبَدٌ ثقيلاً أوّلَ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علىّ بن يحيى أنّ للغَريض فيها خفيفَ ثقيل . وذكر حَبَشٌ أن فيه للهُذَلىّ ثانىَ ثقيل بالوسطى . وفى الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أُضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ * أعالجه ومَطْلَبُه عَناء

فى(٢) هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسطى فى مَجْراها، ذكر إسحاق أنه للغَريض، وغيرُه ينسُبه إلى ٱبن سُرَيج وإلى ٱبن عائشة . وفى الرابع والخامس لعَلّويه رَمَلٌ لا يُشَكّ فيه من غِنائه . ١٥٧/٩

طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر

وقال ٱبن الأعرابىّ حدّثنى أبو زياد، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصلىّ عن حمّاد الراوية وعن ٱبن الكلبىّ عن أبيه قال :

---

(١) فى الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : "... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال اذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر ويذهب" .

(٢) فى الأصول : «وفى» .

وكان بَشَامةُ بن الغَدِير خالَ [زهير بن][1] أبى سُلْمى، وكان زُهَيْر منقطعًا إليه وكان مُعْجَبًا بشعره. وكان بَشَامةُ رجلًا مُقْعَدًا ولم يكن له ولد، وكان مُكْثِرًا من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت فى غَطَفان: لِخُؤولتهم. وكان بَشَامةُ أحزمَ الناس رأيًا، وكانت غَطَفان إذا أرادوا أن يَغْزُوا أَتَوْه فآستشاروه وصَدَروا عن رأيه، فإذا رجَعُوا قسَمُوا له مِثْلَ ما يَقْسِمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثُر مالُه. وكان أسعدَ غَطَفانَ فى زمانه. فلما حَضَره الموتُ جعل يَقْسِم ماله فى أهل بيته وبين بنى إخوته. فأتاه زُهَيْرٌ فقال: يا خالَاهْ لو قَسَمْتَ لى من مالك!! فقال: والله يآبن أختى لقد قَسَمْتُ لك أفضلَ ذلك وأَجْزَلَه. قال: وما هو؟ قال: شعرى وَرِثْتَنِيه. وقد كان زُهَيْرٌ قبل ذلك قال الشعرَ، وقد كان أوّلَ ما قال. فقال له زهير: الشعر شيءٌ ما قلتَه فكيف تعتدّ به علىّ؟ فقال له بَشَامةُ: ومن أين جئتَ بهذا الشعر! لعلك ترى أنّك جئتَ به من مُزَيْنَةَ، وقد عَلِمت العرب أن حَصَاتَها وعينَ مائها فى الشعر لهذا الحىّ من غَطَفان ثم لى منهم، وقد رَوَيْتَه[2] عنّى. وأحذاه[3] نصيبًا من ماله ومات.

بشامة خاله شاعر مجيد وشيء من شعره

وبَشَامةُ شاعر مُجِيد وهو الذى يقول:

صــــوت

أَلَا تَرَيْنَ وقــد قطّعتِنى[4] قِطَعًا * ماذا من الفَوْتِ بين البخل والجود
إلّا يكن وَرَقٌ يومًا أُرَاحُ به * للخابِطين فإنّى لَيِّنُ العُود[5]

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل: إنه لإبراهيم.

---

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدّم فى ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون: «وقد ورثته عنى». (٣) أحذاه: أعطاه. (٤) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول: «قطعتنى» بالنون. ويظهر أن الخطاب لزوجته أو للائمة تلومه فى الكرم.

(٥) يقال: راحت الريح الشىء إذا أصابته. ويقال: خبط الشجرة إذا شدها ثم نفض ورقها.

طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعرا

قال ٱبن الأعرابىّ :

أمُّ أَوْفَى التى ذكرها زُهَيْرٌ فى شعره كانت ٱمرأتَه، فولَدتْ منه أولادًا ماتوا، ثم تزوّج بعد ذلك ٱمرأةً أخرى، وهى أمُّ ٱبنَيْه كَعْب وبُجَيْر؛ فغارت من ذلك وآذتْه، فطلّقها ثم نَدِم فقال فيها :

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُغَيِّراتٌ * وفى طول المُعاشرة التّقالِى
لقد باليتُ مَظْعَنَ أمِّ أَوْفَى * ولكن أُمُّ أَوْفَى ما تُبالِى (١)
فأمّا إذ نأيتِ فلا تقولى * لذى صِهْرٍ أُذِلْتُ ولم تُذَالِى (٢)
أصبتُ بَنِيَّ منكِ ونِلتِ منّى * من اللّذات والحُلَلِ الغَوالِى

عانت امرأة ابنه سالما فات فرثاه

وقال ٱبن الأعرابىّ :

كان لزهير ٱبنٌ يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشَّعر. فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْن (٣)، فلَبِسهما الفتى وركب فرسًا له، فمرّ بٱمرأةٍ من العرب بماء يقال له التَّنَاءة (٤)، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قطّ رجلًا ولا بُرْدَيْن (٣) ولا فرسًا. فعثَر به الفرسُ فٱندقّتْ عنقُه وعُنقُ الفَرس وٱنشقَّ البردان (٣). فقال زُهَير يرثيه :

رأتْ رجلًا لاقَى من العيش غِبطةً * وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُون وتُوبِعتْ * سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ

(١) فى أ، م : «لا تبالى». (٢) أذال المرأة : هزلها وأهانها. وفى المثل : «أخيل من مذالة» وهى الأمة لأنها تهان وهى تتبختر من حقها. (٣) فى الأصول : «بردتين ... البردتان» قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشى. والبردة : كساء يلتحف به، وقيل غير ذلك. (راجع اللسان فى مادة برد). (٤) التناءة : ماء لبنى عميلة أو هو ماء لغنى. وقال الحفصى : التناءة : نخيلات لبنى عطارد. ويوم التناءة من أيام العرب. (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح مَحْبُوراً(١) يُنَظَّر حولَه * بِغِبْطَتِه(٢) لو أنّ ذلك دائمُ

وعندى من الأيّام ما ليس عنده * فقلت تَعَلَّمْ أنما أنت حالمُ(٣)

١٥٨/٩ لعلّك يوماً أن تُراعى بفاجعٍ * كما راعنى يوم النَّتَاءةِ سالمُ

قال ابن الأعرابى :

هو وقومه شعراء

كان لزُهَيرٍ فى الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخالُه شاعراً، وأختُه سَلْمَى شاعرةً، وابناه كعبٌ وبُجَيْر شاعرين، وأُخته الخنساء شاعرةً، وهى القائلة ترثيه :

وما يُغْنِى تَوَقِّى الموتِ(٤) شيئاً * ولا عَقْدُ التَّمِيم ولا الغَضَارُ

— والغضار : كان أحدهم إذا خَشِىَ على نفسه يعلّق فى عُنُقه خَزَفاً أخضر —

إذا لاقَى منيَّتَه فأمْسَى * يُساق به وقد حَقَّ الحذارُ

ولاقاه من الأيّام يومٌ * كما من قَبْلُ لم يَخْلُدْ قُدَارُ(٥)

وابنُ ابنه المُضَرِّب(٦) بن كعب بن زُهَيْر شاعرٌ، وهو القائل :

إنى لأَحْبِسُ نفسى وهى صاديةٌ * عن مُصْعَبٍ ولقد بانت لىَ الطُّرُقُ

---

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (فى روضة يحبرون) أى ينعمون . و ينظر حوله أى ينظر حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا فى معجم البلدان فى الكلام على النتاءة . وفى الأصول : « تغبطه » . وفى الديوان بشرح ثعلب : « بمغبطة » . ولم ترد هذه الأبيات فى شرح الأعلم . (٣) يخاطب ابنه . يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) فى اللسان (فى مادة غضر) : « توقى المرء » . (٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) فى شرح القاموس (فى مادة ضرب) : «وكمحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . و بالوجهين ضبط فى نسخة الصحاح » . وفى كتاب الشعر والشعراء أنه شبب بامرأة من بنى أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد ديثت بركوب

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

رُعْوى عليه كما أَرْعَى على هَرِمٍ (١) * جَــدّى زُهيرٌ وفينا ذلك الخُلُقُ
مَدْحُ المـلوكِ وسَعْىٌ فى مَسَرَّتهــم * ثم الغِنَى ويـدُ الممدوحِ تنطلقُ

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلَّام قال :

مَنْ قدّم زُهَيرًا احتجّ بأنه كان أحسنَهم شعرًا، وأبعدَهم من سُخْفٍ، وأجمعَهم لكثيرٍ من المعانى فى قليلٍ من الألفاظ، وأشدَّهم مبالغةً فى المدح، وأكثرَهم أمثالاً فى شعره .

مرثية ابنه سالم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

كان لزهيرٍ ابنٌ يقال له سالم ، وكان من أمّ كعبِ بن زُهَيرٍ ، فمات أو قُتل ، فجزِع عليه كعب جزعًا شديدًا (٢) ، فلامته امرأته وقالت : كأنه لم يُصَبْ غيرُك من الناس! فقال :

رأتْ رجلًا لاقى من العيش غِبطةً * وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبعتْ * سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبورًا ينظِّر حولَه * بغبطته لو أنّ ذلك دائمُ
وعندى من الأيّام ما ليس عنده * فقلت له مهلًا فإنك حالمُ
لعلك يومًا أن تُراعى بفاجعٍ * كما راعنى يومَ النَّتَاءةِ سالمُ

***

صـــوت

عَزَفْتَ ولم تَصْرِمْ وأنت صَرومُ * وكيف تَصَابِى مَنْ يقال حليمُ
صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى * وِصالًا على طول الصُّدود يدوم

(١) رعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أرعى فلان على فلان اذا أبقى عليه .
(٢) تقدم فى ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير فى ابنه سالم .

عَروضُــه من الطويل . عزفت عن الشيء : اذا تركتَه وأَبَتْــه نفسُك . قال ابن الأعرابيّ : يقــول لم تَصْرِم صُرْمَ بَتَاتٍ ؛ ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ . وأطْولَتَ الصــدودَ أى أطلته . وإنمــا قال هذا ضرورةً (١) . الشعر للمَرّار بن سَعيد الفَقْعَسِىّ . والغناء لإسحاق رَمَلٌ .

(١) فى لسان العــرب (فى مادة طول) : « وأطلت الشيء وأطولت على النقصان والتمام بمعنى . المحكم : وأطال الشيء وطوّله وأطوله : جعله طويلا . وكأن الذين قالوا ذلك انمـا أرادوا أن ينبهوا على أصل الباب . قال : فلا يقاس هذا انمـا يأتى للتنبيه على الأصل » .

ذكر المرّار وخبره ونسبه

نسبه وكان قصيرا ضئيل الجسم

هو المرّارُ بن سَعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلةَ بن الأشْيم بن جَحْوان(١) بن فَقْعَس ابن طَريف بن عمرو بن قُعين(٢) بن الحارث بن ثُعلبة(٣) بن ذُودان(٤) بن أَسَد بن خُزَيْمة ابن مُدْرِكةَ بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وأمُّ المرّار بنتُ مَرْوان بن مُنقذ(٥) الذى أغار

١٥٩ ٩

على بنى عامر بثَهْلان(٦) فقتل منهم مائة بحبيب بن منقذ(٥) عمه(٧)، وكانوا قتلوه.

وكان المرّار قصيراً مُفْرِطَ القِصَر ضئيلَ الجسم. وفى ذلك يقول:

عَدُّونىَ الثعلبَ عند العَدد * حتى آستثاروا بى إحدَى الإحَدِ(٨)
لَيْثاً هِزَبْراً ذا سلاحٍ مُعْتَدِى(٩) * يَرْمِى بطَرْفٍ كالحريق المُوقَدِ

(١) كذا فى جـ وهو الصحيح كما فى شرح القاموس (فى مادة جحو). وفى سائر الأصول: «هوازن» وهو تحريف. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «معين» بالميم وهو تحريف.

(٣) فى جميع الأصول: «تغلب». والتصويب عن شرح القاموس (فى مادتى قعن وجحو).

(٤) كذا فى أ، م ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى وقد أورده فى باب الذال المعجمة مع الواو. وفى سائر الأصول: «دودان» بالدال المهملة. (٥) كذا فى حـ. وفى أ، م: «منقد» بالدال المهملة. ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالذال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم. وفى ب، س: «منقر» بالراء المهملة. (٦) ثهلان: جبل ضخم بالعالية عن أبى عبيدة. وقال نصر: ثهلان جبل لبنى نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل. (عن معجم البلدان لياقوت). (٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جدّ مروان وسقط اسم أبيه.

(٨) إحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير. قال الشاعر: * بعكاظ فعلوا إحدى الإحد * و إحدى الإحد الداهية. يقول: حسبونى من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافحهم حتى استثاروا منى داهية. (٩) المعتدى: وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة فى تسكين المنصوب. وفى الأصول: «معند» بالنون وبدون ياء. ويحتمل أن يكون مصحفا عن «معتد» وصف من أعتد الشىء اذا هيأه وأعده، وعلى هذا يكون وصفا للسلاح. ويرمى بطرف كالحريق الموقد: أراد أن عينه فى غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة. (راجع لسان العرب فى مادة أحد، وخزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤).

كان يهاجى المساور بن هند

وكان يُهاجِى المُسَاوِرَ بن هند بن قيس بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ العَبْسىّ . وفيه يقول المَرّار:

شَقِيَتْ بنو سَعْدٍ بِشِعْرِ مُسَاوِرٍ * إنّ الشقىَّ بكلّ حبلٍ يُخْنَقُ

والمُسَاوِر القائل فيه :

ما سرَّنِى أنّ أُمّى من بنى أَسَدٍ * وأنّ ربِّىَ يُنْجِينى من النار

أو أنّهم زوّجونى من بناتهمُ * وأنّ لى كلَّ يومٍ ألفَ دينار

من مخضرمى الدولتين

والمَرّارُ من مُخَضْرَمِى الدولتين . وقد قيل : إنّه لم يُدرِك الدولةَ العبّاسيّة .

أغار هو وأخوه بدر على بنى عبس ونهبا إبلهم فحبسهما الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حَبِيب عن ٱبن الأعرابىّ عن المُفَضَّل والكوفيّين :

أنّ المَرّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَرّق من بنى عَبْس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدّث نساءهم ويُنْشِدهنّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنّوا أنه يَعِظُهنّ . ثم ٱنصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يا مَرّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر! فقال : إنّما كنتُ أسألهن . فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثبوا عليه وضربوه وعقَروا بعيره؛ فٱنصرف من عندهم إلى بنى فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ، فركبوا معه حتى أتَوْا بَنِى عَبْس فقاتلوهم فهزموهم، وفقأتْ بنو فَقْعَس من بنى عَبْس عيناً وقتلوا رجلاً ثم ٱنصرفوا . فحمل أبو شَدّاد النَّصْرىّ لبنى عَبْس مائتى بعيرٍ وغلّظوا عليهم فى الدِّية . ثم إنّ بدر بن سعيد أخا المَرّار قال : قد ٱستوفتْ عَبْسٌ حقَّها، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخى وعَقْرَ جَمَله ! فخرج حتى أتى جِمالاً لبنى عَبْس فى المَرْعَى، فرمى بعضها فعقرها ثم ٱنصرف . فقال للمَرّار : إنّه والله ما يُقْنَعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا . فخرجا حتى أغارا على إبلٍ لبنى عَبْس فطرداها وتوجها بها نحوَ تَيْماءَ (١) . فلمّا كانا فى بعض الطريق ٱنقطع بِطانُ راحلة بدر

(١) تيماء : بليد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

فنَدَرَ[١] عن رَحْله . فقال له المرّار : يا أخى أطِعْنى وانصرِفْ ودَعْ هذه الإبلَ فى النار، فأبَى عليه . ثم سارا ، فلمّا كانا فى بعض الطريق عرَض لهما ظبىٌ أعْضَبُ[٢] أحد القرنين . فقال المرّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبدا ، فأَبَى عليه بدرٌ . فتفرّقت عَبْسٌ فِرْقَتين فى طلب الإبل ، فعمَدت فرقةٌ إلى وادى القُرى[٣]، وفرقةٌ إلى تَيْماء ، فصادفوا الإبل بتَيْماءَ تُباع ، فأخذوا المرّارَ وبَدْرًا فرفعوهما إلى الوالى . وعُرِفتْ سِماتُ عَبْسٍ على الإبل فدُفعتْ إليهم ، ورُفِـع المرّارُ وأخوه إلى المدينة فضُرِبا وحُبِسا ، فمات بدرٌ فى الحبس . فكلّمتْ عِدّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرىّ فى المرّار فخلّاه . وقال فى حبسه :

* صَرَمْتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرُومُ *

وهى طويلة .

مات أخوه بدر فى الحبس فرثاه

١٦٠ / ٩

وقال يرثى أخاه بدرًا :

ألَا يا لَقَـومى للتَّجَلُّدِ والصبرِ * وللقَـدَرِ السّارى إليكَ وما تدرى

وللشىء تَنْسـاه وتَذْكُرُ غيرَه * وللشىء لا تَنْسـاه إلّا على ذُكْرِ

وما لكما بالغيب عِـلْمٌ فتُخْبِرا * وما لكما فى أمر عثمانَ من أمرِ

وهى طويلة ، يقول فيها :

ألَا قاتلَ اللهُ المقـاديرَ والمُـنَى * وطيرًا جَرَتْ بين السُّعافاتِ[٤] والحِبْرِ[٥]

وقاتلَ تكذيبى العِيـافةَ[٦] بعـد ما * زجرتُ فما أغْنَى اعتيافى ولا زَجْرى

(١) ندر عن رحله : سقط . (٢) الأعضب : المكسور . (٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى . (٤) فى معجم البلدان : « السعافات بضم أوله وبعد الألف فاء ، وآخره تاء مثناة من فوق موضع فى قول المرار » . واستشهد بهذا البيت .
(٥) الحبر (بالكسر ثم السكون) : اسم واد ، كذا ذكره ياقوت فى معجم البلدان واستشهد بأبيات من هـذه القصيدة . وفى الأصول : « الجبر » بالجيم . (٦) فى ياقوت : « وقاتل تتريب العيافة » .

تَرَوَّحْ فقد طال الثَّوَاءُ وقُضِّيَتْ * مَشَارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجرى

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وما لقُفولٍ[1] بعد بدرٍ بشاشةٌ * ولا الحى آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ

تُذَكِّرنى بدرًا زعازعُ مَحْرةٍ[2] * اذا عَصَفَتْ إحدى عشيَّاتها الغُبْرِ

— الزعازعُ : الشديدةُ الهُبوب . والمَحْرة[2] : السنة الشديدة —

إذا شَوْلُنا[3] لم تُؤْتَ منها بمَحْلَبٍ * قَرَى الضيفَ منها بالمهنّد ذى الأثْرِ

وأضيافنا إن نبَّهونا ذكرتُه * فكنتُ إذًا أنساه غايةَ الدهرِ

إذا سلَّم السَّارى تهلَّلَ وجهُه * على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ

تذكَّرتُ بدرًا بعد ما قيل عارفٌ[4] * لما نابَه يا لَهْفَ نفسى على بدرِ

إذا خطرتْ منه على النفس خَطْرةٌ * مَرَتْ[5] دمعَ عينى فآستهلَّ على نَحْرِى

وما كنتُ بَكَّاءً ولكن يَهِيجُ[6] لى * على ذِكْرِه طِيبُ الخلائق والخُبْرِ

أعينىَّ إنى شاكرٌ ما فعلتما * وحُقَّ لما أَبْلَيْتُمانىَ بالشكرِ

سألتُكما أن تُسْعِدانِى بجُهْدِكما * عَوَانَيْنِ[7] بالتَّسْجام باقِيتَىْ[8] قَطْرِ

---

(١) فى ح : « وما لقفولى » . (٢) فى الأصول : « مجرة » بتقديم الحاء المهملة على الجيم وهو تصحيف . وفى ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : شديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها . والمحلب : إناء يحلب فيه . والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمتين) : فرند السيف ورونقه . ورواية هذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء ص ١٤٤ طبع أوربا : "اذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... الخ" .

(٤) عرف للأمر : صبر . (٥) مرت دمع عينى : أرسلته وأسبلته . واستهل : سال .

(٦) فى ب ، س : « يهيجنى » . (٧) العوان : النصف فى سنها من كل شىء . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب العوان هى أشد الحروب . فلعله يريد أن عينيه سجمتا الدمع أى أسالتاه مرة بعد أخرى . (٨) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . ووردت هذه الكلمة فى الأصول مصحفة ، ففى بعضها : « يا فتى » وفى بعضها الآخر : « يا قبتى » .

فلمّا شَفَانى اليأسُ عنــه بسَلْوةٍ * وأَعْذرتُما لا بل أَجَلّ من العذر
نَهَيْتُكما أن تُسْهرانى[1] فكنتُما * صَبُورَيْن بعـد اليأس طاوِيَتَىْ غُبْر

يقول : طويتما أغبارَ دمعكما . والأغبار - البقايا كأغبار اللّبن .

خرج حاجا وأضافه قرشى بالأبطح

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـه قال حدّثنى رجل عن واصل بن زكريّا بن المَرّار أن المَرّار قال :

خرجتُ حاجًّا فأَنَخْتُ بناحية الأَبْطَح ، فجاء قوم فنَحَّوْنى عن موضعى وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قُرَيش . فلما جاء وجلس أتيتُه فقلتُ :

هذا قَعُودِى بارِكًا بالأَبْطَح * عليـه عِكْمَا[2] أَكْـرٍ[3] لم تُفْتَح

فقال : وما قصّتك؟ فأخبرتُه . فقال : والله لا تفتح منهما شيئا حتى تنصرفَ ، فأَقِمْ معنا ، يدُك مع أيدينا ، وقَعُودُك مع أَبَاعِرِنا[4] . فوالله ما فتحتُ العِدْلَين حتى ٱنصرفتُ بهما الى أهلى . فما هجانى أحد قطُّ هِجاءَه .

حبس هو وأخوه بـدر ، وشـعره فى الحبس

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة قال أخبرنى أبو مَوْهَبٍ رُتَيْلٌ الزُّبَيرى أحدَ بَنِى زُبَيْر بن عمرو بن قُعَيْن قال :

كان المَـرَّارُ بن سعيد وأخوه بدرٌ لِصَّيْن ، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ غارات على النـاس . فأغار بدر على ذَوْدٍ[5] لبعض بنى غَنْم بن ذُودَان[6] فطردَها ، فأُخِذ

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتا بى » .

(٢) العكم : العدل وهو الغرارة . (٣) أكر : جمع كر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو ذئب وأذؤب . وهذا الجمع سماعى فى مثل هـذا الوزن . والكر من البسر : ما لم يرطب على نخله ولكنه سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع لم يرد فى كتب اللغة فى جمع قعود . (٥) الذود : ثلاثة أبعرة الى التسعة ، وقيل الى العشرة ، وقيل غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالفلك . (٦) راجع الحاشـية رقم ٤ ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور فى تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب للسويدى ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

١٦١/٩ ورُفِع الى عثمانَ بن حَيَّانَ المُرّىّ، وهو يومئذ على المدينة فحبسه. وطرَد المَرّارُ طَرِيدةً فأُخِذ بها وهو يَبِيعها بوادى القُرَى أو بِبِرْمَة(١)، فرُفِع إلى عثمانَ بن حَيّان فحبَسه. قال : فآجتمعا ومكثا فى السجن مدّةً؛ ثم أفْلَت المَرّار وبقِىَ بدرٌ فى السجن حتى مات محبوسًا مقيَّدًا. فقال المَرّار وهو فى الحبس :

أنارٌ بَدَتْ من كُوَّةِ السِّجْنِ ضوءُها(٢) * عشيَّةَ حَلَّ الحَىُّ بالجَرَع(٣) العُفْرِ
عَشيَّةَ حَلَّ الحَىُّ أرضًا خَصِيبةً * يَطِيبُ بها مَسُّ الجنائبِ(٤) والقَطْر
فياويلتا(٥) سجنَ اليمامة أطْلِقَا * أسيرَكما يَنْظُرْ إلى البرق مَا يَفْرِى(٦)
فإن تفعلا أَحْمَدْكُما ما بدا أرى * بأنكما لا ينبغى لكما شكرى
ولو فارقتْ رجلى القيودُ وجدتُنى * رَبِيطَ بَنَصّ(٧) العِيسِ فى البلد القَفْر
جديرًا إذا أُمسى بأرضٍ مضَلَّةٍ(٨) * بتقويمها حتى يُرَى وَضَحُ الفجر

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ :

خاصم رجلا من قومه وسابه، وقال فى ذلك شعرا

كان بين المَرّار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحَاءٌ، فتقاذفا وتسابّا، ثم صارا إلى الضرب بالعصا، فقال فى ذلك :

---

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادى القرى. (٢) كذا فى الأصول بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل الى ضمير المؤنث. (٣) كذا فى ح بالراء المهملة. والجرع بالتحريك : جمع جرعة بالتحريك أيضا وهى هنا الرملة العذاة الطيبة التى لا وعوثة فيها. وفى سائر الأصول : الجزع بالزاى المعجمة وهو تصحيف. (٤) الجنائب : جمع جنوب وهى الريح التى تقابل الشمال. ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح. (٥) هكذا فى جميع الأصول : وياويلتا بمعنى يا فضيحتا. وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى فى قوله «أطلقا أسيركما». ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله "فياحارسى سجن اليمامة" أو نحو ذلك. (٦) يفرى : يشق؛ والبرق يشق الظلام. (٧) نص العيس : استحثاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير. (٨) أرض مضلة (بفتح الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق.

صــــوت

ألم تَرْبَــعْ فتُخْــبِرَكَ المَغَــانِى * فكيف وهُنَّ دُرْسٌ مُذْ زمانِ
بَرِئْتُ من المنازلِ غيرَ شَــوْقٍ * إلى الدارِ التى بِلوَى أَبَانِ (١)

لإسحاقَ فى هذين البيتين هَزَجٌ بالخنصر فى مجرى البنصر من كتاب ابن المكّىّ .

وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعرًا (٢) وهو الذى يقول :

كان أخــوه بدر شاعرا ، وشىء من شعره

صــــوت

يا حَبَّــذا حين تُمْسِى الريحُ باردةً * وادِى أُشَىٍّ (٣) وفِتْيانٌ به هُضُمُ (٤)
مُخَدَّمُونَ كِرامٌ فى مجــالسِهم * وفى الرِّحالِ إذا لاقيتَهم خَــدَمُ
وما أُصاحِبُ من قومٍ فأذكُرُهم * إلّا يَزِيدُهُمُ حُبًّا إلىّ هُــمُ (٥)

الغِناء لابن مُحْرِزٍ ثانى ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكّىّ . وفيه لمتيّم خفيفُ رَمَلٍ . وذكر حَبَشٌ ، أن الثقيل للهُذَلِىّ . وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامىّ .

---

(١) أبان : يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود . فالأبيض شرق الحاجر فيه نخل وماء وهو لبنى فزارة وعبس . والأسود : جبل لبنى فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض ميلان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى لسان العرب (فى مادة هضم) ومعجم البلدان فى الكلام على أشى وشعوب ونقم أن قائله زياد بن منقذ . وفى شرح الحماسة للتبريزى طبع أوربا ص ٦٠٨ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ويقال زياد بن منقذ . ومثله فى لسان العرب (فى مادة أشى) غير أنه ورد فيه : « زياد بن حمد » بالدال محرفا . (٣) أشى : موضع بالوشم . والوشم : واد باليمامة ؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات . (٤) هضم : جمع هضوم . وفتيان هضم : يهضمون المال أى يكسرونه وينفقونه . (٥) ارتفع « هم » الأخير بيزيد . وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل ؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حبا إلىّ ؛ ومثله لطرفة :

أصرمت حبل الحى إذ صرموا * يا صاح بل صرم الوصال هم

(عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى) .



صوت ابن صاحب الوضوء فى شعر النابغة

صـــوت

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتِينةٍ * تُمَـدُّ بهـا أيدٍ إليـكَ نَوَازِعُ
فإن كنتَ لاذا الضِّغْنِ عنِّى مكذِّبا * ولا حَلِفِى عنـد البَرَاءةِ نافـعُ
فانك كالليـل الذى هو مُدْرِكى * وإن خِلتُ أن المُنْتَأى عنك واسعُ

عروضُه من الطَّويل . يقول : أنا فى قَبْضتِك متى شئتَ قَدَرْتَ علىّ كأنى فى خَطَاطِيفَ تَجْذِبُنى إليك ولا أَقْدِر على الهَرَبِ منك . ويُرْوَى "وإن خلتُ أن المُنْتَوَى" أى الموضع الذى تَنوِى قصدَه . والمُنْتَأى : المُفْتَعَل من النأى . والحُجْن : المُعْوجَّة والنوازِع : الجواذِب . والضِّغْن : الحقد .

الشعر للنابغة الذُّبْيانىّ . والغناء لابن صاحبِ الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ماخُورِىٌّ بالبِنْصر .



انتهى الجــزء العــاشر من كتاب الأغانى
ويليه الجــزء الحادى عشر
وأوّله أخبـار النابغــة ونسـبه

بيـان

بحمد الله وحسن توفيقه، وفى عهد مليكنا المعظم نصير العلم ورافع مناره، وحامل لواء الأدب وحامى ذماره، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأوّل" أدام الله على البلاد ظله، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة، وبعد تصحيح ما وفّقنا له، وضبط ما ينبغى ضبطه من لغة وأسماء، وتحرّى وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التى اعتمدنا عليها فى المراجعة هى الأصول التى اعتمدنا عليها فى مراجعة الأجزاء السابقة، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعا فى تصدير الجزء الأوّل . وتقدّم فى هذا التصدير أن النسخة التى اصطلحنا على أن نرمز لها بحرف « ا » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذى راجعنا عليه فى هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربى ، كتبه — كما هو وارد فى آخر صفحة منه — بثغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمترا، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهى دونه فى الحجم وفى عدد السطور . وأوّل هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويبتدئ هذا المجلد بأخبار عنترة بن شدّاد العبسى التى تقع فى أوّل صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

وهـذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التى فى دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها وسلك فى رقمها . وفى آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر الثالث من كتاب الأغانى ... » وهـذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع فى أربعة عشر مجلدا كما قلنا فى وصفها فى تصدير الكتاب . وواضح من هـذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعـدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمـد العطار من جلّة العلمـاء والأدباء فى القرن الثالث عشر الهجرى .

وقد وضعت لهـذا الجزء فهارس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أنا توسـعنا فى فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند، إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوى إذا اختلف من روى عنهم أو من رووا عنه، ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التى ذكرها فى كتابه .

وإنا نعتذر إلى القراء من التأخر فى صدور الأجزاء؛ فان العمل شاق، والأصول التى بين أيدينا، على قلتها، كثيرة التحريف، والأمانة ثقيلة .

وفى هـذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدى جميل الثناء والحمـد لحضرة الأسـتاذ الكبير الدكتور "منصور فهمى بك" المدير العام لدار الكتب المصرية على ما كان، ولا يزال، يوالينا به من حسن التوجيه والإرشاد . والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد فى القول والعمل ؟

أحمد زكى العدوى

رئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية